طوفان الأقصى.. شرارة التحرير وفجر التغيير

أ.د حلمي عبد الحكيم الفقي

رئيس قسم الفقه بجامعة الأزهر سابقا

مقدمة

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره؛ الذي قدر الأقدار بأحكامه، وجعل العاقبة للمتقين بفضله وإكرامه. والصلاة والسلام على من بعث بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، نبي الرحمة والملحمة، وعلى آله وصحبه الأطهار، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد

فإن للتاريخ مفاصل جسيمة لا تقاس أيامها بالساعات،وإنما تقاس بما تحدثه من زلازل تعيد تشكيل الوقائع والأحداث، وتقلب الموازين المعكوسة إلى نصابها الحق. وإن "طوفان الأقصى" لم يكن بحال مجرد جولة خاطفة من جولات الصراع المستمر بين المجلوبين من أطراف الأرض وبين أصحاب الدار والأرض، بل كان صيحة بعث حضاري أفاق على صداها العالم بأسره، وانكشف بها الغطاء عن زيف المدنية الغربية التي طالما تباهت بشعارات حقوق الإنسان، فإذا بها عند المحك الأول سند صريح للإبادة، وشريك مباشر في سفك دماء المستضعفين.

لقد ولدت مقالات هذا الكتاب تحت وهج القذائف، وفي قلب غبار المعارك، وسط آهات الثكالى وصمود الأبطال في غزة الأبية؛ غزة التي غدت في عين الزمان كعبة الأحرار، ومشكاة النور في ظلمات العصر. لم تكن هذه المقالات ترفا فكريا أو انطباعات عابرة، بل كانت وثيقة وعي وإيمان، وصيحة حق تدون وقائع هذه الملحمة التاريخية، وسنن الله في الخلق والتدافع.

وكان من القضايا التي مهد هذا الكتاب لبيانها، تلك المقارنة الحاسمة بين قواعد القتال في الإسلام، وبين سلوك الحضارات المادية عبر التاريخ. لقد استقر في

الوجدان الإنساني أن الحرب في أغلب صورها مجرد خراب ودمار وإهلاك للحرث والنسل، تساق فيها الجيوش أفظع من الوحوش؛ فالوحش لا يقتل إلا ليأكل، ولا يفسد عامرا ولا يهدم حجرا، بينما طمست الجيوش الباغية معالم العمران وقتلت العباد.

إن الشريعة الربانية حين شرعت الجهاد، لم تجعله أداة للتسلط العرقي أو الأطماع الاستعمارية أو النعرات القومية، بل جعلته ضرورة دفعية لحماية الدين والنفس والعرض والوطن، ونصرة المستضعفين. وإن التاريخ ليشهد أن المسلمين حسموا معارك كبرى بلا قتيل واحد، كما حدث في طرد بني قينقاع وبني النضير، وكما حدث في فتح القدس زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بلا قطرة دم، وكما حدث في تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي؛ بينما حين دخلها الصليبيون أول مرة أبادوا سبعين ألفا من أهلها، وحين احتلها الصهاينة ارتكبوا مجازر يندى لها جبين الإنسانية.

وليس أدل على هذا السمو الأخلاقي من معركة تبوك، حيث خرج جيش المسلمين البالغ ثلاثين ألف مقاتل يقودهم النبي ﷺ لمواجهة إمبراطورية الروم، فمكثوا شهرا في الطريق ذهابا ومثلها إيابا، وعشرين ليلة هناك، وعادوا دون أن يراق دم إنسان واحد، ودون أن تقتل امرأة، أو يخرب جدار، أو تقطع شجرة، أو يغتصب درهم واحد! إنها عبقرية الأخلاق الإسلامية التي لا تماثلها حضارة في الوجود.

وفي المقابل، تتجلى المادية الغربية التي ادعى المفكرون أمثال "فرانسيس فوكوياما" أنها بلغت قمة الحضارة، فإذا بسلوكها الميداني يثبت أنها ذروة الانحطاط الأخلاقي. فمن حرب الثلاثين عاما في أوروبا التي قتل فيها عشرة ملايين، إلى الحربين العالميتين اللتين حصدتا عشرات الملايين، وصولا إلى حرب الإبادة المعلنة على قطاع غزة بدعم كلي من أمريكا ودول الغرب، حيث يحاصر المدنيون، ويمنع عنهم الماء والدواء والغذاء، وتقصف المستشفيات والمساجد والكنائس، ليثبت للدنيا أن القوانين الدولية وشعارات حقوق الإنسان ليست سوى قناع واه يسقط فور مساسه بامتيازات الاحتلال.

وتتناول مقالات الكتاب بعدا إيمانيا ومنهجيا، ألا وهو اليقين المطلق بالقدر الإلهي ومعية الله عز وجل. لقد حاول المرجفون والمنافقون على مر العصور إرهاب المؤمنين بتهويل قوة الأعداء، وترديد الشبهات ذاتها: ﴿لو أطاعونا ما قتلوا﴾، و﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾. غير أن العقيدة الإسلامية الناصعة تقر في أفئدة أصحابها أن الأجل محدود، والرزق مقسوم، وأن الشجاعة والجهاد لا يقربان منية، كما أن الجبن والفرار لا يؤخران أجلا.

﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ [الحديد: ٢٢]

إن النفع والضر بيد الله وحده، ولا تملك أمم الأرض قاطبة، ولو اجتمعت في حلف عسكري واحد، أن تنال من إنسان شيئا لم يكتبه الله عليه. شهد التاريخ كيف مات "تيودور هرتزل" مؤسس الصهيونية وهو في عنفوان صحته في الرابعة والأربعين، بينما عاش الشيخ أحمد ياسين -رحمه الله- مقعدا بشلل رباعي تام، وعذب وعوقب وحوصر، فعاش ثمانية وستين عاما ولم يرتحل إلا شهيدا كما تمنى! وشهد التاريخ كيف مات قضاة الظلم والجبابرة حتف أنوفهم، بينما ارتقى المجاهدون أصحاب الأجساد العليلة في أعلى مراتب المجد.

وأما مقولة نابليون بونابرت: "إن الله مع أصحاب المدافع الكبيرة"، فهذا وهم كاذب، وسراب خادع، فالله سبحانه وتعالى ليس مع المدافع الكبيرة ولا مع الطائرات الفتاكة، بل هو ﷻ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾. إن سنة الله القاطعة هي إهلاك الظالم في أوج عتوه، ونصرة المظلوم في ذروة استضعافه، وما هزيمة أمريكا في فيتنام وأفغانستان، وما تحرر الشعوب الاستعمارية قاطبة، إلا خير برهان على أن قوة العقيدة والحرية أعتى وأبقى من أعتى أرسنال عسكري.

ويستعرض الكتاب أصل العلاقات الإنسانية في الإسلام، ليثبت أن العدل مقصد أسمى لا يخضع للأهواء السياسية ولا للتمايز العرقي أو الديني. فالعدالة في الإسلام "عدالة مطلقة" لا تداهن مسلما لإسلامه، ولا تظلم كافرا لكفره.

ولعل أنصع دليل صاغه التشريع الإلهي في قلب القرآن الكريم، هو تنزل عشر آيات متتابعات في سورة النساء (﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله...﴾) لتبرئ رجلا يهوديا (زيد بن السمين) اتهم ظلما بسرقة درع، وتدين رجلا أظهر الإسلام ونسبه قومه إلى الصلاح (بشير بن أبيرق

وهذه الأخلاق المبهرة التي برزت جلية في التعامل الرفيع لمقاومي غزة مع أسرى العدو، حيث شهدت الشاشات العالمية بأخلاق الفرسان والتكريم الإنساني للأسرى، في مقابل التوحش والتعذيب والانتهاك السافر الذي يمارسه الاحتلال الصهيوني بحق الأسرى والمدنيين. إن الفارق بين المنهجين هو الفارق بين تعاليم القرآن التي تصون الإنسان، وبين تعاليم التوراة المحرفة في أسفار التثنية والعدد التي تدعو صراحة إلى الإبادة الجماعية، وحرق المدن، وقتل الأطفال والنساء والبهائم، وإحراق الشجر والحجر.

ويتناول الكتاب وجوب دعم المجاهدين بكل وسيلة متاحة، ومن أهمها الدعم بالمال، ويبين حكمة تقديم "الجهاد بالمال" على "الجهاد بالنفس" في تسعة مواضع من القرآن الكريم؛ فالمال عصب الحرب ومدد الجيوش، وبه يشترى السلاح وتجهز القوات، وبه تكفل أسر المجاهدين والشهداء. كما أن الجهاد بالمال يتيح لكافة أبناء الأمة -من شيوخ ونساء ومرضى وأصحاب أعذار- أن يكونوا شركاء فعليين في تحقيق النصر ورفع راية التحرير.

"إن دعم المجاهدين ورعاية جبهتهم الخلفية ليس منة ولا تبرعا، بل هو فريضة شرعية حاسمة على الأمة قاطبة، تتحدد بها الأجسام والأموال تحت راية واحدة."

إن هذا الكتاب الذي بين يديك -أيها القارئ الكريم- ليس مجرد تجميع لمقالات كتبت تحت طائل الأحداث؛ بل هو شهادة عصر، وبيان منهج، ووثيقة نضال فكري وإيماني. أردت به أن أجمع شتات الفكر في إبان الملحمة، وأن أضع بين يدي الأجيال المعالم الهادية لفهم صراعنا مع العدو الصهيوني ومن ورائه الاستكبار العالمي.

ستجد في صفحات هذا الكتاب تأصيلا فقهيا، وتحليلا سياسيا، وقراءة تاريخية، ونفحات إيمانية تقوي العزائم وتشد الأزر. ستجد فيه ردا على شبهات المنافقين، وكشفا لزيف الحضارة الغربية، وبيانا لعظمة الشريعة الإسلامية، واستشرافا ليقين النصر الموعود في قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله في صالح الحسنات، ويكفر به السيئات، ويمحو به الخطيئات، وأن ينفع به الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يمكن للمجاهدين المرابطين في غزة وفلسطين، وأن يفك كرب المأسورين، ويداري الجرحى والمصابين، ويتقبل الشهداء الأبرار، ويفرج عن أمتنا فرجا قريبا عاجلا. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله من وراء القصد.

الحرب فى الإسلام رحمة بالإنسان

الحرب هى واحدة من أهم مصادر الخراب والدمار والقتل وسفك الدماء والمظالم العظام، هذا ما استقر فى الوجدان الإنساني فى كل أرجاء الدنيا، وهذا ما شهدت به التوراريخ، ونطقت به النفوس والأرواح والحجر والشجر فى كل زمان ومكان.

كانت الجيوش أخطر من الوحوش، فكانت مظالم الوحوش معروفة محدودة، فالوحش لا يقتل إلا ليأكل، ولا يفسد عامرا، ولا يقلع شجرا، ولا يهدم حجرا، أما الجيوش البشرية فتقتل للقتل والتخريب والتدمير، وتهلك الحرث والنسل، وتقتل العباد، وتدمر البلاد، وتخرب العمران، وتدمر البنيان، بلا رحمة، ولا شفقة، إلا نشر الشر والفساد، والرعب بين العباد.

هذا هو واقع الحرب فى الوجود الإنساني كله، والاستثناء الوحيد من هذا كله هو الحرب فى الإسلام، فهى الحرب الوحيدة التى ترحم الإنسان، وتصنع السلام، وتعمر البنيان.

الحرب فى الإسلام رحمة للعالمين، وأمان للخائفين، وإنصاف للمظلومين، وإنقاذ للمفتونين، ونجدة للمستغيثين، وغوث للملهوفين، وعدالة للمضطهدين، وتأديب للظالمين، وإذلال للمستكبرين.

الحرب فى الإسلام تصون وتحمى دماء الأعداء، فضلا عن الأولياء.

سؤال واستنكار

ويتبادر إلى الذهن سؤال، كيف للحرب التى هى وسيلة للقتل وسفك الدماء، أن تحمى دماء الأعداء فضلا عن الأولياء؟ هذا وهم يكذبه الأغبياء قبل الأذكياء، فما الدليل على صحة هذا الادعاء؟

وفى الجواب نقول

الحرب فى الإسلام شريعة ربانية، هدفها الرحمة بالإنسانية، وحماية البشرية، والحرب فى غير الإسلام شريعة أرضية، هدفها الأطماع الشخصية، والنزعات الشيطانية، والعصبيات الجاهلية، والنعرات القومية.

والدليل على ما نقول

ما نقوله صحيح لا شك فيه ، وحق لا لبس فيه، وواقع لا تخطئه عين، وحقيقة أثبتها التاريخ، وارتفع صداها فى أفاق الكون، وسمعت صراخها أذن الدنيا، وجلجت جنبات السماء، إن أقوى دليل فى الفكر الإنساني كله على إثبات أى ادعاء، إذا تحول من طور النظرية إلى الواقع الذى تراه العيون، هو ما يعبر عنه علماء المنطق ب الوقوع، فيقولون: الوقوع أقوى دليل على اثبات الادعاء،

وحشية الغرب فى الحرب

فى كتابه نهاية التاريخ ادعى الكاتب الأمريكي ذى الأصل اليابانى فرنسيس فوكوياما أن الإنسانية وصلت إلى نهاية التاريخ، وأن حضارة الغرب بلغت قمة التحضر الإنساني، ولكن الحقيقة التى لا شك فيها أن سلوك الحضارة الغربية يثبت أنها بلغت ذروة الانحطاط الأخلاقي، وليست قمته، والأدلة على ذلك تفوق الحصر، منها:

١ - فى حرب واحدة فى بلد واحد بين أبناء دين واحد قتل فيها اكثر من عشرة مليون انسان ، إنها حرب الثلاثين عاما فى المانيا بين النصارى من جهة وبين النصارى من جهة ، وبدات هذه الحرب فى ١٦١٨ الى ١٦٤٨ م

وفى مذبحة باريس فى ١٥٧٢/٨/٢٤م بين البروتستانت والكاثوليك ، وقتل فيها أكثر من خمسين ألف فى ليلة واحدة .

وربما يقول قائل هذه حروب قديمة وقد تحضر الغرب، وأصبح أكثر إنسانية، وتطورت قوانين الحرب لديه لتحافظ على النفس الإنسانية، نقول حسنا، خذ هذا الدليل.

٢ - فى الحرب العالمية الثانية والتى بدات فى العام ١٩٣٩م لم يكن فيها دولة واحدة مسلمة ، وكان طرفى هذه الحرب الكونية المدمرة نصارى ، وقتل فى هذه الحرب قرابة خمسين مليون إنسان.

٣ – فى أكتوبر من العام ٢٠٢٣م شنت أمريكا وإسرائيل، ومعهما ألمانيا وبريطانيا وفرنسا، حربا قذرة شرسة على قطاع غزة فى فلسطين، وفرضوا حصارا كاملا على المدنيين والمرضى والأطفال والنساء، وكل سكان القطاع بلا استثناء، ومنعوا عنهم الغذاء، والدواء، والكساء، بل ومنعوا عنهم الماء، والكهرباء، ودمروا المستشفيات، والمساجد، والكنائس، بل دمروا أكثر من ثلثي القطاع، وخربوا العمران، ودمروا البنيان، وأهلكوا الحرث والنسل، ولم يسلم من ظلمهم وبطشهم طير فى وكره، ولا وحش فى قفره، ليثبتوا للتاريخ وللدنيا كلها أن الغرب يمثل قمة الانحطاط الإنساني فى التاريخ كله.

الحرب فى الإسلام رحمة بالإنسان، وصناعة للسلام

فما دليل ذلك؟

حسم المسلمون الكثير من المعارك الحربية بلا قتيل واحد

والمعارك العسكرية التى حسمها المسلمون بلا قتيل واحد لا تعد ولا تحصى ومن هذه المعارك على سبيل المثال لا الحصر :

١ - فى شوال سنة ٢هجرية =أبريل ٦٢٤ م

معركة بنى قينقاع وطردهم من ديارهم بلا قتيل واحد

٢ - في ربيع الأول سنة ٤هجرية = أغسطس ٦٢٥م

معركة بنى النضير وطردهم من ديارهم بلا قتيل واحد

٣ -فتح المسلمون القدس فى ربيع الأول سنة ١٦هجرية = أبريل ٦٣٧م بلا قتيل واحد

واحتل الصليبيون القدس فى ٤٩٣هجرية = ١٠٩٩م فقتلوا وذبحوا سبعين ألفا من المسلمين

٤ - حرر صلاح الدين الايوبي القدس فى رجب ٥٨٣ هجرية = ١١٨٧م ودخل القدس بلا قتيل واحد

ثم دخلها اليهود في ١٣٤٧هجرية = ١٩٦٧م فارتكبوا مجازر يندى لها الجبين

٥ - في صفر سنة ١٦هجرية = مارس ٦٣٧م دخل المسلمون المدائن عاصمة الفرس بلا قتيل واحد

وغير ذلك الكثير والكثير

ليثبت المسلمون للدنيا كلها

أن الإسلام هو صانع السلام الوحيد في العالم اجمع.

وذلك امتثالا لأمر ربنا فى القران الكريم : { وإن جنحوا للسلم فاجنح لها}

ولقوله تعالى : { وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}{

واما التوراة فقد جاء فى سفر التثنية الإصحاح العشرون : " حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح

فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك

وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا، فحاصرها

وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف"

٦ - الجهاد في الإسلام يصنع السلام والأمان للمسلمين وغير المسلمين

هل رأى العالم كله معركة عسكرية بين جيشين كبيرين تنتهى بفوز كبير للمسلمين وهزيمة نكراء للكافرين بلا قتيل واحد ؟

نعم بلا قتيل واحد !!! بل بدون قطرة دم واحدة !!!!!

هذا ما فعله خالد بن الوليد أحد عباقرة الإنسانية كلها فى فنون القتال عبر الزمان والمكان

كان ذلك فى فتوحات العراق فى عهد الخليفة الأول أبوبكر الصديق -رضى الله عنه -

وفى معركة عين التمر أراد عبقرى الدنيا كلها والذى لم يشهد تاريخ الإنسانية كلها له شبيه أو نظير أن ينهى المعركة بلا قتيل واحد ، وبدون قطرة دم واحدة فماذا فعل ؟

هجم خالد على جيش الكافرين - والذى كان بقيادة عقة بن أبى عقة - وأثناء تسوية عقة لصفوف جيشه باغته خالد بمفرده بهجوم مفاجىء واحتضنه خالد وأسره وفر خالد بعقة سليما بلا قطرة دم واحدة ومن هول المفاجأة فر جيش عقة مهزوما

وانتصر المسلمون فى هذه المعركة بلا قتيل واحد وبلا قطرة دم واحدة من الجيشين

إنها عبقرية الإسلام فى فنون القتال والتى تحافظ على دماء الأولياء ودماء الأعداء فى وقت واحد .

حقا إنه الدين الحق الوحيد فى هذا الوجود

حقا إنه أمل الإنسانية الوحيد فى العيش بسلام فوق ظهر هذا الكوكب

الجهاد لن يقصف عمرا، والسلم لن يطيل أجلا

لم تنقص الحرب عمرا، ولم يقرب الجهاد أجلا، ولم تدني الشجاعة خطرا، ولم يباعد السلم حتفا، ولم يطل الجبن عمرا، فما هى إلا آجال محدودة، وأقدار موقوتة، وأرزاق مقسومة، ومنافع مقدورة، بحكمة متناهية، ودقة بالغة، قال تبارك وتعالي: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]

وقال تعالي: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١﴾ [النحل: ٦١]

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود: ٦]

فقد تكفل الحق تبارك وتعالي بالرزق لكل ما دب على الأرض من إنسان أو حيوان، أو نبات أو حشرات، حتى من عجز عن العمل، بل حتى من عجز عن حمل رزقه، فقد تكفل الرحمن الرحيم سبحانه بحمل الرزق إليه، قال جل فى علاه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

فالنفع والضر، والبسط والقبض، والرزق والأجل كل ذلك أمور مقدرة بقدر الله وحده لاشريك له، ولا تملك الأمم ولا الدول تغييرها ولا تبديلها، ولا الزيادة فيها ولا النقص منها، حتى لو اجتمعت - وهذا مستحيل- وتعاضدت وتعاونت أمم الأرض قاطبة، على أن تلحق ضررا بإنسان، أو تحجب عنه خيرا كتبه الله ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك} رواه الترمذى وأحمد وغيرهما

فما يقع فى الوجود من نفع أو ضر لأى موجود، إن هو إلا بتقدير الله وحده لا شريك له، وهذا ركن الإيمان، وقاعدة الإسلام، والفارق بين الكفر والإسلام، فمن كان يعيش في غزة أو فى لندن، أو فى رفح أو واشنطن لن يناله نفع، أو يصيبه ضر إلا ما كتبه الحق سبحانه وتعالي فى الأزل، قال تعالي: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢] وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]

يقول سيد قطب: "وفي ظل هذا المشهد المروع المزلزل يتجه بالبيان إلى الناس كافة، وإلى القوم خاصة. ليقر في قلوبهم حقيقة قدر الله وحكمته وتدبيره

إن ذلك الأخذ في الدنيا، وهذا العذاب في الآخرة. وما كان قبلهما من رسالات ونذر، ومن قرآن وزبر. وما حول ذلك كله من خلق ووجود وتصريف لهذا الوجود..

إن ذلك كله، وكل صغيرة وكبيرة مخلوقة بقدر، مصرفة بقصد، مدبرة بحكمة. لا شيء جزاف. لا شيء عبث. لا شيء مصادفة. لا شيء ارتجال.

إنا كل شيء خلقناه بقدر .

كل شيء.. كل صغير وكل كبير. كل ناطق وكل صامت. كل متحرك وكل ساكن. كل ماض وكل حاضر. كل معلوم وكل مجهول. كل شيء.. خلقناه بقدر..

قدر يحدد حقيقته. ويحدد صفته. ويحدد مقداره. ويحدد زمانه. ويحدد مكانه. ويحدد ارتباطه بسائر ما حوله من أشياء. وتأثيره في كيان هذا الوجود"

جاء فى صحيح البخارى فى تفسير قوله تعالي: {﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]: من يؤمن بالله: هو الذى إذا أصابته مصيبة رضى وعرف أنها من الله، فلا يكون المرء مؤمنا حتى يوقن أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله، ويهد قلبه: يوفقه للإيمان والتصديق بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

روى الترمذى عن جابر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: { لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه}

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:{ لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه} رواه احمد والطبراني.

فلم يصب إنسان خير، ولا يحل بمخلوق شر إلا وقد كتبه الحق عز وجل فى الأزل، يستوى فى ذلك أوقات الحرب، وأوقات السلم، مناطق الرفاهية والخير، وبلدان الفقر والشر، هذا ما يعتقده المسلم، عقيدة تخالط شغاف القلوب، وتعانق بواطن النفوس، وقد يتوهم إنسان أن من يعيشون فى مناطق الحروب، قد لا ينالون ما كتب لهم، فربما كانوا أقصر أعمارا، وأكثر أضرارا، لكن الحقيقة أن أقدار الله تمضى على القوى والضعيف، وعلى الحقير والخطير دون أدنى استثناء.

فى التاريخ حكمة وفى الحوادث عبرة:

وتأتي حوادث التاريخ ووقائع الأيام خير برهان لتنقية الإيمان، وتحقيق اليقين، لمن كان فى قلبه وهم أو خالط يقينه شك:

١- فى مختلف أصقاع الأرض، وفى أزمنة متعاقبة، وتوراخ متباعدة جلس على منصات القضاء كثير من القضاة الظلمة الذين حكموا بالإعدام ظلما على

أبرياء لم يرتكبوا جرما، ثم كان حتف القاضى الظالم فى حياة المحكوم بالإعدام ظلما، وهذه حوادث متكررة، وليست نادرة، ولكن هل من مدكر.

٢- تيودر هرتزل مؤسس الصهيونية، مات وعمره ٤٤ عاما، وهو فى كامل صحته، وتمام فتوته، بينما الشيخ احمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" الذى كان مشلول القدمين واليدين، ويعانى من شلل رباعي، وأمراض أخرى خطيرة، وقد سجن وعذب فى سجون الاحتلال سنوات طويلة، وقد حاول الاحتلال قتله مرات عديدة، فكانت عناية الله ترعاه وتحميه، لأن أجله المكتوب لم يحن بعد، ومع كل ذلك عاش ٦٨ عاما.

٣- جمال عبد الناصر مات حتف أنفه وهو فى أتم عافيته وعمره ٥٢ عاما، بينما الشهيد سيد قطب الذى كان طيلة حياته صاحب جسد مريض، وبدن عليل، وبنيان هزيل ارتقي إلى شهيدا وعمره ٦٠ سنة، فهل من معتبر.

٤- بشير الجميل الذى انتخب رئيسا للبنان فى العام ١٩٨٢م، وعمره ٣٤ عاما، وكان مدعوما من أمريكا وإسرائيل، لكن تم اغتياله بعد انتخابه، وقبيل تقلده منصب الرئاسة، فنفذ فيه قدر الله رغم حماية أمريكا وإسرائيل.

وما أجمل قول الشاعر الجاهلى عنترة بن شداد:

واختر لنفسك منزلا تعلو به أو مت كريما تحت ظل القسطل

فالموت لا ينجيك من آفاته حصن ولو شيدته بالجندل

وموت الفتى فى عزة خير له من أن يبيت أسير طرف أكحل

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل

فإذا كان كل الناس يموتون، المنافقون والأتقياء، الشجعان والجبناء، الضعفاء والأقوياء، فلماذا تحيا منافقا جبانا، إذا كان النفاق لا يطيل عمرا، ولن يؤخر أجلا، ولن يزيد رزقا، ولن يجلب نفعا، أو يدفع ضرا.

والسؤال:

هل القصف الوحشي الذى لا يتوقف على غزة، وهل الحصار القاتل على غزة من الممكن أن يلحق بهم أضرار، أو ينزل بهم أخطارا لم يقدرها الله؟

والجواب: كلا وألف كلا

فمن المستحيل أن يكون ذلك سبب لضرر لم يكتبه الله، ومن ظن ذلك فقد هدم ركن الإيمان، وقاعدة الإسلام، فما الكرة الأرضية إلا كوكب من ألف مليون كوكب فى المجرة التى نحيا فيها، وهى مجرة من ألف مليون مجرة، مما أمكن معرفته حتى الآن فى هذا الوجود والذى يجهل العلماء من حدوده ومعالمه أكثر مما يعلمون، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وكل هذا وأكثر تحت السيطرة المحكمة، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فأقدار الله ماضية، وأحكامه نافذة، ولن يكون فى ملك الله إلا ما أراد الله، والحقيقة التى يجب أن يوقن بها كل مؤمن أن لا ضار ولا نافع فى هذا الوجود إلا الله، وأن لاتموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، ولن تخرج روح مخلوق إلا بقدر الله فى الزمان الذى حدده الله، وفى المكان الذى حدده الله، وبالوسلة والكيفية التى حددها الله.

قال المتنبي:

إذا غامرتَ في شرف مَروُم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقال أيضا:

غير أن الفتى يلاقي المنايا ... كالحات ولا يلاقي الهوانا

ولو أن الحياة تبقى لحي ... لعددنا أضلنا الشجاعانا

وإذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز أن تكون جبانا

وقال ابن نباتة السعدي:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره .... وموت الفتى بالسيف أعلى وأفخر

فالجهاد فى سبيل الله لن يقصر عمرا، ولن يجلب ضرا، ولن يمنع رزقا، بل هو عز الدنيا وسعادة الآخرة.

الإسلام شريعة العدل المطلق لكل الخلق

الإسلام دين العدالة المطلقة بين الناس أجمعين، مسلمين وكافرين، فالعدالة في الإسلام لا تحابي مسلماً، ولا تظلم كافراً، وتُمثّل "العدالة" في الشريعة الإسلامية مقصداً أسمى وأساساً متجذراً في أصل التكليف الإلهي، وليست مجرد فضيلة أخلاقية، أو مفهوم مطاط يخضع لضغوط السياسة وتقلبات الأهواء. إن العدالة في الإسلام تتجاوز مفهوم "العدالة النسبية" التي تواضعت عليها القوانين الوضعية والمواثيق البشرية، لتصل إلى مستوى "العدالة المطلقة" التي لا تُفرّق بين قريب وبعيد، ولا بين مسلم وكافر، ولا بين حليف ومحارب.

قال تعالى:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥]

فقد قامت الرسالات السماوية كلها على أصل واحد: هو إقامة العدل المطلق (القسط) بين العباد في الأقوال والأفعال والمعاملات.

فالعدل في المنظور الإسلامي حق أصيل لكل إنسان بصفته الإنسانية. ومن أبرز الشواهد والأدلة التي تثبت وتجسد هذه القيمة السامية تجسيداً عملياً لا مرية فيه، حادثة بني أبيرق وسرقة الدرع، التي نزلت فيها عشر آيات متتابعات من سورة النساء تبرئ رجلاً يهودياً (يدعى زيد بن السمين)، من تهمة لم يتم الحكم فيها بعد، وتُدين رجلاً أظهر الإسلام وتستر بالظاهر (بشير بن أبيرق).

ونتناول في هذا المقال توضيح مفهوم العدالة المطلقة في الإسلام، وأن شريعة الإسلام فرضت العدل في التعاملات بين الناس جميعاً، دون أدنى اعتبار لدين أو لون أو جنس أو عرق، وحققت بذلك سبوقاً إنسانياً فريداً في تاريخ الحضارة الإنسانية.

التأصيل الشرعي لشمولية العدل فى الإسلام:

أولاً: العدل مع الخصوم والمخالفين في العقيدة

لم تجعل الشريعة الإسلامية اختلاف الدين باباً للجور أو تسويغاً للبغي، بل جاءت النصوص القرآنية حازمة في قطع الطريق أمام أي انحراف عاطفي أو نفسي قد يحمل المسلم على ظلم خصمه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]

فنصت الآية الكريمة على أن بغض المخالف لا يبرر الحيف عليه، وبخسه حقه، ودلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه. فالعدل فريضة مطلقة لا تسقط بوجود العداوة أو الاختلاف العقدي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فجاء الأمر بالعدل عاماً شاملاً لا يفرق بين مسلم وغير مسلم، فالحق سبحانه وتعالى يأمر عباده المسلمين أن يعدلوا بين الناس جميعاً حتى لو كانوا غير مسلمين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

فنصت الآية الكريمة على وجوب الحكم بالعدل بين الناس جميعاً، وجاء النص على الناس حتى لا يتوهم عقل قاصر أن العدل للمسلمين والظلم للكافرين، فالشريعة الإسلامية لا تحابي مسلماً ولا تظلم كافراً.

ثانياً: نفي المحاباة في التقاضي والأحكام

قام النظام القضائي في الإسلام على إلغاء الفوارق الطبقية والعرقية والدينية أمام مجلس القضاء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا...﴾ [النساء: ١٣٥]

فالآية الكريمة تؤسس لمبدأ العدل المطلق الذي لا يتأثر بالمصلحة الشخصية، ولا بالقرابة العاطفية، ولا بالظروف الاجتماعية.

وجاء الأمر فيها واضحاً: أقيموا الشهادة بالحق حتى لو كانت ضد أنفسكم، أو ضد أقرب الناس إليكم كوالديكم وأقاربكم، فلا تمنعنّكم العاطفة عن القول بالحق، ولا تجعلوا غنى الغني داعياً للمحاباة طمعاً، ولا فقر الفقير داعياً للتعاطف معه على حساب الحق؛ فالله أرحم بهما وأعلم بمصلحتهما منكم، ولا تجعلوا أهواءكم ورغباتكم الشخصية تتسبب في ميلكم عن الحق والعدل.

والرسول ﷺ يقرر هذه القاعدة بعبارة حاسمة في حديث المرأة المخزومية التي سرقت:

«وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (رواه البخاري ومسلم)

هذا التجرد الكامل عن العاطفة والنسب هو الذي جعل العدالة الإسلامية مظلة يستظل بها كل من عاش في دار الإسلام، سواء كان مسلماً أم ذمياً أم معاهداً.

حادثة بني أبيرق – القرآن يبرئ يهودياً ويدين مسلماً

تعتبر قصة بني أبيرق حادثة مفصلية في التشريع الإسلامي؛ بل وفي التاريخ الإنساني كله؛ لأنها شهدت بنزول قرآني يصحح مجرى القضاء ويبرئ يهودياً اتُّهِم ظُلماً، على حساب أشخاص يتظاهرون بالإسلام وينتمون لقَبِيلَةٍ ذات ثقل في المجتمع المدني.

وتتلخص الواقعة كما رواها أصحاب السنن والمسانيد (كالترمذي والحاكم وغيرهما) في أن رجلاً من الأنصار يقال له رفاعة بن زيد سُرِقَتْ منه دِرعٌ (وكانت في جراب فيه دقيق). فاستُروح أثر الدقيق حتى انتهى إلى دار بني أبيرق — وهم: بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ وينسبه إلى غيره.

عندما بدأ رفاعة وابن أخيه قتادة بن النعمان بالبحث والتفتيش، خاف بنو أبيرق من الفضيحة، فأتوا إلى رجل يهودي يقال له زيد بن السمين وأودعوا عنده الدرع المسروقة ليلاً ليُبعدوا الشبهة عن أنفسهم.

فلما أصبح الناس وجاء التفتيش، قال بنو أبيرق: "والله ما أخذها إلا زيد بن السمين"، فلما سُئل زيد قال: "دفعها إليّ بشير بن أبيرق". ولأن بني أبيرق كانوا أناساً من أهل الدار والإسلام ظاهراً، ولهم عشيرة تدافع عنهم، جاء قومهم إلى النبي ﷺ وقالوا:

"يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه يعمدان إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت!"

وأمام الوقائع الظاهرة، والشهادات الصادرة من أهل العشيرة، مال النبي ﷺ بحكم البشرية وبناءً على الظاهر إلى العذر لبني أبيرق، ولام قتادة بن النعمان على رميه إياهم بالسرقة بدون بينة قطعية.

ولم يلبث الأمر أن نزل الوحي الإلهي ليقطع الشك باليقين، ليس ببيان حقيقة الحادثة فحسب، بل بتنزيل عشر آيات متتابعة في سورة النساء تُعتبر وثيقة خالدة للعدالة المطلقة.

الدرس التشريعي.. والسبق الحضاري

تولى القرآن الكريم كشف الحقائق وإعادة النصاب إلى أهله عبر آيات تتضمن توجيهاً، وتحذيراً، وبراءة، وحكماً عاماً:

العتاب والتوجيه للنبي ﷺ:

بدأت الآيات بالتعليم الرباني المباشر للنبي ﷺ:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥ – ١٠٦]

﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾: أي بالعدل والحق الذي شرعه الله، وليس بمجرد الظواهر التي قد يُلبّس بها الخائنون.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾: نهي صريح عن الدفاع عن بشير بن أبيرق وأمثاله من الخونة، حتى لو أظهروا الإسلام.

بيان بطلان المدافعة عن أهل الباطل:

مضت الآيات تُبيّن أن التستر على المفسدين وتبرئة المجرمين بناءً على القرابة أو الانتماء المجتمعي جريمة في حق العدالة:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٧ – ١٠٨]

هنا تعرية لمكر بني أبيرق، الذين حاولوا استغلال حُرمة المجتمع المسلم، للتغطية على جريمتهم وتوريط رجل يهودي لا ذنب له.

إعلان براءة زيد بن السمين اليهودي:

توجّت الآيات هذا التنزيل بإعلان براءة الرجل اليهودي وحصر الجريمة والإثم في الجاني الحقيقي:

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]

فقد نصت الآية على تبرئة زيد بن السمين وسمّت ما فعله الخائن به "بهتاناً وإثماً مبيناً"، ليُقطع الطريق أمام أي محاولة للاستخفاف بحقوق غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية.

الآثار الفقهية والحضارية لحادثة بني أبيرق

تتعدى أبعاد قصة بني أبيرق مجرد كونها حادثة تاريخية وقعت في زمن النبوة، بل تمتد لتكون قواعد كليّة يسترشد بها الفقه الإسلامي، بل والفكر الحضاري الإنساني كافة:

إرساء مبدأ "البراءة الأصلية" وحرمة الاتهام بلا دليل:

أكدت الحادثة أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته ببينة قطعية، وأن الحماية الفقهية والقانونية تشمل جميع الرعايا والمواطنين بصرف النظر عن عقائدهم.

سموّ الحقيقة التشريعية على الأعراف والروابط العشائرية:

في مجتمع قبلي كالمجتمع العربي القديم، كانت العشيرة تدافع عن ابنها بلا اعتبار لحق أو باطل. جاء القرآن الكريم ليكسر هذا النمط:

حيث برأ الغريب (اليهودي) الذي لا عشيرة له في المدينة.

وأدان ابن العشيرة والدار (بشير بن أبيرق) وردّ دفاع قومه عنه.

تعزيز المصداقية الأخلاقية للدولة الإسلامية:

لو كانت الشريعة الإسلامية تسعى لتحقيق مكاسب سياسية أو تعصب ديني، لكان من أسهل الأمور إدانة اليهودي وتغطية الأمر على الأنصاري لحفظ تماسك المجتمع المدني. لكن القرآن نزل بغير ذلك تماماً، ليؤكد أن العدل قيمة مطلقة لا تخضع للمداراة المصلحية.

تطبيقات العدالة المطلقة في التاريخ الإسلامي

لم تكن قصة بني أبيرق حادثة فريدة في تاريخ الشريعة، بل رسمت منهاجاً مشى عليه خلفاء المسلمين وقضاتهم عبر العصور، ووعت ذاكرة التاريخ حوادث لا تحصى من عدالة المسلمين مع الكافرين، ومن هذه الوقائع:

موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع القبطي وابن عمرو بن العاص:

عندما تسابق ابن أمير مصر (عمرو بن العاص) مع رجل قبطي فضربه ابن عمرو، ذهب القبطي إلى عمر بن الخطاب في المدينة المنورة. فاستدعى عمر أمير مصر وابنه، ومكّن القبطي من القصاص، وقال مقالته الشهيرة التي دوت في مسامع الدنيا، وآفاق التاريخ:

"متى استعبتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟"

قضاء شريح القاضي في درع علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أمام القاضي شريح خصماً لرجل نصراني في درع فقدها عليّ ووجدها عند النصراني. ولما لم تكن لعليّ بينة غير شهادة ابنه الحسن (ولم يُجِزْ القاضي شهادة الابن لأبيه حينها)، حكم القاضي شريح بالدرع للنصراني!

أسفر هذا العدل العجيب عن إسلام النصراني الذي قال: "أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليّ! أشهد أن هذا دين أنبياء".

وأخيراً:

إن الدارس للتشريع الإسلامي يدرك بيقين، أن العدالة المطلقة ليست مجرد شعار براق، بل هي جوهر الدين وعماد شريعته الخالدة.

ستبقى قصة بني أبيرق وزيد بن السمين نجماً مضيئاً يشهد على عظمة هذا الدين؛ حيث تنزل عشر آيات قرآنية تُتلى إلى يوم القيامة لرد الحق لرجل يهودي وتكذيب وتبرئة من أظهر الإسلام، لتستقر القاعدة التشريعية الرفيعة: أن الحق يعلو ولا يُعلى عليه، وأن العدل الإسلامي ميزان مستقيم لا يميل مع العاطفة، ولا يجور مع العداوة.

إن الشريعة التي حمت حقوق مخالفها وأعلنت براءته في كتاب يُتلى في المحاريب، لهي الشريعة الكفيلة بإرساء السلام الإنساني والعيش المشترك القائم على القسط والكرامة الإنسانية.

علاقة المسلمين بغيرهم.. تعاون وتحاور، لا تقاتل وتصادم

هذا هو الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم، كما أوضحها القران الكريم فى كثير من الايات البينات، فقد خلق الله عز وجل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا، لا ليتحاربوا ويتقاتلوا، وجعلهم أمما متباينة، وأقطارا متباعدة، واتجاهات شتى، ليفيد بعضهم بعضا، ويعاون بعضهم بعضا، قال تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن

ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]

فالله عز وجل جعل الناس مختلفين ليتدافعوا ويتعاونوا ويتحاوروا، وذلك لأن أصل العلاقات الدولية فى الإسلام هو السلم، وليس الحرب، وهنا يجب التأكيد على أن دين الإسلام، وشريعة القرآن فى غاية الوضوح فى تقرير أن أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هى التكافل، والتعاون، والتناصح، والمودة، والبر، والعدل، أما القتال فلا يشرع بحال إلا لرد العدوان، أوالدفاع عن الدين أو النفس او الوطن أو العرض قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةًۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: ٧-٩]

فالأصل فى العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هوالبر والعدل، والإحسان والفضل، أما الحرب فى نظر الإسلام فهى أمر مكروه ، وشأن غير مشروع إلا فى حالات الضرورة، قال تعالي : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

والحرب فى الاسلام للدفاع وليست للهجوم والعدوان، الحرب فى الإسلام لم تشرع إلا للدفاع عن الوطن أو النفس أو الدين أو العرض، وغير ذلك فلا تشرع بحال، قال تعالى : ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا

تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٢]

وقال سبحانه وتعالي: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]

فالحرب فى الإسلام شرعت لرد العدوان، وتأمين الممتلكات، وحماية النفوس، والدفاع عن الدين والعرض، ولم تشرع للعدوان، وانتهاك الحرمات، وسلب الحقوق.

يقول الدكتور محمد عمارة فى كتابه الماتع الإسلام والآخر: " لقد جاء القرآن على عكس كل الفلسفات، والنظريات، ومدارس التحليل النفسي، والاجتماعى، التي رأت فى القتال والعنف والحرب غريزة أصيلة ولصيقة بالإنسان، وثابتا أزليا وأبديا من ثوابت النفس الإنسانية، جاء القرآن على العكس من ذلك كله، ليقرر أن القتال – إنسانيا ودينيا – أمر مكروه وطارىء واستثناء تفرضه الضرورات، فإذا حدث وفرضت الضروريات هذا الاستثناء الطارىء، فإن مثله كمثل كل الجراحات الضرورية والمكروهة لا يخلو من خير، إذا كانت مقاصده خيرة، وإذا دفع فسادا أكثر وأرجح، وإذا وقفت عند القدر الذى تحتمه الضروريات، وإذا ضبطت ممارسته بالشمائل والأخلاقيات الإنسانية والشرعية التى لابد وأن تتحلى بها فروسية هذا القتال"

وهنا قد يقول قائل: إن ما فعلته المقاومة الفلسطينية فى يوم السابع من اكتوبر كان هجوما ارهابيا، وليس عملا دفاعيا.

وهذا وهم مفضوح، وكذب مفتوح، لأن عمل المقاومة الفلسطينية فى السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م عمل مشروع فى ميزان الاسلام، بل اجتمعت فيه كل أسباب المشروعية للجهاد فى الاسلام، لأنه جهاد للدفاع عن الوطن من احتلال غاشم، وجهاد للدفاع عن النفس والوطن والعرض والدين، فهوعمل جهادى اجتمعت فيه كل أسباب مشروعية الجهاد فى الاسلام، وهو مقاومة مشروعة من وجهة نظر القانون الدولي لأنه مقاومة لتحرير الأرض من احتلال غاشم باعتراف الأمم المتحدة.لقد احتلت اسرائيل ارض فلسطين، واغتصبت حق أبناء فلسطين فى تقرير مصيرهم،

وحكم بلادهم، وعبادة ربهم، بل انهم اغتصبوا حق المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها فى زيارة قبلتهم الاولى ومسرى نبيهم، واعتدت على المسجد الاقصي ومدينة القدس وبذلت كل ما فى وسعها من أجل هدم المسجد الأقصي وتغيير الخريطة السكانية لمدينة القدس، بل إن أكثر دولة اعتدت على القانون الدولى فى العالم هى اسرائيل كما فى سجلات الأمم المتحدة ، المنظمة الدولية والهيئة الأممية المعنية بتحقيق السلم والامن فى العالم كله، والمعروفة بانحيازها السافر والدائم للصهاينة على حساب الفلسطينيين، وعلى حساب حقهم المشروع فى حكم بلادهم، وتقرير مصيرهم، وهذه شهادة من العالم كله بإجرام الصهاينة، واغتصابهم لكافة الحقوق المشروعة لأبناء فلسطين، وهذا ما يؤكد أن ما قامت به المقاومة الفلسطينية كانت حركة تحرير لوطن محتل.

معاملة المدنيين أثناء القتال بين التوراة والقرآن

يقصد بالمدنيين كل إنسان لا يشارك فى القتال رجلا كان أو امرأة، شيخا أم شابا، ففي أثناء القتال ضرب الإسلام أروع الأمثلة فى النبل والفروسية والإحسان لغير المحاربين، وأوجب الحماية الكاملة لكل إنسان لا يشارك فى القتال، وأوجب حماية الحيوانات والنباتات والحجر والشجر، وكل مظاهر وأشكال البنية التحتية – بلغة العصر – وهذا سبق حضارى لم تعرف له الإنسانية نظيرا عبر الزمان والمكان، وقد ضربت المقاومة الفلسطينية أروع الأمثلة فى معاملة الأسرى معاملة كريمة تليق

بأخلاق الإسلام، فى حين ضرب الاحتلال أقبح الأمثلة فى معاملة الأسري، وقد شهدت شاشات التفلزة الكثير والكثير من هذه الفيديوهات التى توثق المعاملة الفاضلة من جانب المقاومة، والمعاملة الشريرة من جانب الاحتلال.

وكان ما قامت به المقاومة الفلسطينية هذا امتثالا لأوامر الشرع الحنيف التى تفرض معاملة الاسرى ومعاملة المدنيين معاملة كريمة، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والولدان فى أثناء القتال، فعن ابن عمر – رضى الله عنهما- : { أن رسول الله ﷺ رأى فى بعض مغازيه امرأة مقتولة، فأنكر ذلك، ونهي عن قتل النساء والصبيان} رواه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ.

وفى الوصية الشهيرة للخليفة الأول أبي بكر الصديق - رضى الله عنه – لقائده يزيد بن أبي سفيان - رضى الله عنهما – " إنك ستجد أقواما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإنى موصيك بعشر: لاتقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكله، ولا تحقرن نخلا، ولا تغلل، ولا تجبن" رواه مالك فى الموطأ.

فهذه الأحاديث توضح الأساس المتين، والدستور القويم لمعاملة المدنيين فى أثناء القتال، وأن الإسلام فرض حماية المدنيين فى القتال حماية شاملة، تشمل حماية أرواحهم، وصيانة دمائهم، وتأمين ممتلكاتهم، وقداسة أعراضهم، وحمايتها حماية كاملة وتجريم المساس بها، وبهذا حقق الإسلام سبقا حضاريا للحضارة الإنسانية قاطبة بأكثر من ألف وثلاثمائة عام، قبل أن تعرف الحضارة الإنسانية اتفاقيات جنيف، ومعاهدات حقوق الإنسان، وأمثال هذه المعاهدات الكثر، والتى لا يعرفها المنتصر أبدا، ولا يذكرها إلا ضحايا الحروب، وهم يصرخون، ولا يسمع أحد أنينهم، ولا يتأوه أحد لتوجعهم.

والكلام النظرى رائع جدا فى كل الأمم، وسائر الدول، ومختلف الحضارات، والتطبيق العملى تسوده الوحشية، إلا فى دين الإسلام فكان التطبيق مثاليا، كما كانت النظرية مثالية سباقة فى ميدان الحضارة، ولنضرب على ذلك مثالا يؤكد ما نقول، ونثبت من خلاله، أن الحرب في الإسلام لحماية النفوس، وفي غير الإسلام لقطع الرؤوس، وأن الإسلام يحمى المدنيين وممتلكاتهم أثناء القتال.

غزوة تبوك نموذجًا :

كانت غزوة تبوك في رجب سنة ٩ هـ، وكان تعداد جيش المسلمين ٣٠ ألف مقاتل بقيادة الرسول ﷺ.

خرج الجيش من المدينة المنورة ليُؤدِّب جيش الرومان أكبر قوة عسكرية في العالم في حينه، واستغرق جيش المسلمين شهرًا في الطريق حتى يصل إلى تخوم أرض الروم في تبوك، وقبل وصول جيش المسلمين فَرَّ هاربًا من أمامه جيشُ الروم، وهو أكبر قوة عسكرية في العالم في هذا الوقت.

مكث النبي ﷺ في أرض تبوك عشرين يومًا ليثبت للعالم وقتها تفوُّق جيش المسلمين على جيوش الرومان التي كانت تحكم قرابة نصف العالم في هذا الوقت، ثم قَفَلَ النبيُّ ﷺ عائدًا إلى المدينة المنورة بجيوش المسلمين مُظفَّرًا بنَصْر تاريخي.

ولنا هنا ملاحظات تؤكِّدها وقائع التاريخ:

١ - لم يقتل جيش المسلمين في هذه الغزوة فردًا واحدًا من الكُفَّار ولا من غيرهم.

٢ - لم يجرحوا فردًا واحدًا.

٣ - لم تُدمَّرْ قرية ولا مدينة ولا قبيلة على مدار شهر ذهابًا وشهر إيابًا وعشرين يومًا مكوثًا في تبوك.

٤ – لم تُغتَصب امرأة واحدة.

هل رأى العالم في التاريخ كله جيشًا قوامه ثلاثون ألف مقاتل يخرج في طريق طويلة تقترب من ألف كيلو متر أو يزيد، ويمكث في مهمته قرابة ثلاثة أشهر، ويمُرُّ على الأخضر واليابس، والخرب والعامر، ولا يقتل إنسانًا واحدًا، ولا تُغتَصب امرأة واحدة،

ولا تخرب قرية واحدة؛ بل أكثر من ذلك لم يغتصبوا دينارًا ولا درهمًا من غيرهم، ولم يُدمِّروا حَجَرًا، ولم يقتلعوا شجرًا، ولم يقتلوا بَشَرًا.

الوقائع والتاريخ يثبتان للدنيا كلها أن جيش المسلمين يتربَّع على قِمَّة أخلاق العالم كله بلا منافسٍ ولا منازعٍ، وأن حروب المسلمين كانت لحماية النفوس وحروب غيرهم كانت لقطع الرؤوس، وأن دين الإسلام يأمر بالمحافظة على نفوس الأعداء والأولياء على السواء.

معاملة المدنيين أثناء القتال فى الشريعة اليهودية:

تأتى النظرية دائما بتعاليم مثالية، وقيم جمالية، وأخلاق رفيعة، ومبادئ نبيلة، وحين يقوم الإنسان بتطبيق هذه النظرية على أرض الواقع، تحدث تجاوزات كبيرة، وأخطاء جسيمة فى الأعم الغالب من واقع المجتمعات البشرية.

وفى تجارب التاريخ الطويلة تثبت الوقائع بما لا يدع مجالا للشك، أن الإنسانية لم ترتق إلي قمة الحضارة الإنسانية إلا حين اتخذت الإسلام دينا، وهى مرشحة للعودة إلى القمة، كلما عادت الى دين الإسلام.

أما شريعة اليهود الماثلة أمامنا، والبادية أمام ناظرينا، فقد جاءت بمبادئ سافلة، وتعاليم فاحشة تدعو إلى الشرور التى لا تخطر على بال، فتوراة اليهود تدعو إلى الإبادة الجماعية، لأمم الأرض كلها، التى لا تدين باليهودية، وإذا بحثت فى الوجود كله فلن تجد دينا أحل الموبقات، وأباح المهلكات، ونشر الفساد مثل توراة اليهود، وإذا كانت المبادئ النظرية على هذا الدرك من الانحطاط فكيف سيكون التطبيق العملي، لا شك أنه سيكون الصورة الأوقح لحيوان فى شكل إنسان، وسيبدو جليا أنه الأشد سقوطا، والأسرع انحطاطا، والأقبح منظرا، والأضل سبيلا، يقول الدكتور محمد عمارةفى كتابه الإسلام والاخر: " أما موقف اليهودية التوراتية، من قتال وقتل الآخرين والأغيار، فإنه بإيجاز: " الإبادة لكل الآخرين، حتى ولو كانوا لا علاقة لهم بالقتال وفنونه، أو حتى نيته والتفكير فيه، الإبادة لمطلق الناس، وعموم النفوس، بل وللبيئة والمحيط اللذين يعيش فيهما هؤلاء الآخرون، شريطة أن يكون اليهود على هذه الإبادة قادرين"

وسننقل هنا نصوصا قليلة، ومقطوعات يسيرة من توراتهم التى حرفوها وادعو أنها من عند الله سمحفَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩سجى [البقرة: ٧٩]

التوراة تدعو إلى إبادة غير اليهود بحرقهم بالنار، وبأبشع صور الإبادة وتنسب هذا الجرم الذى يترفع الشيطان عن قوله الى الله تبارك وتعالي عما يقولون علوا كبيرا، " إن سمعت عن إحدي مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها ..فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلي وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلي الأبد، لا تبنى بعد .. لكي يرجع الرب عن حمو غضبه، ويعطيك الرحمة" (سفر التثنية: إصحاح: ١٣:١٧)

فهل هذا إله، من يزعمون أنه لا يرحم إلا المجرمين، وليس أى مجرمين، إنهم لا بد أن يحرقوا بالنار، وأن يقوموا بجرائم إبادة جماعية لغير اليهود، أو من يسمونهم الأممين أو الأغيار، ومن هؤلاء الأغيار: المديانيين، فقد أمر الرب – يهوه – النبي موسي بقتل المديانيين بحرقهم، وحرق ممتلكاتهم، وكأنه رئيس عصابة، وأحيانا تجد عند رئيس العصابة شيئا من الرحمة، أما هؤلاء فلا يعرفون من الرحمة شيئا ، جاء فى سفر العدد: " وكلم الرب موسي قائلا: انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين.. فكلم موسي الشعب قائلا: جردوا منكم رجالا للجند،فيكونوا على مديان، كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر.. وسبي بنو اسرائيل نساء مديان، وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم،وجميع مواشيهم،وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة، وكل النهب من الناس، والبهائم، وأتوا إلى موسي وألعازار الكاهن، وإلي جماعة بني اسرائيل بالسبي والنهب ، والغنيمة." (سفر العدد: إصحاح: ٣١)

فهذه التوراة التى يزعمون أنها كتاب مقدس من عند الله، وهذا كذب مفضوح تعلمه الدنيا كلها، المهم أنهم يدينون بها كتابا مقدسا من عند الله حسب زعمهم، جاء فى توراتهم هذه، أن الرب – يهوه – يأمرهم بالإبادة الجماعية، لأهل الأرض جميعا، وإلا سيحل بهم عقاب الله، وأنا كاتب هذه السطور أحسب أن الشيطان نفسه لا يقوى على اختراع هذا الإجرام، جاء فى سفر العدد: " وكلم الرب موسي فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا: كلم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الاردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. تملكون الأرض وتسكنون فيها.. وإن لم

تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذى تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقون فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها، فيكون أنى أفعل بكم، كما هممت أن أفعل بهم" (سفر العدد: إصحاح: ٣٣)

هل علمتم من أين أتت الجماعات الإرهابية، إن تعاليم التوراة كفيلة بتخريج كل جماعات الإرهاب فى الكوكب، وفى أجوار هذا الكوكب.

فأين هذا من تعاليم الإسلام، وأحكام القران، التى تدعو إلى التعاون، والتراحم والتكافل والبر والعدل بين الإنسانية كلها، والتى لا تفرق بين عرب وعجم، ولا بين أسود ولا أبيض، جاء فى كتاب رسول الله ﷺ، إلى نصارى نجران" لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين"

وانظر إلى كتاب الله عزوجل وهو يقول: سمحمِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ سجى [المائدة: ٣٢]

فالقران الكريم صريح جدا فى تحريم قتل النفس، والنفس هنا كل نفس إنسانية مسلمة أو كافرة، فقتل غير المسلم حرام بل إن إيذاء غير المسلم حرام،

إنها تعاليم إنسانية مقابل تعاليم شيطانية إرهابية.

تعاليم القران تربي الانسان، وتهذب الوجدان، وترقق القلوب، وتبني الإنسانية الفاضلة، وترتقي بالانسانية إلى قمة الحضارة

مقابل تعاليم التوراة التى تدمر العمران، وتقتل الإنسان، وتخرب البنيان، وتأمرالابادة الجماعية لغير اليهود، إن داعش تلميذ فاشل فى مدرسة الإرهاب التوراتية.

منهجية الإصلاح السياسي فى المشروع الإسلامي

يهدف المشروع الإسلامي أن يعم العالم ثلاث قيم أساسية، وهى الحرية، والعدل، والسلام.

فالحرية هتف بها القرآن من قديم الزمان، قال تعالى: { ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]

وآيات القرآن الكريم التى دوت فى جنبات الوجود معلنة الحرية فريضة إسلامية كثيرة شهيرة، فرب العالمين سبحانه وتعالى أرسل محمدا ﷺ حاملا لواء الحرية لكل الإنسانية، ومحاربا للظلم فى كل أقطار الدنيا، ورافعا راية العدل بين البشر جميعا، مسلمين وغير مسلمين، ومن روعات هذا الدين، أنه يحارب الظالم ويقف مع المظلوم

مهما كان دينه، وقد أفتى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى أن للمسلم أن يدافع عن غير المسلم، حتى وإن كان الجانى مسلما،فإن قتل فهو شهيد، فهل رأت الدنيا كلها دينا يحارب أبنائه الظالمين، من أجل أعدائه المظلومين، وليس فى الإسلام ما يعرف بمعاداة السامية، أو معاداة الإسلام، فمعاداة السامية إرهاب فكرى يمارسه الغرب ضد البشر جميعا حتى يومنا هذا، ولن يذوق العالم طعم الحرية إلا فى ظلال هذا الدين الحنيف.

فما منهج الإصلاح السياسي فى هذا الدين؟

بداية ما هى السياسة؟

يقول ابن مفلح فى كتابه الفروع: " وأكثر السلاطين يعملون بأهوائهم وآرائهم، لا بالعلم، ويسمون ذلك سياسة، والسياسة هى الشريعة"

وفى قصة الحضارة يقول ول ديورانت: " السياسة هى فن المواءمة بين أهداف الأقليات المتضاربة، وصالح الجماعة"

ومن أفضل ما قيل فى تعريف السياسة ما ذهب إليه ابن عقيل فى كتابه الفنون: "السياسة ما كان فعلا يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه رسول، ولا نزل به وحى، فأى طريق استخرج به العدل فهو من الدين"

فدين الإسلام يفتح الباب واسعا أمام كل اجتهاد وابتكار فى عالم الأفكار، ويوجب على المسلمين الأخذ بأحسن وأفضل ما توصل إليه العقل البشري فى الدنيا كلها، بشرط واحد فقط، وهو أن لا يتعارض مع الدين وهذا الشرط هو ما كان ينقص تعريف ابن عقيل للسياسة.

وللإصلاح السياسي فى الإسلام خمس أركان، أو أسس خمس:

١ – الشورى

٢ – الفصل بين السلطات

٣ – التدرج فى الخطوات

٤ – البعد عن مواطن الخلاف

٥ ــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أولا: الشورى

الشورى هى سر نهضة الأمم وقوتها وازدهارها، وما هوى بالأمم ، وذهب بالدول إلى أسفل سافيلن إلا الاستبداد وحكم الفرد، وما ارتقي بالدول ورفع شأنها إلا الشورى وتداول السلطة

والشورى فى الإسلام فريضة لازمة، يجب على الأمة القيام بها، ويحرم التفريط فيها، فى كل زمان ومكان، فى الدول المتحضرة والمتخلفة على السواء، وزعم البعض أن هناك أمما متخلفة، لا تصلح للتجربة الديمقراطية، زعم فاسد، لا يهدف إلا لتبرير الاستبداد والديكتاتورية وحكم الفرد، فقد نزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

عقب هزيمة أحد، وكان من أحد أسباب الهزيمة، هو إعمال مبدأ الشورى فى الأمة، وبالرغم من ذلك نزل الأمر الإلهى بوجوب إعمال الشورى حتى وإن أدت إلى مالا يحمد عقباه

ثانيا: الفصل بين السلطات

الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وقد أثبتت التجربة أن الفصل بين السلطات ضرورة لازمة، وأمر لا بد منه حتى يتمكن جهاز الدولة من القيام بالدور المطلوب منه على أتم وجه، وعدم الفصل بين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية يؤدى إلى تغول السلطة التنفيذية على السلطتين القضائية والتشريعية، وهذا هو رأس الفساد فى أى دولة من الدول، وعدم استقلال القضاء يعنى الظلم، وضياع الحقوق، وتكون حياة البشر كحياة الحيوان فى الغاب، يأكل القوى الضعيف بلا رحمة، مما يؤدى إلى الدمار الشامل فى كل مجالات الحياة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة الحسبة :(الجزاء في الدنيا متفق عليه أهل الأرض، فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة "اهـ.

ولما سمع عمرو بن العاص المستوردَ بن شدادَ يحدث عن النبي ﷺ بقوله :تقوم الساعة والروم أكثر الناس. قال له عمرو: أبصر ما تقول؟ فقال المستورد: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. فقال عمرو: لئن قلت ذلك؛ إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك .رواه مسلم.

ثالثا: التدرج فى الخطوات

وهذا ما سار عليه القرآن الكريم فى كثير الأمور منها تحريم الخمر مثلا، ولا بد فى الإصلاح السياسي وغيره من مجالات الإصلاح من السير برفق، فما دخل الرفق فى شىء إلا زانه، وما كان العنف فى شيء إلا شانه، فلا بد فى الإصلاح من التروى والتمهل والترفق والتعقل، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]

رابعا: البعد عن مواطن الخلاف

الخلاف فرقة والفرقة عذاب ودمار، والإسلام أحرص ما يكون على وحدة الصف، ولم الشمل، وجمع الكلمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦]

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص الناس على وحدة الكلمة، والبعد عن مواطن الخلاف، ويدل على ذلك، ما أخرجه البخاريّ عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، قال: "اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ الِاخْتِلَافَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ، أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي"

فالمصلح يتحسس مواضع الاتفاق فيسعي إليها، ويسوق الجماهير إلى لزومها، والتمسك بها، ويفر من مواطن الخلاف فراره من المجذوم، بل فراره من أسد جائع، حتى يتمكن من السير بالأمة إلى ما يقيم أمرها، ويصلح شأنها، ويرتقي بكل أحوالها.

خامسا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وهذا أساس الإصلاح الذى يشجع الفضيلة، ويحارب الرذيلة، ويقوم الخطأ، ويربي الوازع الدينى داخل النفس الإنسانية، ليجعل منها حارسا أمينا على قيم الإسلام وتعاليم الإيمان، عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم" رواه أحمد والترمذى

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

الإسلام دين العزة والكرامة والحرية والعدل والمساواة، ولقد أرسل الله عز وجل نبيه محمد ﷺ لتحقيق هذه المبادىء العظيمة للبشرية كلها وليس للمسلمين وحدهم، ولكن دون تحقيق هذه الغاية عقبات كؤود، وصعاب ضخام، وفتن والاعيب، وأحقاد وأطماع، لا يسلم منها جيل، ويعرفها الكبير والصغير.

والإسلام حرم ظلم الإنسان والحيوان، وقد يتوهم إنسان أن الإسلام حرم ظلم المسلم، وأباح ظلم غير المسلم، وهذا خطأ قاتل، لأن ظلم غير المسلم حرام كحرمة ظلم المسلم، بل اكثر من ذلك، إن دين الإسلام يوجب على المسلم الدفاع عن المظلوم ولو كان الجانى مسلما، والمجنى عليه غير مسلم، فإذا قُتِل المسلم وهو فى حالة دفاع عن غير المسلم كان شهيدا، حتى لو كان القاتل مسلما، فهل رأيتم دينا يقتل أبنائه الظالمين من أجل أعدائه المظلومين.

ومن أجل تحقيق العدل فى الأرض، ومحاربة الظلم والبغي والعدوان شرع الإسلام الجهاد، بل جعله الرسول ﷺ ذروة سنام الإسلام لما قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (رَأسُ الأَمرِ الإسلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِروَةُ سَنَامِهِ الجِهَاد) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة، بل عَدَّه بعض السلف ركنا سادسا من أركان الإسلام.

والجهاد يكون بالنفس ويكون بالمال ويكون باللسان، وفى مقالنا هذا سنسلط الضوء على الجهاد بالمال، ولماذا قدمه القران الكريم على الجهاد بالنفس؟

ونقول: لقد جاء الأمر بالجهاد فى القرآن الكريم فى أكثر من ثلاثين موضعا، منها عشرة آيات ورد الأمر فيها بالجهاد بالنفس والمال، منها واحدة فقط تقدم فيها الجهاد بالنفس على الجهاد بالمال، وهى قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم} (التوبة: ١١١)

وفى المواضع التسع الباقية تقدم فيها الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، وهذه المواضع هى:

١- (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا). (النساء: ٩٥)

٢- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهَ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض). (الأنفال: ٧٢)

٣- (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون). (التوبة: ٢٠)

٤- (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُم تعلمون). (التوبة : ٤١)

٥- (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّه عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِين). (التوبة: ٤٤)

٦- (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهَ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه). (التوبة: ٨١)

٧- (لَكِنَّ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون). (التوبة: ٨٨)

٨- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون). (الحجرات: ١٥)

٩- (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُون). (الصف: ١١)

وجاء في السُّنة النبوية أيضا تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس:

عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ». أخرجه أحمد ،وأبو داود، والنسائي، والدارمي .

فما الحكمة فى تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس؟

قال ابن القيم – رحمه الله – في كتابه الفوائد، فى حكمة تقديم المال على النفس:

«أولاً: هذا دليل على وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، فإذا دهم العدو وجب على القادر الخروج بنفسه، فإن كان عاجزاً وجب عليه أن يكتري بماله.

ومن تأمَّل أحوال النبي - ﷺ - وسيرته في أصحابه - رضي الله عنهم - وأَمْرَهم بإخراج أموالهم في الجهاد، قطع بصحة هذا القول. والمقصود: تقديم المال في الذكر، وأن ذلك مشعِرٌ بإنكارِ وَهْمِ مَنْ يتوهم أن العاجز بنفسه إذا كان قادراً على أن يغزو بماله لا يجب عليه شيء؛ فحيث ذكر الجهاد قدَّم ذكر المال؛ فكيف يقال: لا يجيب به؟

ولو قيل: إن وجوبه بالمال أعظم وأقوى من وجوبه بالنفس، لكان هذا القول أصحَّ من قول من قال: لا يجب بالمال، وهذا بَيِّن، وعلى هذا فتظهر الفائدة في تقديمه في الذكر.

وفائدة ثانية: على تقدير عدم الوجوب؛ وهي أن المال محبوب النفس ومعشوقها التي تبذل ذاتَها في تحصيله وترتكب الأخطار وتتعرض للموت في طلبه، وهذا يدل على أنه هو محبوبها ومعشوقها، فندب الله - تعالى - محبِّيه المجاهدين في سبيله إلى بذل

معشوقهم ومحبوبهم في مرضاته؛ فإن المقصود أن يكون الله هو أحب شيء إليهم، ولا يكون في الوجود شيء أحبَّ إليهم منه، فإذا بذلوا محبوبهم في حبه نقلهم إلى مرتبة أخرى أكمل منها؛ وهي بذل نفوسهم له؛ فهذا غاية الحب؛ فإن الإنسان لا شيء أحبَّ إليه من نفسه، فإذا أحب شيئاً بذل له محبوبه من نفسه وماله، فإذا آل الأمر إلى بَذْلِ نفسه ضنَّ بنفسه وآثرها على محبوبه.

هذا هو الغالب وهو مقتضى الطبيعة الحيوانية والإنسانية؛ ولهذا يدافع الرجل عن ماله وأهله وولده فإذا أحس بالمغلوبية والوصول إلى مهجته ونفسه فرَّ وتركهم، فلم يرضَ الله من محبيه بهذا، بل أمرهم أن يبذلوا له نفوسهم بعد أن بذلوا له محبوباتهم. وأيضاً فبذل النفس آخر المراتب؛ فإن العبد يبذل ماله أولاً يقي به نفسه، فإذا لم يبقَ له ماله بذل نفسه؛ فكان تقديم المال على النفس في الجهاد مطابقاً للواقع.

وأما قوله - تعالى -: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم} [التوبة: ١١١]، فكان تقديم الأنفس هو الأَوْلَى ؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنَّته، فكانت هي المقصودة بعقد الشراء. والأموال تَبَع لها فإذا مَلَكها مشتريها ملك مالها؛ فإن العبد وما يملكه لسيده، ليس له فيه شيء؛ فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها».

وقال الشنقيطي - رحمه الله – في تفسيره أضواء البيان: «وحقيقة الجهاد بَذْلُ الجهد والطاقة، والمال هو عصب الحرب، وهو مدد الجيش، وهو أهم من الجهاد بالسلاح؛ فبالمال يُشتَرَى السلاح، وقد تُستَأجَر الرجال؛ كما في الجيوش الحديثة من الفِرَق الأجنبية، وبالمال يجهَّز الجيش؛ ولذا لما جاء الإذن بالجهاد أعذر الله المرضى والضعفاء، وأعذر معهم الفقراء الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم، وأعذر معهم الرسولَ - ﷺ -؛ إذ لم يوجد عنده ما يجهزهم به؛ كما في قوله - تعالى -: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى} [التوبة: ٩١]، إلى قوله: {وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ} [التوبة: ٩٢].

وكذلك من جانب آخر: قد يجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء، كما ورد عن زيد بن خَالِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» متفق عليه.

ولعل السر فى تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس ما يلي:

١ – أن النفس الإنسانية تحب المال حبا شديدا، كما في قوله تعالى: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) (الفجر: ٢٠)، وتبذل فى سبيل تحصيله الغالي والرخيص، وفى بذل المال فى سبيل الله جهاد شديد للنفس، والله عز وجل يحب من المؤمن أن يكون حبه لله عز وجل، أشد من حبه لنفسه وماله وولده والناس أجمعين.

٢ – فى الخروج للجهاد بالنفس فرصة للعود سالما، وأحيانا غانما إلى أهله، وفى بذل المال فى سبيل الله لا توجد فرصة لعود المال إلى صاحبه، ولا توجد فرصة لتعويض ما بذل عوضا ماديا دنيويا.

٣ – الجهاد بالنفس يحتاج إلى عدة وعتاد وسلاح، ولا بد للمجاهد من سلاح وذخيرة ومؤنة، ولا بد من نفقة للمجاهد ولزوجه ولولده، ولكل من يعولهم، ولذا جاء فى الحديث:«مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فقد غزا" متفق عليه.

٤ – الجهاد فى سبيل الله يحتاج إلى دعم معنوى وإعلامي، يبصر الأمة والعالم بقضية المجاهدين العادلة، حتى يكسب الرأى العام المحلى والإقليمي والدولى، وفى هذا دفعة معنوية هائلة لأصحاب الحق،

٥ – الجهاد فى سبيل الله ليس قاصرا على الجهاد بالنفس، بل الجهاد فى سبيل الله يشمل مجالات كثيرة، والجهاد فى سبيل الله يتأتى بكل وسيلة، فالمجاهد فى الميدان والأمة من خلفه توفر له ولأهله ولقضيته، كل دعم ممكن فى أى مجال يخطر على البال، أو حتى المجالات الجديدة المبتكرة، من وسائل التجسس والحرب النفسية، والتكنولوجيا الحديثة التى توفر للجهاد خدمات تفوق الخيال.

٦ – الجهاد بالمال يتيح الفرصة لكل أبناء الأمة للمشاركة فى الجهاد، بما فى ذلك الشيوخ والمرضى والنساء، وكل أصحاب الأعذار الذين يطوقون للجهاد وحالت ظروفهم دون هذا الشرف العظيم، وما أروع ما ذكره الإمام الآلوسي رحمه الله في تفسيره: (لعل تقديم الأموال على الأنفس لِمَا أن المجاهدة بالأموال أكثر وقوعاً، وأتم دفعاً للحاجة؛ فلا يُتصَوَر المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال).

واخيرا:

الجهاد بالمال مشاركة من كل أبناء الأمة، ومختلف قطاعاتها للمجاهدين فى الميدان، وفى ذلك توحيد للأمة فى مجاهدة عدوها، ومشاركة من الجميع فى تحقيق النصر، حتى يتحقق فى المسلمين انهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

كما أن دعم المجاهد والتكفل بأسرته ليس منحة ولا هبة من المجتمع، بل هو فرض على الأمة، وحق للمجاهد، لا منة فيه لأحد، لأن من حمل روحه على كفه، وخاض غمار المعركة، وولج أتون الحرب من أجل أمته ففريضة واجبة على الأمة أن تقوم بواجبها المادى والمعنوى تجاه المجاهدين وأهلهم.

كلا إن معي ربي سيهدين

الثقه في نصر الله، واليقين التام في تأييد الله، وعونه، ومدده من سمات المؤمنين، وعلامات المتقين، واليقين أهم مزايا المجاهدين من المؤمنين في أوقات الأزمات، وحين نزول البلاء، وحين ينتفش الباطل، ويعلو صراخه، ويرتفع صراخه .

ونحن المؤمنين لا نشك لحظه أننا في عين الله، وحمايته، وإن أطبقت علينا الأهوال، والنوازل، والمصائب، والبلايا، فيكفينا قول ربنا ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]

فتخيل كيف تكون الثقه في النصر إذا صرحت أمريكا وأوروبا وروسيا والصين أنهم مجمعون علي دعمنا، ومستمرون في مددنا، وأنهم خلفنا يبذلون النفس والنفيس من أجلنا، فهل يشك أحد في أننا الطائفه المنصورة والرايه المرفوعه.

وهذا مجرد دعم من مخلوق ضعيف فكيف لو قال لنا الخالق أنتم في عين الله وحفظه، الله حاميكم، الله معكم، الله ناصركم، وقد قال ﷻ لنا ذلك فى أكثر من آية فى كتابه الكريم، ووعدنا بالنصر والعز والتمكين، فيجب علي كل مؤمن أن يكون علي يقين لاشك فيه أن النصر حليفنا والفوز من نصيبنا، وأن رفع الرايه البيضاء هو عمل الأعداء، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: ٥١]

ولا نشك لحظه في وعد ربنا (ألا إن نصر الله قريب) (البقره:١٤)

وفي اللحظات الحرجه، وحين ينتفش الباطل، وتعلو رايته يظل المؤمن علي يقين أثبت من الجبال أن الله منجز وعده، وناصرعبده، حتي لو اجتمعت الدنيا كلها لإستئصال شأفه الإسلام، وفي المقابل يهرول المنافقون، وسريعا مايهتفون، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢]

فإذا اصطفي الله عز وجل من عباده المجاهدين شهداء، ارتفعت حناجر المنافقين ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٨]

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه البابا والإسلام: "عقيدة التوحيد تحرر الإنسان من الخوف والذل، واليأس، والكآبه، والقلق، وتضع يد المسلم في يد الله، وتمده بقوه خارقه، حين يعلم أن الله معه وأنه قريب منه، وأنه يعلم سره ونجواه، وأنه حافظه وحاميه، فيشعر بالأمن والسكينه، التي لايشعر بها الجاحدون ولا الشاكون، ولا المشركون"

الله مع المؤمنين

نحن المسلمين كلنا ثقه لاتعرف الشك بأن الله معنا، وأن الله ناصرنا، وأن الله حافظنا وحامينا، وهذه العقيدة، وهذا اليقين، هو مايجب أن يكون عليه المؤمنوٴن في كل أوقاتهم، وجميع أزماتهم، إذا كان النصر حليفنا، أو كانت الهزيمه قدرنا، أو حتي قبل حسم المعركه، وحين اشتداد البأس، والتحام الصف، وتطاير الرؤوس، ومالنا لانوقن بالنصر والله عز ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] ويقول سبحانه وتعالي ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]

ومعيه الله للعبد قسمان:.

الأول: المعيه العامه لجميع الخلق

ومعناها: أن الله تبارك وتعالي هو المدبر لأمر الوجود كله، وهو الذي بيده كل شئ، وهو الحافظ للكون بكل مافيه ومن فيه، قال تعالي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال تعالي: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]

وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]

الثاني: المعيه الخاصه :

وهي معيه الله سبحانه وتعالي لأنبيائه ورسله، والمجاهدين في سبيله، والصالحين من عباده بالنصر والتأييد، والمعونه والإعانه، والتوفيق والسداد، والحفظ والرعايه، وفي القرآن الكريم ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥-٤٦]

وقال سبحانه وتعالي: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]

وهنا لابد من وقفه:

حين خرج موسي ومن معه من المؤمنين فارين بدينهم خوفا من فرعون وملائه أن يفتنهم في دينهم، فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]

وحين تراءى الجمعان علت حناجر المنافقين، بهلوستهم المعهوده عبر السنين، وهرطقتهم الممتده عبر القرون ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]

قال المنافقون من جند موسي (إنا لمدركون) قالوها علي سبيل السخرية والاستهزاء بموسي وهارون، قالوا لقد أدركنا فرعون وجنوده وأصبح الهلاك محققا، والخسران واقعا، والبوار محتما، والنجاة اليوم هي درب من الخيال، ومحض أوهام، والسبب في كل هذه المصائب موسي وهارون، وهذا جزاء من انخدع بكلام موسي واتبعه، وأكثروا من هذا الكلام، وهذا عين ما يردده المنافقون فى كل زمان ومكان، وقالوا: (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) وقالوا: هل هذا هو النصر والتمكين الذي وعدتنا به ياموسي، ما وعدتنا إلا غرورا، كما قالوها بعد آلاف السنين في غزوة الخندق (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وفي وسط هذا السيل الجارف من التهكم والسخريه، والتسليم بالبوار واليقين بالخسران من جانب المنافقين في جند الموحدين، قال كليم الله موسي بيقين أثبت من الجبال (كلا إن معي ربي سيهدين) قالها موسي بثبات لايعدو عليه شك ويقين لا يعتريه وهن، وهنا العجب العجائب، أني لموسي هذا اليقين، وقد نزلت بهم المهالك، وضاقت عليهم المسالك، ولا أمل في نجاة حتي قال العلماء: إن هذه الثقه، وهذا اليقين في هذا الوقت الحرج هو الذي ارتقي بموسي إلي مصاف أولي العزم من الرسل، فكانت النتيجه التي أذهلت الدنيا كلها عبر التاريخ، وهي ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٦]

وكانت نجاة موسي ومن معه، وغرق فرعون وجنوده، لأن موسي اتخذ الله ربا، ولا كرب علي من اتخذ الله رب.

وقال علماؤنا: إن الثقه بالله تفتح جميع الأبواب المغلقه، وإذا أراد الله شيئا هيأ له أسبابه، حتي وإن كانت المقدمات لا توحي بالنتائج.

(فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) وتلكم هي سنه الله في الكون إهلاك الظالم وهو في أتم قوته، ونصره المظلوم، وهو في أتم ضعفه، ولا يقدر علي ذلك أحد إلا الله، ولا ينال ذلك النصر العظيم والمقام الرفيع إلا أصحاب اليقين في نصر الله للمؤمنين مهما كانت الأحوال.

قال سبحانه وتعالي: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥]

وقال ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

وما النصر إلا من عند الله:

كتب الدكتور فيصل القاسم علي صفحته على فيسبوك

منشورا يتعارض تماما مع كتاب الله عز وجل، ومع سنة نبينا محمد ﷺ، ومع ثوابت ديننا، ومسلمات عقيدتنا، وهذا ما كتبه:

"قال تعالى في كتابه العزيز: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، وهذا هو الشرط والعامل الأول الذي يجب أن توفره قبل مواجهة الأ.عداء، وإلا فلن تنتصروا في أي معر.كة، وستذهب ريحكم وأرواحكم وبلادكم سدى.

في حر.ب ووترلو، سأل جندى فرنسي نابليون بونابرت: هل الله معنا نحن الكا.ثوليك.. أم مع الانجليز البر.وتستانت، فرد عليه نابليون: "إن الله مع أصحاب المدافع الكبيرة."

واقول للدكتور فيصل

إن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

فهذه الآية تأمر المسلمين أن يعدوا من القوة ما استطاعوا

ولم تأمر المسلمين بأن يعدوا قوة أكبر من قوة عدوهم ولم يأمر المسلمين بأن يكونوا أكثر عتادا وسلاحا من عدوهم

بل الأمر واحد فقط وهو أن يعد المسلمين من القوة ما أمكنهم فقط

وعلى مدار التاريخ كله لم يكن النصر بعدة ولا عتاد

بل كان من عند الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]

ثم يستشهد الدكتور فيصل بكلام نابليون بونابرت

هل يعقل هذا الكلام يا دكتور

إن الله عز وجل يقول :﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]

وفي أية أخرى

يقول تبارك وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]

ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧]

هذا كلام ربنا في قراننا وهو على العكس تماما من كلام نابليون بونابرت

الذى يقول إن الله مع أصحاب المدافع الكبيرة

إن كلام نابليون بونابرت يعني أن الله مع أمريكا وإسرائيل ضد الفلسطينيين

بالقطع هذا كلام خطأ جملة وتفصيلا بلا أدنى شك

لأن الله تعالى أخبرنا فى قرانه الكريم بأنه يمن بنصره على المستضعفين وليس على المتجبرين ولا على المستكبرين قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]

فربنا معنا وليس مع أصحاب المدافع الكبيرة

وقريبا جدا يفرح المؤمنون بنصر الله

ثم يا دكتور فيصل ألم ترى ما حدث لأمريكا في فيتنام

وما حدث مع طالبان

الم يمرغوا كرامة أمريكا في التراب

وكيف تحررت كل الشعوب من نير الاحتلال

لم تتحرر دولة واحدة من الاحتلال في التاريخ كله بقوة عدة ولا عتاد ولا بقوة ساعد ولا سلاح وإنما تحررت بقوة واحدة فقط هى قوة العقيدة والإيمان.

معاونة المحتلين ردة عن الدين

التعاون مع المحتلين الظالمين الكافرين ردة عن الدين، وخيانة للمسلمين، بل هو الكفر الصريح، والردة الأعظم، والخيانة الأتم لله ولرسوله وللمؤمنين.

وذلك أن الفطرة الإنسانية السليمة تحنو على المظلومين، وتسهر على خدمتهم، وتشقى من أجل راحتهم، وتطعم جائعهم، وتكسو عاريهم، وتخفف آلامهم، ولا يتم ذلك إلا ببغض الظلم والظالمين، وبذل قصارى الجهد لمنع الظلم، ومحاربة الظالمين.

والإسلام فى كلمة واحدة هو "الحب" هو أن تحب الخير للناس، وتكره الشر للناس جميعا، وتفرح للإنسان إذا أصابه خير، وتحزن عليه إذا نزل به مكروه، ففي الصحيحين عن أنس – رضى الله عنه- عن النبي ﷺ قال: { لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه}.

والأخ هنا يشمل المسلم والكافر لأن نص الحديث جاء بلفظ أخيه فقط ليشمل أخوة الإنسانية كلها المسلم والكافر، لا أخوة الإسلام فقط، قال محيي الدين النووى: " يحمل ذلك على عموم الإخوة حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الإسلام كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام"

وهذا ما نص عليه حديث معاذ بن جبل –رضى الله عنه- أن النَّبِيَّ ﷺ قال أَفْضَلِ الْإِيمَانِ: "َأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ"

فالإسلام أوجب على المسلمين محبة الناس أجمعين، المسلمين والكافرين، وأوجب كراهية المحاربين المحتلين، فمحبتهم ردة حضارية، ونكسة إنسانية، فمن أحب الكافرين المحتلين لديار المسلمين، كان مرتدا عن دين الإسلام، فإذا قدم لهم معاونة من أى نوع - مادية أو معنوية، كبيرة أو صغيرة- كانت الردة أعظم، والكفر أتم، والخيانة أكمل لله ولرسوله وللمؤمنين، وقد دل على ذلك كتاب الله تعالي، وسنة رسوله، وإجماع علماء الأمة.

أولا: الأدلة من القرآن الكريم:

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

٢ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]

٣ - ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]

٤ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]

فمن اتخذ اليهود والنصارى أولياء فهو منهم أى كافر مثلهم، بنص آية المائدة، وهذه مجرد ولاية فقط لقوم كفار، قد يكونوا محاربين، أو مسالمين غير محاربين، فإذا كانت الموالاة لكافرين ظالمين محتلين، كان الكفر أصرح وأوضح، والردة أظهر وأقبح.

والموالاة المنهى عنها فى الآية الكريمة، هى المحبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الموالاة هى المحبة"

وقال ابن الوزير: " الموالاة هى الموادة والمحبة"

والقرآن الكريم ينهي المؤمنين عن موالاة الكافرين المحاربين المحتلين، ويحرم عليهم مودتهم ومحبتهم، ومن أحبهم كان منهم، وكان حكمه كحكمهم فى الدنيا، وحشر معهم يوم القيامة، وكان مصيره مثلهم فى نار الجحيم، والعياذ بالله، فإن عاونهم على جرمهم، وساعدهم على إثمهم كان الخطر أكبر، والحكم أوضح، والعاقبة أسوأ، فقد ارتد عن دين الإسلام بإجماع العلماء، والمرتد أسوأ من الكافر فى دين الإسلام.

قال الإمام الطّبريّ في تفسيره: " قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ} أي: لا تتّخذوا أيّها المؤمنون الكفّار أنصارًا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين وتدلّونهم على عوراتهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر"

وقال الزجاج فى تفسيره: " قوله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) أنه من كان مؤمناً فلا ينبغي أن يتخذ الكافر ولياً لأن ولي الكافر راض بكفره، فهو كافر"

فإذا كان الرضا بالكفر، كفر، ومن رضي بالكفر فهو كافر، فمن عاون المحتل بأى معاونة صغيرة أو كبيرة، عظيمة أو حقيرة، فهو كفر أكبر، وردة أعظم، وخيانة أتم لله ولرسوله وللمؤمنين.

وقال الإمام القرطبي فى تفسيره: " قوله تعالي: { ومن يتولهم منكم فإنه منهم} بيّن تعالي أن حكمه كحكمهم" ثم ذكر القرطبي السبب فقال: " لأنه قد خالف الله تعالي كما خالفوا، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، ووجبت له النار كما وجبت لهم"

وقال الشوكانى فى فتح القدير: " ومن يتولهم منكم فإنه منهم أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد فإن المعصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية" ثم قال بعد ذلك: " وموالاة الكافرين من المسلم كفر، وذلك نوع من أنواع الردة"

فأئمة التفسير أجمعوا على أن معاونة الكفار المحاربين، كفر يخرج عن الدين، وما يقوم به الاحتلال الاسرائيلى فى فلسطين وما حولها من بلاد المسلمين، هو ردة حضارية كبري، وجريمة إنسانية عظمى، فمن قدم لهم أى معاونة كان كافرا مرتدا عن الإسلام، ومشاركا للمحتل فى جرائم الإبادة الجماعية التى يقترفها فى حق الفلسطينيين، وغيرهم، وهذه جرائم لا يرتكبها مسلم، ولا إنسان، ولا حيوان، بل لا يرتكب هذه الجرائم إلا شخص تجرد من كل القيم الإنسانية، والمبادئ الأخلاقية.

ثانيا: من السنة:

١- روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { المرء مع من أحب}
٢- وفى الصحيحين أيضا عن أنس بن مالك: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: (ما أعددت لها). قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: (أنت مع من أحببت).
فمن أحب ظالما حشر معه، ومن أحب مصلحا مجاهدا حشر معه، ومن قدم عونا لمحتل كان شريكه فى الجرم والإثم، وكان على دينه، وحشر معه يوم الدين، قال ابن الجوزى: " المعين على الشيء كالفاعل فى وقوع المشاركة فى الثواب والعقاب". وقال القاضى عياض: " المعين على الشىء مثل فاعله فى الإثم والأجر".

فمن قدم عونا لمحتل كان شريكه فى الجرم والظلم والإثم، وحشر تحت راية المحتلين الظالمين يوم القيامة، وكان مصيره كمصيرهم، ووجبت له النار كما وجبت لهم، كما نقلنا ذلك عن الإمام القرطبي قبل قليل، وسواء كان هذا الدعم مادى أم معنوى، وسواء كان دقيقا أو جليلا، كبيرا أو صغيرا، عظيما أو حقيرا، ولا يتعاون مع المحتل إلا مجرم خطير، قد ارتد عن الدين، وشارك الكافرين، المصير الأليم، والمآل المهين يوم الدين.

ثالثا: الإجماع:

معاونة المحتل ردة وكفر بإجماع علماء المسلمين، جاء فى فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية: " موالاة الكفار التى يكفر بها من والاهم، هى محبتهم، ونصرتهم على المسلمين"

قال العلّامة أحمد شاكر: " أما التعاون مع الانجليز بأيّ نوع من أنواع التّعاون قلّ أو كثر فهو الرّدّة الجامحة والكفر الصّراح لا يقبل فيه اعتذار ولا ينفع معه تأوّل ولا ينجّي من حكمه عصبيّة حمقاء ولا سياسة خرقاء ولا مجاملة هي النّفاق سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء كلّ هؤلاء في الكفر والرّدّة سواء"

وقال الإمام ابن باز: " وقد أجمع علماء الإسلام على أنّ من ظاهر الكفّار على المسلمين وساعدهم بأيّ نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

غزة فى عين الله

يري المنافقون والأشرار أن غزة قد خسرت خسرانا مبينا، وأن ما حل بها من خراب ودمار لم ينزل بأمة من الأمم، وأن المجاهدين من أبناء غزة قد ضلوا ضلالا بعيدا، وأن تصرفاتهم المجنونة قد أفضت إلى قتلهم، وتدمير بلدهم، وقتل الأبرياء من بني وطنهم.

وهذا القول المنحرف، وهذا الفكر الضال، قد صرخ به من قديم الزمان المنافقون والمجرمون والمرجفون، فى كل جولة من جولات الصراع بين الحق والباطل، قال الله تبارك وتعالي: {إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم} (الأنفال: ٤٩)

حين خرج محمد ﷺ والذين آمنوا معه إلى بدر الكبري، وكان قصدهم العير، ولم يعدوا العدة للنفير، ولكن إرادة الحق سبحانه وتعالي كانت تهيئة الأسباب للنفير لا للعير، قال الحق ﷻ: {وإذ يعدكم الله إحدي الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين} (الأنفال : ٧)

فى هذا الوقت ارتفعت حناجر المنافقين والمجرمين باللهمز واللمز، والسخرية والاستهزاء بالمؤمنين المجاهدين الذين خرجوا لملاقاة الكافرين رغم الفارق الهائل

فى القدرات والإمكانات، والعدة والعتاد، ويمكن القول أن غزوة بدر كانت معركة بين القوة الكبرى فى الجزيرة العربية فى هذا التوقيت(قريش)، وبين المجموعة الأضعف فى الجزيرة العربية فى حينها(المؤمنين)

فانتهز المرجفون والمنافقون الفرصة، وخرجوا مستهزئين شامتين ساخرين، متنكرين فى ثوب الناصحين، فقالوا للمؤمنين لا طاقة لكم بالكافرين، وما لكم وسع ولا قبل لكم بأبي جهل وجنده، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا تجلبوا الخراب والدمار، والفقر والذل والعار لبلدكم وأهليكم، تماما كما يفعل المنافقون اليوم.

وما درى هؤلاء المرجفون أن هؤلاء رجال أحبوا ربهم، وعشقوا دينهم، وأحبوا وطنهم فحرصوا على الدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم ومقدساتهم، حتى لو كان ثمن ذلك أرواحهم، وحياتهم، ومهجهم، وفلذات أكبادهم، وعيون أموالهم، هؤلاء رجال حرصوا على الموت كحرص أعدائهم على الحياة، ومن حرص على الموت وهبت له الحياة، فقام هؤلاء الفتية متوكلين على ربهم، مستعينين بخالقهم، وأعدوا ما استطاعوا من قوة، ومن رباط الخيل، وبذلوا جهدا خارقا للعادة فى سبيل الوصول إلى هذه القوة حتى ولو كانت قليلة، وتوكلوا على الله جل فى علاه، ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم، ومن يتوكل على الله فإن جند الله هم الغالبون، فقذف الحق ﷻ الرعب فى قلوب عدوهم، قال ﷻ: { وما النصر إلامن عند الله} (الأنفال: ١٠)

وقال سبحانه وتعالي: { إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون} (ال عمران: ١٦٠)

فإذا كان اليهودى يفرك يديه فرحا مستبشرا هاتفا: النصر لنا، لأن ترمب معنا، أو النازى الألماني يدعمنا، أو الفاشي الإيطالي فى صفنا.

فنحن المسلمين نهتف بيقين يغمر قلوبنا النصر حليفنا، لأن الله معنا، ومن كان الله معه فلا غالب له، لأن الله عز وجل هو القوة الوحيدة فى هذا الوجود، وما سواه فهو مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا أن يملك شيئا من ذلك لغيره، مهما بدا قويا مهيمنا، فهو لا يستطيع أن يدفع عن نفسه موتا ولا هرما ولا ضرا ولا نفعا، قال الحق سبحانه وتعالي: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} (الطور: ٤١)

ترى لو أن الحق قالها لليهود الملاعين، لافتخروا بها إلى يوم الدين، لكن الحق خاطب بها المجاهدين من المؤمنين، من أهل غزة وأمثالهم فى ربوع العالمين، فما لهم لا يجاهدون وقد تعهد رب العالمين بأنهم فى حمايته، وفى حفظه، بل وفى عينه.

فتبارك الله رب العالمين، هو أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وقد تعهد وتكفل رب العالمين بدحر الكافرين وسحقهم، وبث الرعب فى قلوبهم، قال تبارك وتعالي: {هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار} (الحشر:٢)

وقال ﷻ: { عسي الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} (النساء: ٨٤)

فكل عسي من الحق ﷻ واجبة محققة واقعة، بلا أدني شك، والمعنى فى هذه الاية الكريمة: قد أوجب ربكم وتعهد أن يكف بأس الذين كفروا، ويسحقهم، ويدحرهم، ويدمرهم، ونقول: صدقت ربنا، وقلت وقولك الحق، ووعدت فأوفيت وأنجزت، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا، وقد أفلح من بني البشر من ذل لربه، وانقاد لأمره، وخضع لقوله، وصدق وعده، وقال تبارك وتعالي: { عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون} (الأعراف: ١٢٩)

والمعنى قد أوجب ربكم أن يهلك عدوكم ، ونحن المسلمين لا نشك أدني شك أن الله ناصر عبده، ومنجز وعده، فهذا أمر كائن لا محالة. وقال ﷻ: { عسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده يصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين} (المائدة: ٥٢) والمعنى أن الحق جل فى علاه، قد قضي وأمر وأوجب أن يفتح على عباده المؤمنين، وجنده المخلصين، فتوح النبيين، والصديقين، وحتى يطمئن قلب المؤمن، ويسكن فؤاده، ويهدأ وجدانه، توالت الوعود من رب الوجود بنصر المؤمنين، وتدمير الكافرين فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم، منها: قول الحق تبارك وتعالي: {سيهزم الجمع ويولون الدبر} (القمر: ٤٥)

وقال ﷻ: { كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} (المجادلة: ٢١)

وقال تبارك وتعالي: { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون} (الصافات: ١٧٢،١٧١،١٧٣)

وقال سبحانه وتعالي: { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} (غافر:٥١)

وقد يقول قائل، أو يفتري كاذب فرية واهية ساقطة لا تقوم على ساق، ويقول: كيف لفئة قليلة ضعيفة محاصرة منذ عقدين من الزمان أن تنتصر على المحتل الغاصب المدعوم بلا حدود من القوى الكبري فى الأرض.

وللإجابة على هذه الفرية نقرأ قول ربنا سبحانه وتعالي: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين} (القصص: ٥)

وقول الحق تبارك وتعالي: {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسني على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون} (الأعراف: ١٣٧)

فمن صفات الفئة المؤمنة المنتصرة التى يمكن لها رب العالمين أن تكون ضعيفة السلاح، قيلة المال، ابتعد عنها الخلان، وهجرها الأعوان، لكنها قوية بإيمانها، متوكلة على ربها، تملك قلبا يوقن عين اليقين أن لا غالب إلا الله، وأن النصر من عند الله وحده، وهذا اليقين التام فى الله جل فى علاه، هو الذي بلغ بموسي منزلة أولى العزم من الرسل، فحين أدركه فرعون وجنده، وكان العدو من أمامهم، والبحر من خلفهم، وبلغت القلوب الحناجر، وأيقنوا بالهلاك، قال موسي فى يقين تام {كلا إن معي ربي سيهدين} فكانت النجاة منحة ربانية، ومعجزة إلهية للموقنين بربهم المتوكلين على خالقهم.

وهنا يرد خاطر فيقول هذا حديث عن النبيين والمرسلين، والصحابة والتابعين، وما يصدق عليهم لا ينطبق على أهل فلسطين.

فيجيب العلماء الربانيين: لقد اتفق الثقلين على أن محمد ﷺ هو سيد المرسلين، وأفضل خلق الله أجمعين، وأن صحابته رضوان الله عليهم هم أفضل جيل عرفه التاريخ الإنساني، لكن رسول الله ﷺ أخبر عن قوم يأتون بعد صحابته الواحد منهم بخمسين صحابيا، عن أبي ثعلبة الخشنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { إن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل

عملكم، قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم، قال بل أجر خمسين منكم} رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم وابن حبان وغيرهم.

ونحسب أن من هؤلاء أهل غزة، والله حسيبهم ولا نزكيهم على ربهم، فقد جاهدوا أشد الناس عدواة للذين آمنوا، الذين احتلوا أرضنا، ودنسوا مقدساتنا، واغتصبوا بلادنا، واحتلوا مسري نبينا، وقبلة المسلمين الأولى، جاهدوا وهم جوعى وعطشي، جاهدوا وهم لا يجدون ما يسد رمقهم، ويستر عوراتهم، وأبلوا بلاء تعجب منه الدنيا كلها، ولهذه البطولات الخارقة، والتضحيات البارعة، ومواقف الثبات المذهلة، ولهذا الصمود الأسطورى أحسب أن الواحد من هؤلاء ليس أفضل من خمسين صحابيا، بل الواحد منهم افضل من خمسين من شهداء الصحابة، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: { إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا منكم} رواه الطبرانى والبزار، وصححه الألباني.

ولهذا أصاب من قال: إن الرجل فى غزة بخمسين صحابيا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أصاب من قال إن المجاهد فى سبيل الله من أهل غزة له أجر خمسين شهيدا من شهداء الصحابة بنص حديث رسول الله ﷺ،

ولهذا نوقن يقينا لا يعرف الشك أن غزة فى عين الله وحفظه وحمايته، وأن الله جل جلاله ناصر أهل غزة وممكن لهم فى الأرض، ومظهرهم على عدوهم، ولن يضرهم من خذلهم.

الشهداء تحرسهم السماء أم تأكلهم الكلاب؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه،ومن تبعه إلي يوم الدين، أما بعد:

فإن للشهيد عند الله عز وجل منزلة عالية، ومكانة سامية، وثواب عظيم، وفضل كبير، وقد دل على ذلك كتاب ربنا، وسنة نبينا محمد ﷺ، فى آيات كثيرة، وأحاديث وفيرة، منها، قوله تعالي:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]

ومن السنة: ما صح عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته .رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :ما يجد الشهيد من مس القتل، إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة.

وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله" .رواه الحاكم- وصححه

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، إذا كان الشهيد فى هذه الدرجة الرفيعة، واذا كان قد ارتقي الى الله شهيدا، فلماذا تنال منه ايدي الاعداء، ولماذا تتركهم السماء، تنهشهم الكلاب، ولماذ لا تحفظهم عناية الرحمن من عبث الطغيان، وبطش الغلمان؟

وللإجابة على هذا السؤال

نقول بعون الله وحده: إن حياة الإنسان هى أغلى ما يملك فى هذه الحياة، وإذا كان الإنسان قد بذل حياته رخيصة فى سبيل مرضاة ربه، فلا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها،

أما التمثيل بجثث الشهداء، وعدم دفنها، وعدم تمكن البعض من الصلاة عليها، وموراتها الثري، وربما تأكلها الكلاب، وربما حيوانات أخرى تنهش جثامين الشهداء وتفتك بهم.

فمن المعلوم أن كل أذى ينزل بجثمان الشهيد هو أجر جديد، فإذا نهشته الكلاب فهذا اجر جديد وإذا مثل الأعداء بالجثمان فهذا اجر شهادة فوق الشهادة، وإذا ترك الجثمان حتى تحلل وفاحت منه رائحة كريهة، فهذا أجر شهادة فوق الشهادة، وإذا لم يجد الشهيد من يواريه الثري فهذا أجر شهادة أخرى ، لأن الله عز وجل أخبرنا أن ما يصيب المسلم من هم أو غم أو أذى إلا كفر الله عنه من خطاياه، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل

كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل"، وقال: "يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه". رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح

فما ينزل بجثامين الشهداء من بلاء يضاعف الأجر والثواب، ويكفر السيئات، ويرفع الدرجات، ويباعد من الخطيئات، ويضاعف الحسنات.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

شهداء أم ضحايا؟

الجهاد فى سبيل الله من أجل القربات، ومن أفضل العبادات، ومن أحسن ما يتقرب به العبد إلى رب العالمين ﷻ، وهو ذروة سنام الإسلام، كما فى حديث معاذ "أَلا أُخْبرك بِرَأْس الْأَمر، وعموده، وذروة سنامه، قلت: بلَى يَا رَسُول الله، قَالَ: رَأس الْأَمر الْإِسْلَام، وعموده الصَّلَاة، وذروة سنامه الْجِهَاد" رواه أحمد والترمذى وابن ماجة.

وَعَن أبي ذَر رضي الله عنه، قَالَ: قلت يَا رَسُول الله: "أَي الْأَعْمَال أفضل؟ قَالَ: الْإِيمَان بِاللَّه، وَالْجهَاد فِي سَبِيل الله" رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسلم

وَعَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ، رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رجل رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "أَي النَّاس أفضل؟ قَالَ: مُؤمن يُجَاهد بِنَفسِهِ وبماله فِي سَبِيل الله تَعَالَى، قَالَ: ثمَّ من؟ قَالَ: ثمَّ مُؤمن فِي شعب من الشعاب يعبد الله ويدع النَّاس من شَره" رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسلم.

وإذا كانت هذه منزلة الجهاد فى سبيل الله فإن الموت فى سبيل الله هى الميتة التى يحرص عليها المؤمن الصادق ويلهج لسانه بالدعاء ليل مساء أن يرزقه الله الموت فى سبيله، لما للشهيد من منزلة عند ربه سبحانه وتعالي، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ .» رواه مسلم

فمن هو الشهيد؟

الشهيد نوعان: شهيد دنيا وآخرة، وشهيد آخرة فقط

فشهيد الدنيا والآخرة هو من قتل فى أثناء معركة بين المسلمين والكافرين

وشهيد الآخرة فقط أنواع كثيرة مثل الغرقى والهدمى والحرقي والمبطون والمقتول ظلما

شهداء غزة شهداء أم ضحايا؟

من يموت من أبناء غزة وهو يقاتل العدو الصهيونى فهذا شهيد بلا أدني شك، وهو شهيد بإجماع العلماء

أما من مات من أبناء غزة من المدنيين الذين لا يقاتلون سواء كانوا رجالا أم أطفالا أم نساء فهل هم شهداء أم ضحايا ؟

والإجابة:

هؤلاء شهداء عند سائر العلماء، لا أعلم فى هذا خلافا، ومن يقول إنهم ضحايا لا شهداء فهذا خطأ جملة وتفصيلا، وهو كلام لا يمت إلى العلم بأدنى صلة

والأدلة على أنهم شهداء تفوق العد والحصر ومنها:

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: " من قُتل دون مظلمة فهو شهيد" رواه أحمد فى المسند وصححه الشيخ احمد شاكر

وأهل غزة من المدنيين غير المقاتلين قُتلوا دون مظلمتهم فهم شهداء عند الله، والقول بأنهم ضحايا لا شهداء قول أحمق أخرق لا أساس له من علم أو ورع أو دين

٢ – عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول: " اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك، ووفاة ببلد رسولك" رواه البخارى فى الصحيح ومالك فى الموطأ

قال ابن عبد البر فى الاستذكار: " وهذا الحديث يدل على أن المقتول ظلما شهيد"

فالفاروق عمر بن الخطاب قُتل فى المحراب مصليا ظلما، فهو شهيد، لأن المقتول ظلما شهيد، وأهل غزة قُتلوا ظلما وبغيا فهم شهداء عند الله تعالي

٣ – عن ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: " من مشي إلى رجل من أمتى ليقتله، فليقل هكذا، فالقاتل فى النار، والمقتول فى الجنة" رواه أحمد وأبو داود

وهذا نص فى غاية الوضوح أن المقتول ظلما من أمة محمد ﷺ فى الجنة بإذن الله تعالى وأهل غزة قُتلوا ظلما فهم فى الجنة بإذن الله تعالي.

٤ - قال ابن حجر فى فتح البارى: المقتول ظلما تكفر عنه ذنوبه بالقتل، كما ورد في الخبر الذي صححه ابن حبان وغيره: " إن السيف محاء للخطايا" رواه الدارمى وابن حبان والبيهقي فى السنن والطبرانى فى الكبير وصححه ابن حبان وغيره، عن ابن مسعود قال: إذا جاء القتل محا كل شيء رواه الطبراني فى الكبير، وعبد الرزاق فى مصنفه، وله عن الحسن بن علي نحوه، وللبزار عن عائشة مرفوعا: لا يمر القتل بذنب إلا محاه»

وخلاصة القول: أن المقتول ظلما شهيد بلا خلاف أعلمه فى هذا القول، وغاية ما هناك من خلاف : هل هو شهيد دنيا وآخرة، أم شهيد آخرة فقط، فذهب الأحناف والحنابلة إلى أن المقتول ظلما شهيد دنيا وآخرة، فنص السرخسي فى المبسوط ٥٢/٢ : " أن المقتول ظلما لا يغسل"

وقال صاحب الفروع فى الفقه الحنبلي ٢٩٩/٣ : " ولا يُغسل المقتول ظلما على الأصح"

وقال الأحناف والحنابلة بعدم تغسيل المقتول ظلما لأنهم يعدونه شهيد دنيا وأخرة، ومن قال بتغسيله فهو يعتبره شهيد آخرة فقط.

فقتلى غزة من المدنيين غير المقاتلين شهداء فى الاخرة عند الله عز وجل بلا خلاف، والله أعلم.

كيف تنهش الكلاب أجساد الشهداء؟

للشهيد عند الله عز وجل منزلةً عاليةً، ومكانةً ساميةً، وثوابًا عظيمًا، وفضلًا كبيرًا، وقد دلَّ على ذلك كتاب ربنا، وسنة نبينا محمد ﷺ، في آيات كثيرة، وأحاديث وفيرة، منها، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

ومن السنة: ما صحَّ عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حلَّة الإيمان، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته؛ رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما يجد الشهيد من مسِّ القتل، إلا كما يجد أحدكم من مسِّ القرصة.

وعن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: "سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله"؛ رواه الحاكم، وصحَّحه.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، إذا كان الشهيد في هذه الدرجة الرفيعة، وإذا كان قد ارتقى إلى الله شهيدًا، فلماذا تنال منه أيدي الأعداء، ولماذا تتركهم السماء، تنهشهم الكلاب، ولماذا لا تحفظهم عناية الرحمن من عبث الطغيان، وبطش الغلمان؟

وللإجابة عن هذا السؤال:

نقول بعون الله وحده:

أولا:

دفن الكافر فرض واجب فى دين الإسلام، حتى لو قُتل وهو يحارب المسلمين، وحتى لو تم إعدامه بسبب الخيانة العظمى للوطن الذى يعيش فيه، ولا يجوز شرعا التمثيل بجثمان القتيل حتى لو كان كافرا

هذا هو دين الإسلام، وهذه أحكام القرآن، وهذا هو هدى النبي ﷺ، فبعد انتهاء غزوة بدر الكبري، أمر النبي ﷺ بدفن جثامين القتلي من كفار قريش الذين قتلوا فى المعركة، ولم يمثل بهم، ولم يتركهم للكلاب تأكلهم، أو تنهشهم، هذه هى إنسانية دين الإسلام وهذا هو نبى الرحمة للعالمين كافة، وليس للمسلمين خاصة.

ثانيا:

فى غزوة الأحزاب قام يهود بني قريظة بطعن المسلمين من الخلف، وتحالفوا مع الأعداء الذين جاءوا من كل فج عميق، وضربوا حصارا قاتلا على مدينة رسول الله ﷺ، وكادوا أن يبيدوها عن بكرة أبيها، وفى هذا الوقت العصيب، فعل يهود بني قريظة فعلتهم، وخانوا الوطن، لكن خيب مسعاهم، وانتهت المعركة بهزيمة الأحزاب، وانتصار المسلمين، فكان لابد من محاكمة الخونة، وفى نقلة حضارية لم تعهدها الإنسانية حتى يومنا هذا، عقد النبي ﷺ محاكمة عادلة للخونة الذين خانوا الوطن خيانة عظمة، وفوض للخونة حق اختيار القاضي الذي يرأس المحكمة، فاختاروا سعد بن معاذ، الذي حكم بقتل الرجال المقاتلين فقط، وعفا عن النساء والصبيان، وبعد

تنفيذ حكم الإعدام، أمر نبي الرحمة ونبي الإنسانية بدفن جثث الخونة بعد إعدامهم، ولم يُمثل بهم، ولم يتركهم فى العراء طعاما للكلاب،

ثالثا:

هذه حضارة الإسلام، وهذه رحمة المسلمين بالأعداء المحاربين، وبالخونة المنافقين، وهذا التحضر والرقي والرحمة والإنسانية التى ارتقي إليها الإسلام قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، لم تعرفها أوربا ولا أمريكا ولا العالم أجمع حتى يومنا هذا، مما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الإسلام هو سبيل الخلاص الوحيد للبشرية من كل ما تعانيه وتكابده من فجرات وغدرات، وخصومات وويلات.

رابعا:

إن حياة الإنسان هى أغلى ما يملك في هذه الحياة، وإذا كان الإنسان قد بذل حياته رخيصةً في سبيل مرضاة ربه، فلا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها، أما التمثيل بجثث الشهداء، وعدم دفنها، وعدم تمكُّن البعض من الصلاة عليها، ومواراتها الثرى، وربما تأكلها الكلاب، وربما حيوانات أخرى تنهش جثامين الشهداء وتفتك بهم.

فمن المعلوم أن كل أذى ينزل بجثمان الشهيد هو أجر جديد، فإذا نهشته الكلاب فهذا أجر جديد، وإذا مَثَّل الأعداء بالجثمان، فهذا أجر فوق الشهادة، وإذا ترك الجثمان حتى تحلل وفاحت منه رائحة كريهة، فهذا أجر فوق الشهادة، وإذا لم يجد الشهيد من يواريه الثرى فهذا أجر شهادة أخرى؛ لأن الله عز وجل أخبرنا أن ما يصيب المسلم من هَمٍّ أو غَمٍّ أو أذًى إلا كفَّر الله عنه من خطاياه، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، كما ثبَت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل"، وقال: "يُبْتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه"؛ رواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح.

فما ينزل بجثامين الشهداء من بلاء يضاعف الأجر والثواب، ويُكفِّر السيئات، ويرفع الدرجات، ويباعد من الخطيئات، ويضاعف الحسنات.

خامسا:

لا يضير الشهيد أن تنهش جسده الكلاب، فهذا لا ينقص من منزلته عند ربه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على حمزة رضي الله عنه وقد مثّل

به، فقال: "لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية حتى يُحشر من بطونها".

العافية: السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها.

وأما هو فعند ربه روحه في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش.

سادسا:

أما ما يفعله الاحتلال من ترك جثامين الشهداء تأكلها الكلاب فهو أولا: جريمة ضد الإنسانية، لا يفعلها إلا أعداء الإنسانية، وما أكثر جرائمهم ضد الإنسانية، وقد صدق ربنا سبحانه وتعالي فى وصفهم فى كتابه الحكيم حين قال: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة: ٧٤]

وثانيا: هذا جرم كبير، وإثم عظيم، وطغيان خطير يضاف إلى سلاسل جرائمهم التى لا تنتهى فى حق البشر والشجر والحجر

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

الصهيونية والنازية حلفاء أم أعداء؟

النازية كانت من أشد الموجات الإرهابية التي اجتاحت العالم في النصف الأول من القرن العشرين، وربما في التاريخ برمته. لقد خلفت ملايين الضحايا وارتكبت جرائم مروعة في قارات العالم الست، مستهدفة مختلف القوميات والجنسيات والأديان والأوطان.

يزعم اليهود أنهم كانوا أول ضحايا النازية على وجه الأرض، مدعين أن هتلر قتل منهم ستة ملايين إنسان وأحرق جثثهم دون أي جرم ارتكبوه أو ذنب اقترفوه سوى أنهم يهود. ويؤكدون أن الظلم الذي لحق بهم والجرم الذي أصابهم لم تشهده أمة أخرى في التاريخ، وأن العالم وقف صامتًا متفرجًا على النازيين وهم يذبحونهم

ويبيدونهم ويستأصلون وجودهم. وبناءً على ذلك، يرون ضرورة إقامة دولة لهم تحمي كيانهم وتدافع عن حقوقهم وتصون مقدساتهم، فاختاروا فلسطين مكانًا لهذه الدولة، واغتصبوا أرضها وقتلوا أهلها ودمروا ديارها وخربوا عمرانها، زاعمين كذبًا وزورًا أنها أرض أجدادهم.

وهذا المقال يهدف إلى توضيح النقاط التالية:

هل الصهيونية هي اليهودية؟

ادعاء الاضطهاد.

تحالف الصهيونية والنازية.

دور الصهيونية في الإبادة التي لحقت باليهود على يد النازية.

أولاً: هل الصهيونية هي اليهودية؟

يدعي الصهاينة أنهم يمثلون اليهود في مختلف أنحاء العالم، وهو ادعاء يناقضه الواقع. فالصهيونية حركة سياسية تهدف إلى إنشاء دولة لليهود في أي مكان في العالم، وقد اختارت فلسطين لتحقيق هذا الهدف. يؤكد اليهود أنفسهم أن الصهيونية لا تمثل إلا نسبة ضئيلة منهم على مستوى العالم. ففي الديانة اليهودية جماعات عديدة وجماهير واسعة لا تؤيد الصهيونية وتعترض على مسارها الفكري وواقعها الإجرامي وتاريخها الذي يشوبه الكثير.

ثانياً: ادعاء الاضطهاد:

يتقن الصهاينة أساليب التباكي ويدعون أن النازية والفاشية ارتكبتا بحقهم أفظع الأعمال وأذاقتهما أشد العذاب ونكلتا بهما أقسى تنكيل. وهم يمتلكون وسائل إعلامية قادرة على تحويل الكذب إلى صدق والخرافة إلى حقيقة والوهم إلى واقع، وينشرون هذه الأكاذيب في جميع أنحاء العالم. وقد أثمر هذا التباكي بالفعل قرار الأمم المتحدة بتخصيص يوم السابع والعشرين من يناير من كل عام لإحياء ذكرى المحرقة التي تعرض لها اليهود على يد النازيين. ومن المثير للعجب أن يستغل الصهاينة ادعاء الاضطهاد والتنكيل الذي لحق بهم على يد النازية لإقناع العالم بتبرير التنكيل بالشعب الفلسطيني واحتلال أرضه واغتصاب مقدساته وقتل أبنائه وتدمير ممتلكاته. إن ما يفعله الصهاينة بفلسطين هو أقبح وأشنع من أي إرهاب تعرض له اليهود.

ثالثاً: تحالف الصهيونية والنازية:

قد يبدو هذا الكلام غريبًا، بل عجيبًا، لكن الحقائق التاريخية تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن الصهيونية كانت حليفة للنازية وشقيقتها وذراعها الأيمن في كل أعمال الإرهاب والإجرام والاضطهاد التي نزلت باليهود في ألمانيا خصوصًا وأوروبا عمومًا في بداية العقد الرابع من القرن العشرين. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "الصهيونية العالمية" في الصفحة الحادية والسبعين:

«هل يخطر على بال أحد أن هجرة اليهود من ألمانيا كانت باتفاق مع هتلر؟ وأن حركة الاضطهاد كانت تنظم بعلم من الدعاة الصهيونيين في القارة الأوروبية؟ هل يخطر على بال أحد أن الصهيونية كان لها مكتب معترف به في برلين، وأنها كانت على اتصال دائم بـ"الجستابو" عن طريق هذا المكتب وفروعه في البلاد الألمانية؟ نعم، كان لها مكتب معلوم في العمارة رقم (١٠) من شارع "مين كستراس" يديره

اثنان أحدهما يدعى "بينو" والآخر يدعى "يار جلعاد"، وكلاهما من أعضاء الحركة البارزين في أنحاء القارة الأوروبية، وكان هذا المكتب ينظم الهجرة الصهيونية سرًا إلى فلسطين في الوقت الذي تثور فيه الثائرة على "الجستابو" وفظائعه المسلطة على اليهود. ولما أعلن الجنرال مورجان بعد هزيمة ألمانيا أنه لم ير أحدًا من اليهود المهاجرين في حالة سيئة، وأنهم جميعًا يهاجرون ووجوههم مشرقة وجيوبهم منتفخة بالأموال، هبت عليه الأقلام المأجورة من أنحاء العالم تتهمه بالنازية والتواطؤ مع الأعداء، وتلح على حكومته بوجوب تجريده من ألقابه ومن كسوته العسكرية جزاءً له على كشف المستور».

لكن بالرغم من ذلك، يبدو الأمر غريبًا وغير منطقي، إذ كيف يُزعم بتورط الصهيونية اليهودية في إبادة اليهود، بينما تزعم الصهيونية أن هدفها الوحيد هو حماية اليهود وتأمين مصالحهم، بل واغتصاب وطن لهم؟

هنا يحق للجميع أن يسأل: ما سبب هذا التحالف بين الصهيونية (الضحية) وبين النازية (الإرهابية)؟ وما مدى صدق هذا الادعاء؟

لن نجيب على هذا السؤال من تلقاء أنفسنا، ولن نتحدث عن سبب تحالف الصهيونية مع النازية إلا بكلام الصهيونية نفسها، وسندع الصهاينة أنفسهم يعترفون بجريمتهم وبتحالفهم مع النازي الإرهابي، وقد عقدوا في ذلك عدة اتفاقات من أشهرها اتفاقية "الهعفراه".

فما هي اتفاقية "الهعفراه"؟

هي اتفاقية تم توقيعها بين الوكالة اليهودية الصهيونية من جانب وألمانيا النازية من الجانب الآخر، وذلك في الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٩٣٣م، بعد وصول هتلر إلى الحكم بسبعة أشهر تقريبًا، ويطلق عليها اتفاقية التهجير أو اتفاقية النقل.

وقد نصت الاتفاقية على تسهيل هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين والسماح لهم بتحويل رؤوس أموالهم إلى فلسطين على شكل بضائع ألمانية. وفي المقابل، التزمت الوكالة اليهودية الصهيونية بمنع تطبيق أي مقاطعة يهودية عالمية للبضائع الألمانية وتحسين سمعة الحكم النازي في المجتمع الدولي ونفي ما نُسب إليه من اضطهاد. ولكن النازية كانت ترمي إلى هدف آخر لم تنص عليه الاتفاقية، وهو تخليص وتطهير ألمانيا من اليهود و«شرورهم» و«نجاستهم» في كل مجالات الحياة.

التزم الطرفان بالاتفاقية، لكنها لم تحقق لهما ما كانا يطمحان إليه من هجرة يهودية واسعة إلى فلسطين. فلجأت النازية إلى اضطهاد اليهود وإيذائهم وترهيبهم وإرهابهم لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين. والغريب أن هذا الإجرام والإرهاب الذي نزل باليهود من قبل النازية كان بمعرفة الصهيونية وتواطئها، بل وأحيانًا بمشاركتها، للوصول إلى هدفها المنشود وحلمها البعيد وهو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

تسعى إسرائيل بكل السبل وبمختلف الطرق لإنكار اتفاقية الهعفراه (النقل أو التهجير). وحين ظهرت الاتفاقية وعرفتها الإنسانية، بذل الاحتلال قصارى جهده لطمس حقيقتها وتشويه معالمها وتزوير بنودها كي يبدو دائمًا في صورة الضحية ولكي يستمروا في ابتزاز ألمانيا وإجبارها على دفع تعويضات مالية ضخمة. ففي عام ١٩٥٢م، تم إجبار ألمانيا على دفع ملياري دولار للكيان الصهيوني المحتل، وهو مبلغ هائل جدًا في ذلك التوقيت، بل وتدفع ألمانيا معاشًا شهريًا لكل اليهود الذين ثبت تعرضهم للملاحقة النازية بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٥م.

الإرهاب الصهيوني في حق اليهود:

لم تكتف المنظمة الصهيونية بالسكوت على الإرهاب النازي في اضطهاد اليهود وإرهابهم لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين، بل قامت بهذا الفعل بنفسها. وهذا ما أكده الكاتب الأمريكي توماس سواريز في كتابه «دولة الإرهاب، كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب» حين قال: «إن المنظمة الصهيونية بدأت باستهداف اليهود أنفسهم بهدف تدمير مجتمعاتهم المحلية وتدمير أي ملاذات آمنة يلجأون إليها، بل وصل الأمر إلى اختطاف الأطفال اليهود ومضاعفة معاناة اليهود المهجرين في أوروبا بسبب حرب النازيين عليهم لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين».

فمن نجح من اليهود في الفرار من الإرهاب النازي الرهيب، لاحقته أيدي الإرهاب الصهيوني الأشد رهبة وفزعًا ورعبًا من النازية والفاشية وكل ما عرفته الإنسانية من أعمال إرهابية وجرائم وحشية.

وفي موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية» يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: «ولكن ثمة أشكالًا أخرى من التعاون الواعي بين النازية والصهيونية، فهناك دلائل تشير إلى أن "الجستابو" وفرق الصاعقة ساعدت في تهريب المستوطنين الصهاينة إلى فلسطين... وتوجد حالات محددة تعاون فيها الصهاينة مع النازيين في عمليات نقل اليهود وإبادتهم، كما توجد منظمة صهيونية ذات طابع نازي وهي عصبة الأشداء».

الكمنولث الإسلامي

تكتل إلزامى وليس تعاون اختياري

يشهد العالم الإسلامي فى الوقت الراهن حملة إبادة ممنهجة ومنظمة ومدروسة تهدف إلى تحطيم أركانه، واستئصال وجوده، وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، واسترداد أرض أجدادهم فى المدينة المنورة، حيث كان يقطن بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، ويعلنون بكل صراحة، أنهم يهدفون إلى إقامة هيكل سليمان، على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، والذى هو قبلة المسلمين الأولى، ومسري النبي ﷺ، ومعراجه إلى السماوات العلى.

وفى الماضى كان قادة الكيان المحتل يخفون هذه المطامع قدر المستطاع، أما اليوم فهم يعلنونها ويصرحون بها أمام الدنيا كلها، بل والأخطر من هذا كله، أن يدعمهم فى هذه المطامع فى أرضنا ومقدساتنا قادة أمريكا، ويعلنون هذا الدعم بكل صراحة ووقاحة.

وهنا يجب أن ندرك أن سيادة الدول لم تعد تُقاس بحدودها الجغرافية أو قوتها العسكرية التقليدية فحسب، بل بمدى قدرتها على تأمين احتياجاتها الاستراتيجية في بيئة دولية شديدة الاستقطاب. وبالنسبة لـ ٥٧ دولة تشترك في الجغرافيا والتاريخ والمصالح، لم يعد "التعاون الاختياري" القائم على التوصيات والبيانات الختامية كافياً. نحن اليوم أمام استحقاق تاريخي يفرض علينا الانتقال إلى نموذج "الكمنولث الإسلامي الإلزامي"؛ تكتل وظيفي تلتزم فيه الدول الأعضاء بسياسات موحدة في ملفات محددة، لا تقبل النقض أو الانسحاب المنفرد.

إننا اليوم أمام ميلاد مفهوم جديد يتجاوز "منظمة التعاون الإسلامي" بنسختها التقليدية، ليدخل رحاب "الكمنولث الإسلامي الإلزامي".

أولاً: تشخيص العلة.. لماذا أصبح التكتل إلزاميا لا اختياريا؟

على مدار عقود، استندت العلاقات البينية الإسلامية إلى مبدأ "التعاون عند المقدرة"، وهو ما حول المؤسسات المشتركة إلى "نوادٍ خطابية" تفتقر لآليات الإلزام. لقد شخص مالك بن نبي قديماً أزمة "القابلية للاستعمار"، واليوم نحن نعاني من النسخة الرقمية لهذه الأزمة: "القابلية للارتهان".

الارتهان للغذاء الوافد، والارتهان للتقنية المستوردة، والارتهان لمنصات التواصل التي تملك مفاتيح الوعي الجمعي. إن التعاون الاختياري لم يمنع تفتيت الجغرافيا، ولم يحمِ العملات المحلية من الانهيار، لأنه ظل "نافلة" ولم يرتقِ ليكون "فطرة" سياسية.

ثانياً: الفلسفة الوجوبية (التأصيل الشرعي والمصلحي)

الاتحاد قوة والتفرق ضعف، وهذا ما أدركته أوربا مؤخرا، فأنشأت الاتحاد الأوربي، وأنشأت بريطانيا الكمنولث البريطاني، وجاهدت روسيا من أجل كمنولث روسي، وهكذا يجب أن يكون المسلمين فى الدنيا كلها يجب أن يكونوا أمة واحدة، كما أمر الحق تبارك وتعالى فى قرآنه الكريم، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

وقال رسول الله ﷺ" :مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهَر والحُمَّى "رواه البخاري ومسلم

ومن منظور السياسة الشرعية، فإن "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب". إذا كان حفظ النفس (الأمن الغذائي) وحفظ المال (السيادة الاقتصادية) وحفظ العقل (الاستقلال

المعلوماتي) واجبات شرعية، وكانت هذه الواجبات مستحيلة التحقيق بشكل منفرد لكل دولة على حدة، فإن التكتل يصبح فريضة شرعية، وضرورة وجودية.

إن "الكمنولث الإلزامي" يعني التنازل عن جزء من "السيادة الاسمية" مقابل الحصول على "سيادة حقيقية" ضمن كتلة كبرى. هو عقد اجتماعي دولي ينقلنا من "تنسيق المواقف" إلى "وحدة المصير الإجرائي".

ثالثاً: أعمدة الكمنولث الإلزامي (القطاعات الأربعة)

١. الكومنولث الغذائي: "سلة الأمة"

لا يمكن لبلد يملك أرضاً خصبة أن يتركها بوراً، بينما يشتري جاره القمح من وراء البحار بأسعار مضاعفة.

المقترح الإلزامي: إنشاء "صندوق الاستثمار الزراعي الإلزامي"، حيث تلتزم الدول النفطية بالتمويل، وتلتزم الدول الزراعية (السودان، باكستان، كازاخستان) بتخصيص مساحات شاسعة كـ "أراضٍ للكمنولث". المحصول هنا ليس للتصدير العالمي، بل لسد حاجة الكتلة أولاً بأسعار منخفضة.

٢. الكومنولث النقدي: "الدينار الرقمي الموحد"

يُمثل الدينار الإسلامي الموحد مشروعاً اقتصادياً طموحاً يهدف إلى تحقيق الوحدة النقدية بين الدول الإسلامية، مستلهماً قوته من نظام "القاعدة الذهبية". تتركز الفكرة حول إصدار عملة مدعومة بالذهب، مما يمنحها قيمة ذاتية مستقرة تحمي الاقتصادات الناشئة من تقلبات العملات الدولية والتبعية للدولار.

الأهداف والمزايا المرتقبة:

الاستقلال المالي: تقليل الاعتماد على النظم النقدية الغربية.

تحفيز التجارة البينية: تسهيل التبادل التجاري بين دول منظمة التعاون الإسلامي عبر إلغاء رسوم تحويل العملات.

مواجهة التضخم: الحفاظ على القوة الشرائية بفضل الارتباط بالمعدن النفيس.

التحدي الأكبر: يتطلب تجسيد هذا الحلم تجاوز العقبات السياسية، وتوحيد السياسات النقدية، وإيجاد غطاء ذهبي ضخم يكفي لاحتياجات السوق الإسلامية المشتركة. يبقى الدينار الموحد رمزاً للسيادة الاقتصادية المفقودة التي تسعى الشعوب لاستعادتها.

٣. الكومنولث الدفاعي والسيبراني: "الدرع المشترك" في عالم الحروب الهجينة، لم يعد الدفاع عن الحدود الترابية كافياً.

المقترح الإلزامي: إنشاء "مركز الأمن السيبراني الموحد". لا تملك كل دولة القدرة على صد هجمات الذكاء الاصطناعي المتقدمة، لكن تكتلاً يجمع خبرات مهندسي ماليزيا وبرمجيات تركيا وعقول مصر، يمكنه بناء "جدار حديدي" يحمي البيانات البنكية والعسكرية لكافة الدول الأعضاء.

٤. الكومنولث المعرفي: "إلغاء الحدود الأكاديمية"

المقترح الإلزامي:

تطوير المناهج التعليمية والأخذ بأحسن ما توصلت إليه النظم التعليمية فى الغرب والشرق، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها

وتوحيد المناهج العلمية في التخصصات الاستراتيجية، واعتراف متبادل وتلقائي بكافة الشهادات الأكاديمية بين دول الكمنولث، مع فرض "ضريبة كفاءات"؛ بحيث تلتزم كل دولة بتوفير حصة من خبرائها للمشاريع الكبرى في الدول الأقل نمواً داخل التكتل.

رابعاً: آلية التنفيذ.. "نظام الدوائر المتكاملة"

لكي لا نغرق في طموحات غير قابلة للتطبيق، يجب أن يبدأ الكمنولث بنظام "الإلزام التدريجي"

دائرة النواة: تضم ٥ إلى ٧ دول تملك التكامل (مال، عمالة، موارد، سلاح). تبدأ هذه الدول بتطبيق الإلزام الكامل في السياسات الاقتصادية والدفاعية.

دائرة الالتحاق: الدول التي تنضم لاحقاً وتلتزم بالمعايير تدريجياً مقابل الحصول على ميزات الحماية والتمويل.

يمكن أن تكون مبادرة الرباعى التركى السعودي الباكستاني المصري، نواة حقيقية لمشروع كمنولث إسلامي

خامساً: التحديات وكيفية مواجهتها

سيعترض "القوميون الجدد" بحجة السيادة الوطنية، وسيعترض "المنتفعون من التبعية" بحجة الواقعية السياسية. والرد عليهم يكمن في:

تعريف السيادة: السيادة ليست "علماً أونشيداً"، بل هي القدرة على إطعام الشعب وحمايته. ويجب أن نعلم أن الدولة الجائعة أو المخترقة تكنولوجياً لا تملك سيادة، التكتل "الكمنولث" هو الذي "يسترد" السيادة المفقودة من أيدي القوى الكبرى.

تفكيك التبعية: البدء بمشاريع "صغيرة ناجحة" تفرض نفسها (مثل قمر صناعي مشترك، أو شركة طيران عملاقة موحدة)، ليرى المواطن المسلم أثر الكمنولث في جيبه وفي أمانه الشخصي.

سادساً: الخاتمة..

نداء إلى عقل الأمة وقلبها النابض

إن الكمنولث الإسلامي الذي حلمت به نخب الأمة ومفكريها، وصناع الرأى فيها لم يكن مجرد خيالا، بل كان استشرافاً لمستقبل لن يرحم الضعفاء. إننا في عام ٢٠٢٦، نقف أمام خيارين: إما أن نكون "كتلة صلبة" تفرض شروطها في نظام عالمي متعدد الأقطاب، أو نتحول إلى غثاء كغثاء السيل تتقاسمه الخوارزميات ، والشركات العابرة للقارات.

إن الانتقال إلى "الإلزام" هو قرار إرادة قبل أن يكون قرار إدارة. هو تحول من "فقه الفرد" إلى "فقه الدولة الأمة". فهل يجرؤ القادة والعلماء على اتخاذ الخطوة التي تجعل من "الكمنولث" حقيقة ملموسة، وكيانا واقعا يصنع البقاء العزيز لأمة المليارى مسلم.

بشهادة غير المسلمين

لا يوجد فى العالم إرهاب إسلامي

الإسلام هو مصدر الأمن والأمان، والإسلام هو أمل الإنسانية اليتيم والوحيد فى أن يعم السلام العالم كله، وكل المصائب والنكبات التى تعم الأرض فى القديم والحديث بسبب واحد وهو تنحية الإسلام عن تنظيم كل مجالات الحياة فى الدنيا كلها، وهنا يعترض متشدق قائلا كيف تقول ذلك والإسلام هو دين الإرهاب، ومصدر القلاقل والمشاكل فى الأرض.

ولكن الحقيقة التى أثبتتها الوقائع، واعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء أنه لا يوجد فى العالم إرهاب إسلامى، والأدلة على ذلك تفوق الحصر، وهى أدلة لا يعتريها شك، لأنها اعترافات أعداء الإسلام، وهى تقارير موثقة صادرة عن جهات علمية أو أممية، ومنها:

١ - فى دراسة صادرة عن جامعة ميتشجان الأمريكية عن عدد القتلى فى القرن العشرين

أحصت الدراسة عدد القتلى فكان ١٠٢ مليون قتيل

والمفاجأة المدوية لهذه الدراسة فى النتائج التي انتهت اليها ، وكان منها:

أن المسلمين قتلوا ٢% من عدد القتلى فى القرن العشرين وأن غير المسلمين قتلوا ٩٨% من عدد القتلى

وهنا تبدو النتيجة الحتمية لهذه الدراسة أن المسلمين ليسوا قتلة وليسوا إرهابيين

وما أعنيه بالمسلمين هنا : حكومات الدول المسلمة وجيوش الدول المسلمة والجماعات الإسلامية على اختلاف مشاربها واختلاف الوانها

كل هؤلاء قتلوا فقط ٢% من عدد القتلى فى القرن العشرين

فهل يعقل أن نصف من قتل ٢% بأنه إرهابى ومن قتل ٩٨% بأنه حضارى

النتيجة الواضحة والمنطقية لهذه الدراسة أن المسلمين شعوبا وحكومات ليسوا إرهابيين

وهذه شهادة غير المسلمين وليست شهادة المسلمين

يبدو الأمر غريبا ومذهلا ، لكن هذه هى الحقيقة الثابتة والمؤكدة

ولكن سياسة قلب الحقائق هى السائدة فى الإعلام العالمى وفى كل ميادين الحياة

فإذا كان القاتل مسلما وقتل شخصا واحدا ، فالإسلام يعتبر قتل إنسان واحد بصرف النظر عن دينه وجنسه ولونه جريمة بشعة تعدل قتل الناس جميعا

لم يحرم الإسلام قتل المسلم فقط، بل حرم قتل الإنسان فى كل الأديان والبلدان وفى مختلف الأزمان

فحرمة دم النصرانى واليهودى كحرمة دم المسلم

وحرمة دم الملحد كحرمة دم المسلم

قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢]

فالقرآن الكريم عبر بلفظ "نفس" ولم يعبر بقوله مسلم ليكون التحريم شاملا لكل نفس على الأرض

بل أكثر من ذلك حرم الإسلام قتل الحيوان أى حيوان لغير منفعة ففى الحديث الشريف يقول النبى ﷺ "مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ "

فى الحديث الشريف "الأدمى بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب" دلالة واضحة على أن الحياة أغلى شىء فى هذا الوجود فى دين الإسلام، حتى ولوكانت حياة الحيوان، ويدل على ذلك، الحديث الشهير دخلت امرأة النار فى هرة حبستها، والحديث الشهير رجل سقى كلبا فدخل الجنة.

فإذا كان القاتل مسلما وقتل إنسانا واحدا يتم تسليط الضوء على الجريمة ووضعها تحت المجهر وامام وسائل الاعلام العالمية ساعات طوال

وإذا كان القاتل غير مسلم وقتل مليون إنسان ترى الجريمة تمر على وسائل الاعلام كقتل ذبابة أو ناموسة

وهذا سر من أسرار قلب الحقائق

٢ - : بشهادة غير المسلمين مرة أخرى، لا يوجد فى العالم إرهاب إسلامي، ومصدر الإرهاب فى العالم غير إسلامي، وهذا تقرير أممى دولى يشهد بما نقول:

تقرير اللجنة الخاصة بمكافحة

الارهاب التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة .

تقسيم الجماعات المتطرفة وعددها ٢٥٠٠ منظمة وفق معيار التوزيع الجغرافي،

حظيت قارة أوروبا بوجود أكبر عدد من التنظيمات المتطرفة فكريا سواء علي أسس دينية أو أيديولوجية خاصة التنظيمات اليمينية والعنصرية واليسارية، وبذلك احتلت أوروبا المرتبة الأولي بعدد ١٣٠٠ منظمة وبنسبة ٥٢%

وجاءت في المرتبة الثانية دول آسيا غير الاسلامية بعدد ٤٥٠ منظمة وبنسبة ١٨ % إذ بها منظمات متطرفة علي أسس دينية خاصة الهندوكية والبوذية والكنفوشية والسيخ كما في الهند والصين واليابان وفيتنام وبورما،

بينمااحتلت كل من أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية المرتبتين الثالثة والرابعة وبالتساوي بعدد ٢٥٠ منظمة

لكل منهما أي بنسبة ١٠ % لكل منهما،

بينما جاءت دول العالم الإسلامي في المرتبة الخامسة بإجمالي

٢٠٠منظمة وبنسبة ٨ ،%

في حين احتلت دول إفريقيا غير الاسلامية المرتبة الأخيرة بعدد ١٠٠

منظمة وبنسبة ٤ % من اجمالي المنظمات المتطرفة دينيا وفكريا في العالم.

منشور فى جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢٠١٦/٤/٣م

وكتبه أحمد السيد النجار.

٣ - بشهادة قس مسيحى:

أمريكا أبادت ١١٢ مليون مسلم من الهنود الحمر

وتلك هى شهادة المطران برتولومي دي لاس كازاس

مؤلف كتاب "المسيحية والسيف"

تحدث فيه بالوثائق عن إبادة الهنود الحمر فى أمريكا على أيدى المسيحين الأسبان

ويعتبر المطران برتولومى أهم شخصية في تاريخ القارة الأمريكية بعد مكتشفها كريستوفر كولومبوس ، وأنه ربما كان الشخصية التاريخية التي تستحق الاهتمام في عصر اجتياح النصارى الأسبان لهذه البلاد.

ولولا هذا المطران الكاهن الثائر على مسيحية عصره وما ارتكبته من فظائع ومذابح في القارة الأمريكية لضاع جزء كبير من تاريخ البشرية.

فإذا كان كولومبوس قد اكتشف لنا القارة , فان برتولومي هو الشاهد الوحيد على أنه كانت في هذه القارة عشرات الملايين من البشر الذين أفناهم النصارى بوحشية لا يستطيع أن يقف أمامها الإنسان إلا مستنكرا لها , شاكا في إنسانية البشر الذين ارتكبوها

والذى أثبته معظم المؤرخون هنا أن ديانة معظم الهنود الحمر - إن لم يكن كلهم - كانت هى الإسلام

وأن عدد من تم إبادتهم من المسلمين الهنود الحمر تزيد على ١١٢ مليون إنسان مسلم

والنتيجة:

والنتيجة الحتمية والمنطقية التى لا تخطئها عين أنه لا يوجد فى العالم إرهاب إسلامي، ومصادر الإرهاب فى العالم كله غير إسلامية، وهذه ليست ادعاءات مسلم متعصب لدينه ، أو نصرانى كاره لدينه، أو مسيحي يخفي إسلامه، بل إنها تقارير عملية موثقة، صادرة عن جامعات لها مكانتها العلمية المرموقة بين كل جامعات الدنيا، بل أكثر من ذلك ، ففيها تقارير علمية موثقة صادرة عن أعلى جهة أممية فى العالم معنية بمكافحة الإرهاب، ألا وهو تقرير اللجنة الخاصة بمكافحة الارهاب التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة .

وكانت الممارسة العملية للجهاد فى الإسلام أكبر دليل على أن الإسلام دين يحافظ على دماء الأعداء والأولياء،

ووقائع التاريخ، وليست ادعاءات المفكرين تثب صحة ما نقول

فقد فتح المسلمون القدس في ربيع الأول سنة ١٦ ه = ابريل ٦٣٧م بدون قتيل واحد

وفي المقابل احتل الصليبيون القدس في سنة ٤٩٣ ه = ١٠٩٩م فقتلوا وذبحوا سبعين ألف مسلم ودمروا المدينة وخربوا عامرها ولم يتركوا إنسانا على قيد الحياة في القدس

وحرر صلاح الدين الايوبي القدس ودخلها فاتحا في رجب ٥٨٣ ه = اكتوبر ١١٨٧م بدون قتيل واحد

ثم احتلها اليهود في ١٣٤٧ه = ١٩٦٧م فارتكبوا فيها مجازر يندي لها جبين الإنسانية

فهذا احد الفروق الضخمة بين الفتح الإسلامي والاحتلال غير الإسلامي

واحد الفروق الكبيرة والهائلة بين الرحمة الإسلامية والوحشية غير الإسلامية في ميدان الحروب.

الابتلاء سنة كونية

الابتلاء هو الامتحان والاختبار فالله عز وجل خلق الخلق ليمتحنهم ويختبرهم أيهم أحسن عملا، وهذا الابتلاء حقيقة كونية لازمة فطر الله سبحانه وتعالى عليها الكون،

وجعله ناموسا كونيا،وقانونا حتميا لهذا الوجود، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]

أولا: البلاء ضرورة حتمية

فطر الله عز وجل هذا الكون على الابتلاء والامتحان للناس جميعا، فردا فردا بلا استثناء لمخلوق واحد، فلا يخطرن ببال إنسان أن بإمكانه الإفلات من الابتلاء بذكاء أو نفاق، أو ظلم أو خيانة ، أو حيلة يحتالها، فأقدار الله مرسومة، وأرزاقه مقسومة، وأحكامه مقطوعة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] ويقول سبحانه وتعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]

قد يتصور إنسان أن الاحتيال أو النفاق أو الخداع، وما شابه ملاذ من المشقة والعناء، وقد يكون للإنسان حيلة فى الهروب من البلاء والابتلاء، وهذه كلها محض أوهام، يكشفها الحق سبحانه وتعالى بقسم واضح لا شك فيه، لقد خلقنا الإنسان فى كبد، فهذه طبيعة الحياة، وهذا ناموس الوجود الذى لا مهرب منه لموجود، فالمكابدة والمعاناة هما طبيعة الحياة، يقول صاحب الظلال: " يا أيها الإنسان إنك كادح حتى فى متاعك .. فأنت لا تبلغه فى هذه الأرض إلا بجهد وكد، إن لم يكن جهد بدن، وكد عمل فهو جهد تفكير، وكد مشاعر، الواجد والمحروم سواء، إنما يختلف نوع الكدح، ولون العناء، وحقيقة الكدح هى المستقرة فى حياة الإنسان.. ثم النهاية فى آخر المطاف سواء.

يا أيها الإنسان إنك لن تجد الراحة فى الأرض أبدا، إنما الراحة هناك لمن يقدم لها بالطاعة والاستسلام"

وجاءت نصوص القرأن الكريم والسنة المطهرة مترادفة متتابعة معلنة فى جنبات الوجود وآفاق السماء أن البلاء والابتلاء حقيقة واقعة لا مفر منها، ولا مهرب منها، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

وجاء مطلع سورة العنكبوت ليرسي دعائم هذه الحقيقة التى يشك فيها الكثير، ويوقن بها القليل، قال تعالي: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]

فالابتلاء من أقدار الله المحتومة التى لا مفر منها ولا مهرب، لا ينجى منها نفاق ولا خيانة، ولا كذب، فاستقم كما أمرت، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

قال ابن الجوزى فى كتابه الثبات عند الممات: " ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم يَضِقِ العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، وإبراهيم يكابد النار وذَبْحَ الولد، ويعقوب يبكى حتى ذهب بصره، ويوسف يُلقى في البئر، ويعيش كعبدٍ، ويُسجن، وموسى يقاسي فرعونَ ويَلقى من قومه المِحن، وأيوب يموت أولاده جميعًا، ويُبتلى بمرض يُقْعِده عن الحركة وينفق عليه كل ماله، وعيسى لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك، ومحمد ﷺ يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة، ونفور قومه عنه" .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمحن كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لا بد منها لم يغضب لورودها، ولم يغتم لذلك، ولم يحزن"

ثانيا: أنواع الابتلاء

الابتلاء يكون بالسراء كما يكون بالضراء، ويكون بالفقر كما يكون بالغنى، ويكون بالعافية كما يكون بالمرض، ويكون بالخير كما يكون بالشر، قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

يقول صاحب الظلال: " والابتلاء بالشر مفهوم أمره، لينكشف مدى احتمال المبتلى، ومدي صبره على الضر، ومدي ثقته فى ربه، ورجائه فى رحمته، فأما الابتلاء بالخير فهو فى حاجة إلى بيان، أن الابتلاء بالخير أشد وطأة وإن خُيِل للناس أنه دون

الابتلاء بالشر، إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر، ولكن القلة القليلة هى التى تصمد للابتلاء بالخير، كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، وقليلون هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة"

وتكمن خطورة الابتلاء بالخير أن صاحبه يحسب أن ما نزل به من جاه، وما حل به من نعم الله، وما يرفل فيه من متاع الحياة، ليس إلا لكرامته على الله جل فى علاه، وأن رب العباد أكرمه ونعمه لصلاحه وتقواه، وربما كان فاجرا فاسقا ظالما، وأن الخير الذى نزل عليه من السماء ليس إلا ابتلاء وامتحانا، أو فتنة واستدراجا.

ثالثا: الابتلاء نعمة أم نقمة

حين تتوالى المصائب على رأس إنسان، وتحوطه المحن والآلام، يظن كثير من الناس أن هذا بسبب ما اقترفت يداه وما خطته قدماه فى المظالم والخطايا، ولكن الإسلام يؤكد حقيقة أخرى، وهى العكس من ذلك تماما، وهى أن الله عز وجل إذا أحب عبدا ابتلاه، وأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل،

- **عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهمفمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط" رواه الترمذى وابن ماجة.**
- **عن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة" حديث صحيح ، رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان وغيرهم.**

رابعا: الحكمة من الابتلاء

١ – خلق الله عز وجل الوجود ليختبر الناس ويمتحنهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]

ويبقي السؤال، ولماذا يبتليهم الله عز وجل؟ ونجد الإجابة فى قوله تعالى:
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]

وفى قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]

العقيدة السليمة هى السبيل للفوز العظيم، ولا بد للفوز العظيم من امتحان عظيم، فكان ابتلاء رب العالمين للناس أجمعين ليظهر لهم حقيقة قلوبهم، وصدق إيمانهم، حتى لا يدعى الإيمان منافق، أوكاذب، أو ظالم.

يقول سيد قطب: " وحاشا لله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهى فى حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية فى نصر الله"

٢ ــ الابتلاء سبيل التمكين

الابتلاء وسيلة ربانية لإعداد المؤمن السليم العقيدة الصحيح العبادة، المهيأ للقيادة والريادة، والأخذ بيد الإنسانية إلى المنهاج الحق المبين، قيل للإمام الشافعي أيهما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ (أي بالضراء) ، فقال: لا يمكّن حتى يبتلى، فإنّ الله تعالى ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا- صلوات الله عليهم أجمعين- فلما صبروا (على الابتلاء) مكّنهم.

وآيات الكتاب تشهد لهذا المعنى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

٣ ــ الرحمة والتخفيف والتيسير على العصاة يوم القيامة

قال تعالي: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

قال علي- رضي الله عنه-: هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفّر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه.!!
وعن أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم" :إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة) ."رواه الترمذي
وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال" :ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بها عنْه، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها." رواه البخارى

وللعلماء كلام طويل جدا فى الحكمة من الابتلاء، ولعل فيما ذكرناه كفاية.

إغاثة غزة ذروة سنام الإسلام

إغاثة غزة والضفة ذروة سنام الإسلام، وأرفع مقامات الجهاد، وأجل الطاعات، وأفضل القربات، وهذا هو واجب الوقت، وفرض اليوم على الأمة كلها فى المشارق والمغرب، وذلك لدعم ثبات أهل فلسطين عموما وأهل غزة خصوصا فى أرضهم، وإفشال مؤامرة تهجيرهم، وترسيخ أحقيتهم ببلدهم، ومعاونتهم فى مواجهة عدوهم، وتحرير وطنهم، وتطهير مقدساتهم، والتى منها مسرى رسولنا، ومعراج نبينا صلى الله عليه وسلم، وقبلة المسلمين الأولى، وهى جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم، فالمقدسات الإسلامية فى فلسطين لا تخص أهل فلسطين وحدهم، بل هى مقدسات لأمة الإسلام فى كل زمان ومكان، وحمايتها وصيانتها، والمحافظة عليها إرثا إسلاميا خالصا هو واجب المسلمين جميعا، لا أهل فلسطين وحدهم.

قال تعالي: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]

فالجهاد بالنفس والمال فريضة واجبة على المسلمين، وجاء الأمر به صريحا واضحا ثابتا فى قوله تعالي: {وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم}

والجهاد بالنفس والمال ليس فرضا واجبا فحسب، بل هو ذروة سنام الإسلام، كما وصفه النبي ﷺ حين قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: {رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد} رواه أحمد والترمذى وابن ماجة.

وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {الجهاد سنام العمل} رواه البخارى ومسلم.

وسنام العمل: أحسن العمل، وأرفعه، وأعلاه، والجهاد ذروة سنام الإسلام، فهو أحسن أعمال الإسلام وأرفعها، وأجلها.

فالجهاد لتحرير الأوطان، ورد العدوان من أفضل أعمال الإيمان، وأجل عبادات الإسلام، لتحرير أى حبة رمل من أوطان المسلمين فى كل أصقاع الأرض، وفى كل ربوع الدنيا، وأما الجهاد لتحرير فلسطين فهو أرفع الجهاد وأحسنه لأنها الأرض التى باركها الله عز وجل، وبارك حولها، وشرفها بالمسجد الأقصي المبارك، ومسرى الرسول ﷺ، ومعراجه، وقبلة المسلمين الأولى، فلهذا كان الجهاد لتحرير فلسطين أسمي جهاد.

وثبات أهل فلسطين فى وطنهم، وتجذر سكان غزة فى بلدهم، وبقائهم فيها، هو أكبر دعم للجهاد والمجاهدين، ولا بقاء لهم إلا بتعمير بلدهم، وجعلها أفضل مما كانت، بل وجعلها أفضل وأرقي وأجمل بلاد العالمين فى كل مجالات الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والعسكرية.

مبيت ليلة فى غزة أفضل من قيام ليلة القدر:

ما حل بغزة من خراب، وما نزل بها من خوف، والدمار الذى عم ربوعها، وشمل أقطارها، حتى غدت الحياة فيها جحيما لايطاق، ومعاناة فوق طاقة البشر، فهذا يضاعف منزلة أهلها، ويرفع ثواب العيش فيها، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس حرس فى أرض خوف، لعله ألا يرجع إلى أهله}. رواه النسائي فى الكبري، وابن أبي شيبة فى المصنف.

فمجرد الحياة فى غزة جهاد، حتى لو لم يكن فيها قتال، وجعل الخالق سبحانه وتعالي للمقيمين فى أرض الرباط ثوابا عظيما، وأجرا جزيلا ترغيبا للبقاء فيها، وترهيبا من هجرها، والتحول عنها، فلأهل غزة بكل ليلة يعيشونها فى غزة ثوابا أفضل من ثواب

ليلة القدر، بل ساعة واحدة بين حطام غزة، وفوق رباها المهدم، وعلى أطلالها المباركة، وتحت أنياب الحصار القاتل الذي فرضه المحتل الغاشم خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود». رواه ابن حبان فى صحيحه، والبيهقي فى شعب الإيمان، وقال الألباني: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

فعلي المسلمين فى المشارق والمغارب دعم أهل غزة بكل ما يستطيعون، وتوفير الحياة الكريمة لهم، وجعل غزة أجمل بلاد الدنيا، ولآن غزة – والعياذ بالله- لو سقطت فى يد المحتل فلن يكتفي بها، وسيأتي الدور على سيناء، ثم ما يليها حتى يبتلع العدو مصر كلها، ولهذا كان الجهاد المالي لدعم فلسطين كالجهاد بالنفس.

جهاد المنفقين:

أيها المسلمون: يا من أحببتم أن تحشروا مع النبيين والصديقين والشهداء، ويا من اشتقتم لمنازل المجاهدين، ويا من تشوفتم إلى درجات المرابطين، وحالت المسافات بينكم وبينهم، وتقطعت بكم السبل، وعرضت لكم العوارض، ووقفت بينكم وبينهم الحدود والسدود، هل لكم فى ثواب كثوابهم، ومنزلة كمنزلتهم، ودرجة رفيعة كدرجاتهم، قد جاءكم من الله ثواب وفضل عظيم، عن زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من جهز غازيا في سبيل الله عز وجل فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا». متفق عليه.

فقدموا لغزة أموالكم طيبة بها نفوسكم، سخية بها أيديكم، ينزلكم الله عز وجل منازل المجاهدين، ويرفعكم إلى درجة المرابطين، ويحشركم مع المجاهدين، وهذه أسمي المنازل، وأرفع الدرجات، ولن تجد فى ميزان الله تبارك وتعالي أسمي ولا أعلي من منزلة الجهاد، عن أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي عَمَلا يَعْدِلُ الْجِهَادَ، قَالَ: لا أَجِدُهُ} رواه البخارى ومسلم.

الجهاد بالمال:

وهنا قد يقول قائل: كيف لقاعد على أريكته، متكىء على وسادته، متنعم فى بيته، أن ينال ثواب المجاهدين بنفوسهم وأرواحهم، وقد تخضبت نحورهم بدمائهم، وتطايرت

رؤوسهم، وبترت أطرافهم، وعاينوا الموت من فوقهم، ومن تحتهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ومن أمامهم، ومن خلفهم.

ونقول: إن الجهاد بالمال ليس قعود، ولكنه بذل للمحبوب، وهو أمر شاق على النفوس، إلا من رحم الله، ولن يكون جهاد بالنفس إلا بعد الجهاد بالمال، فبالجهاد بالمال يتم إعداد السلاح والعتاد، وتدريب الرجال والآفراد، ونحن فى عصر قل فيه الاعتماد على النفس، وأصبح الاعتماد على المال والسلاح أمرا استراتيجيا هاما وخطيرا فى الحروب المعاصرة، قال تبارك وتعالي: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا). (النساء: ٩٥)

فالمال من أحب الأشياء إلى النفس، وبذله جهاد للنفس، ومحاربة للأهواء والشهوات، وقليل من يجود بماله، ويسلم من بخله، وشحه، ولقد جاء الأمر بالجهاد فى القرآن الكريم فى أكثر من ثلاثين موضعا، منها عشرة آيات ورد الأمر فيها بالجهاد بالنفس مقرونا بالجهاد بالمال، منها واحدة فقط تقدم فيها الجهاد بالنفس على الجهاد بالمال، وهى قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم} (التوبة: ١١١)

وفى المواضع التسع الباقية تقدم فيها الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس،

وجاء في السُّنة النبوية أيضا تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس:

عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «جَاهِدُوا الـمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ». أخرجه أحمد ،وأبو داود، والنسائي، والدارمي .

فما الحكمة فى تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس؟

قال ابن القيم – رحمه الله – في كتابه الفوائد، فى حكمة تقديم المال على النفس:

"هذا دليل على وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، فإذا دهم العدو وجب على القادر الخروج بنفسه، فإن كان عاجزاً وجب عليه أن يكتري بماله.

ولو قيل: إن وجوبه بالمال أعظم وأقوى من وجوبه بالنفس، لكان هذا القول أصحَّ من قول من قال: لا يجب بالمال، وهذا بَيِّن، وعلى هذا فتظهر الفائدة في تقديمه في الذكر".

فالتبرع بالمال لغزة هو أوجب واجبات الوقت، وأفضل وأجمل ما يدخر المرء لآخرته فقدموا لأنفسكم من أموالكم ما ينفع إخوانكم ويكون ذخر لكم عند ربكم ويدعم إخوانكم فى مواجهة عدوكم، وعدو الإنسانية كلها

الزكاة لأهل غزة

كانت دولة الإسلام في المدينة المنورة أول دولة في تاريخ البشرية تشُنُّ حربًا من أجل الفقراء، كان ذلك في القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، وفي عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، حين بعث الجيوش لمحاربة مانعي الزكاة، وقال قولته المشهورة: "والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه"؛ وذلك لأن أداء الزكاة هو الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادتين وإقامة الصلاة، وذلك لأهمية الزكاة في الإسلام بما تشهد به نصوص القرآن والسنة الكثيرة.

مصارف الزكاة:

وأما عن مصارف الزكاة فقد تولاها الحق سبحانه وتعالى بنفسه، ولم يترك الحكم فيها لملك ولا لحاكم، ولا لمجلس شورى، ولا غير ذلك، فقال تعالي: { ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]

فللزكاة ثمانية مصارف نص عليها القران الكريم لا يجوز الزيادة عليها، وقد يجوز الاقتصار على بعضها، فلا يجوز إعطاء الزكاة لواحد من غير هذه الأصناف الثمانية.

أهل غزة والزكاة:

ومع ما يعيشه العالم الإسلامي من تعاطف كبير مع أهل غزة، يكثر التساؤل حول مشروعية إخراج الزكاة لأهل غزة، وهل هم من أهل الزكاة؟ ومن أي وجه شرعي يستحقون الزكاة إن كانوا مستحقيها؟

والحق أن أهل غزة مستحقون للزكاة من وجوه كثيرة وليس وجها واحدا، وذلك على النحو التالي:

أولا: لأنهم فقراء، والزكاة تصرف لفقراء الأمة كما نصت الآية الكريمة: (إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ)، فقد فقد أكثر من مليوني مسلم مساكنهم وأعمالهم وكل ما يمتلكون تحت الاحتلال الغاشم الذي أفقدهم أبسط أمور المعيشة والحياة.

ثانيا: لأنهم مساكين، والمساكين هم مصرف الزكاة الثاني فى الإسلام، كما قال سبحانه: (إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ)، والمساكين أعلى رتبة في الحاجة من الفقراء، فالفقير هو المعدوم الذي لا يجد شيئا، والمسكين هو من عنده من المال ما لا يكفي احتياجاته، فيعطى إكمالا لاحتياجه.

وقد فرض العدو الغاشم الظالم على أهل غزة حصارا جائرا ظالما لا رحمة فيه ولا هوادة، فقد حاصرها برا وبحرا وجوا ومنع عنهم الغذاء والدواء والكساء ومنع عنهم الخروج والدخول ومات منهم الكثير جوعا، وهذا يجعل أهل غزة أحق الناس بزكوات المسلمين بنص القران.

ثالثا: الغارمون، فكثير من أهل غزة غارمون، غارقون في الديون، وقد اقترضوا للحاجة المباحة، بل قد نزل بأهل غزة من المغارم ما تعجز عن حمله الجبال، فيكونون مستحقين الزكاة من هذا الوجه أيضا.

رابعا: في سبيل الله، أى الجهاد فى سبيل الله، وقيل فى سبيل الله فى المصالح العامة للمسلمين، وأهل غزة يخوضون الجهاد في سبيل الله ضد عدو ظاهر محتل، وهو جهاد دفع، وهو أعلى درجات الجهاد.

ومع الاختلاف الفقهي، فقد اقتصر جمهور الفقهاء على الأول وهذا مذهب المالكية والشافعية، وقول أبي يوسف من الحنفية ورواية عند الحنابلة ، ورجحها ابن قدامة رحمه الله، بقوله: "ولا خلاف في استحقاقهم، وبقاء حكمهم، ولا خلاف في أنهم الغزاة في سبيل الله؛ لأن سبيل الله عند الإطلاق هو الغزو، واستدلوا أن استعمالات (سبيل الله) التي وردت في القرآن الكريم تعلقت بالقتال والجهاد والانفاق في سبيلهما، وإذا أطلق في الكتاب والسنة فيراد به الجهاد والغزو، وقرنه النبي عليه الصلاة والسلام به، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ إِلَّا لِخَمْسَةٍ: لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ..) أخرجه أبو داود وابن ماجه وهو صحيح.

وأهل غزة يخوضون حربا مقدسة للدفاع عن مسرى الرسول ﷺ، وعن قبلة المسلمين الأولى، ويخوضون حربا لتحرير أرض فلسطين من دنس الاحتلال الصهيونى الغاشم، ويخوضون حربا للدفاع عن كرامة شعب فلسطين، وكرامة أمة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وهذا يوجب على أمة المسلمين دعمهم بكل ما يستطيعون، فهم مستحقون للزكاة من جهة مصرف(فى سبيل الله).

وحتى إذا كان أهل غزة أغنياء مترفين منعمين، فالزكاة تحل لهم بنص حديث أبي سعيد الخدرى لأنهم مجاهدون في سبيل الله، فكيف إذا اجتمعت بهم أوجاع ومصائب لم تنزل بأمة من الأمم، فأهل غزة أحق من فى الأرض بأموال الزكاة.

والخلاصة:

إن أهل غزة مستحقون للزكاة من جهة أربعة مصارف من مصارف الزكاة الثمانية، هي: الفقر، والمسكنة، والغرم، والجهاد في سبيل الله، مع ما يقوم به أهل غزة من شرف الدفاع عن الأمة، فكانوا مستحقين لها مقدمين على غيرهم، بما في ذلك من مآلات أعظم يعود نفعها على الأمة وليس عليهم وحدهم.

إنقاذ غزة مقدم على الحج والعمرة

يعجز البلغاء عن وصف مأساة غزة، بل تعجز المفردات فى كل لغات العالم عن وصف مصاب غزة.

فأهل غزة تحت حصار مطبق برا وبحرا وجوا، لا يسمح بالمرور إلا للهواء، ومنع عنهم الماء والغذاء والدواء والكساء والكهرباء، وكل المقومات الأساسية للحياة، حتى مات أهل غزة جوعا وعطشا وقتلا، ودمر الاحتلال الغاشم وجه الحياة فى غزة، وقصف بآلاف أطنان المتفجرات المشافى والمخابز والأسواق والمساجد والكنائس، بل حتى آبار المياه دمرها الاحتلال المجرم، وأصبح الحصول على رغيف فى غزة أمر صعب المنال، بل حتى الحصول على شربة ماء نقية حلم يراود الكبار والصغار، حتى أصبح باطن الأرض فى غزة أرحم بأهلها من ظاهرها، وأصبحت الحياة فى غزة جحيما رهيبا، وواقعا أليما مخيفا.

نصرتهم فريضة واجبة

أهل غزة هم أرواحنا وقلوبنا وعقولنا، ونحن وهم جسد واحد، وهم واحد، وألم واحد، وأمل واحد، فرحهم يسعدنا، وحزنهم يؤلمنا، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه مسلم (٢٥٨٦)، وأحمد (١٨٣٨٠)

وفى رواية أخرى: " المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه مسلم.

ولأننا وغزة جسد واحد، وروح واحد، وقلب واحد، فنصرتنا لهم، نصرة لأنفسنا، وخذلاننا لهم خذلان لأنفسنا، ونصرة أنفسنا فريضة إنسانية، ودينية، عن أبي هريرة- رضى الله عنه- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يسلمه" رواه مسلم (٢٥٦٤)، والترمذى(١٩٢٧) وقوله: "لا يخذله" أى لا يترك نصرته وإعانته، فحق علينا لأهلنا فى غزة نصرتهم بالمال والنفس كما ننصر أنفسنا وأبنائنا وأبائنا.

إغاثة أهل غزة أم الحج والعمرة؟

إغاثة غزة مما حل بها من دمار، وإنقاذ أهلها مما يراد لهم من إبادة وتهجير، وإغاثتهم من مجاعة ضارية تفتك بهم فتكا، وتحصدهم حصدا، أهم وأولى أم الحج والعمرة؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول وبالله التوفيق:

أولا: حج بيت الله الحرام فريضة واجبة، بل ركن من أركان الإسلام، قال تبارك وتعالي: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أنكر وجوب الحج فهو كافر خارج عن دين الإسلام، والحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر على من توفرت فيه شروط وجوب الحج، عن أبي هريرة قال: « خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ».رواه مسلم فى الصحيح (١٣٣٧)، وأحمد فى المسند (١٠٦٠٧)، فالحج لا يجب على من توفرت فيه شروط الوجوب إلا مرة واحدة فى العمر تخفيف من ربنا ورحمة بأمة الإسلام.

ثانيا: حكم العمرة:

للعلماء فى حكم العمرة رأيان: الأول:

يري الحنفية والمالكية: أن العمرة سنة مؤكدة، فى العمر مرة واحدة

الرأى الثاني:

ذهب الشافعية والحنابلة – على الراجح عندهما – أن العمرة واجبة فى العمر مرة واحدة كالحج.

ثالثا: إغاثة غزة أم حج النافلة:

الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر، وما زاد على ذلك فهو نافلة، وأما إغاثة أهل غزة فهو فرض الوقت، وواجب اليوم، بل هو من ألزم الفرائض، وأوجب الواجبات، ولا يحتمل أى تأخير، وأى تأخر فى الإنقاذ يعنى المزيد من الضحايا، لهذا كان إنقاذ أهل غزة أولى وأهم من حج النافلة، لأن إنقاذ نفس واحدة يعدل عند الله تعالى إحياء الناس جميعا، قال تعالي: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ

نَفۡسِۭ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣٢]

يقول الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه فقه الحج والعمرة ص٢٤: فليت الذين يتطوعون بالحج، ومثلهم الذين يتطوعون بالعمرة طوال العام، وخصوصا فى شهر رمضان، يتنازلون عن حجهم وعمرتهم، ويبذلون نفقاتها فى سبيل الله، أى فى إنقاذ إخوانهم المسلمين والمسلمات، الذين يتعرضون للهلاك المادى والمعنوى، وللعدوان الغاشم الذى يستبيح كل حرماتهم، ولا يريد أن يبقي لهم من باقية"

إغاثة أهل غزة أفضل من مئة حجة بعد حجة الإسلام:

وهذا ما حكاه أبو طالب المكي فى قوت القلوب ص ١٦٦، وحجة الإسلام الغزالي فى الإحياء ٤٠٩/٣، عن بشر الحافي أنه قال: "فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام"

وحكى أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب مقاتل الطالبيين ص ٣٢٤عن الإمام أبي حنيفة النعمان أنه قال:

«غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة»

فإغاثة أهل غزة تحتاج إلى جهاد بالمال والنفس والعلم وكل ألوان الجهاد، وكل ذلك أولي وأهم من حج النافلة، وهذا بإجماع العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب السياسة الشرعية ص ١٥٩: " والجهاد باتفاق العلماء أفضل من الحجِّ والعمرة"

رابعا: إغاثة غزة مقدم على حج الفريضة:

الحج فرض عين على كل مسلم توفرت فيه شروط الوجوب مرة واحدة فى العمر، ولكن أيهما أولى؟ وأيهما يقدم على الآخر حجة الإسلام أو حجة الفريضة، أم إغاثة غزة؟

أرى- والله أعلم- أن إغاثة غزة أولي من حجة الفريضة، وذلك لأدلة كثيرة، نذكر منها:

١- أن ما يحتمل التأخير أولى مما لا يحتمل التاخير، فالحج فرض عين على من توفرت فيه شروط الوجوب، إلا أنه يصح تأخيره، وقد قال بذلك غير واحد من أئمة الفقهاء، أما إغاثة غزة فلا تحتمل التاخير، وكل يوم، بل كل ساعة يزداد عدد الضحايا،ويرتفع عدد الشهداء الذين يرتقون جوعا وعطشا وقتلا على يد الاحتلال الصهيوني الغاشم، والذى يريد تصفية القضية، وإنهاء الوجود الفلسطيني.

٢- مما لاشك فيه أن فريضة الحج ركن من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائر الإيمان، ولا يصح أن يخلو موسم الحج من أداء الفريضة الكبري، والشعيرة العظمى، لكنها يصح أن تقام بأهل الحرمين، وهم بالملايين، ولا يكلفهم الحج إلا نفقات يسيرة.

٣- دل القرآن الكريم على أن أعمال الجهاد أفضل من أعمال الحج، قال تبارك وتعالي: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

٤- المبادرة والمسارعة إلى إغاثة غزة، إنقاذ لمليونين ونصف المليون من البشر من الموت جوعا أوعطشا أو قتلا، وإحياء نفس واحدة يعدل عند الله تعالي إحياء الناس جميعا، وقتل نفس واحدة يعدل عند الله تعالي قتل الناس جميعا، قال تبارك وتعالي: " ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة: ٣٢]

فإنقاذ نفس واحدة من أهل غزة يعدل عند الله تعالي إنقاذ البشرية كلها، فما بالكم بإنقاذ حياة مليونين ونصف المليون من البشرمن بين أنياب احتلال فاجر غاشم ظالم تكاتفت معه كل قوى الغرب وذلك لإبادة غزة وطرد أهلها، ولا أقول وتخريب عامرها، فقد أصبحت أطلالا بالفعل، وما زال أهلها متمسكون بحقهم، متجذرون فى أرضهم، رافضين كل محاولات اقتلاعهم.

٥- إغاثة غزة جهاد، والجهاد فريضة واجبة فى دين الإسلام، قال تبارك وتعالي: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] والجهاد ليس فرضا واجبا فحسب، بل هو ذروة سنام الإسلام، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، حين قال لمعاذ بن جبل: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" .رواه أحمد [٢٢٠١٦]والترمذى [٢٦١٦]، وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { الجهاد سنام العمل}، وسنام العمل: أحسن العمل، وأرفعه، وأعلاه، والجهاد ذروة سنام الإسلام.

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ). قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (حَجٌّ مَبْرُورٌ). رواه البخارى فى الصحيح [٢٦]، ومسلم فى الصحيح [١٣٥] فهذا نص من النبي ﷺ على أن الجهاد في سبيل الله أفضل من الحج، وليس أى حج، بل الحج المبرور، وإذا كان هذا الحديث قد نص على أن الجهاد فى سبيل الله فى المرتبة الثانية لأفضل أعمال الإسلام بعد الإيمان بالله، فقد جاء فى حديث آخر أن الجهاد في سبيل الله فى المرتبة لأفضل أعمال الإسلام مع الإيمان بالله،عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ" رواه البخارى [٢٣٨٢]، ومسلم [١٣٦]

٧- إغاثة غزة مقدمة على الحج والعمرة، لأن إغاثة غزة إنقاذ لمليوين ونصف المليون من البشر، ونفس واحدة من هذه النفوس الطاهرة أعظم حرمة عند الله عز وجل من البيت الحرام نفسه عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: "ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده! لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خيرا" رواه ابن ماجة فى سننه [٣٩٣٢]، والطبراني فى مسند الشاميين [١٥٦٨].

٨- وحرمة دم المؤمن ليست أعظم من حرمة البيت الحرام وحسب، بل حرمة دم المؤمن أعظم عند الله عز وجل من الدنيا كلها، فقتل نفس واحدة من أهل غزة أعظم عند الله عز وجل من زوال الدنيا كلها، فلذا كانت المسارعة والمبادرة إلى إنقاذهم وغوثهم، ونصرتهم هى إنقاذ للدنيا كلها من آلة القتل والتدمير والإبادة عن البراء بن عازب، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:

((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) رواه الترمذى[١٣٩٥]، وابن ماجة[٢٦١٩].

٩- عن هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار» رواه الترمذى[١٣٩٨] وقال الالباني: صحيح

لو أن سكان العالم الثمانية مليار إنسان اجتمعوا على قتل مسلم لأدخلهم النار، ولا يبالي، حتى لو اشترك معهم أهل السماء، لأدخلهم جميعا نار جهنم، والمشاركة فى القتل أحيانا تكون بعمل إيجابي، وقد تكون بفعل سلبي، كالأم التى تمتنع عن ارضاع ولدها حتى يموت فهى قاتلة بامتناعها عن إرضاعه، وترك إنقاذ أهل غزة هو مشاركة فى القتل بفعل سلبي لمن كان قادرا على إنقاذهم وغوثهم ولم يفعل، والمبادرة الى الغوث والانقاذ لا تحتمل التاخير، حتى لا تهلك نفوس الابرياء، أما أداء فريضة الحج فيحتمل التاخير، لهذا كانت المسارعة إلى نصرتهم فريضة مقدمة على أداء الحج.

١٠- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «لَسَفْرَةٌ في سبيل الله أفضل من خمسين حجة" رواه ابن أبي شيبة فى المصنف [٢٠٥٠٧]، وقال محققه صحيح. ورواه عبد الرزاق فى المصنف[١٠٣٧٨]، وابن المبارك فى الجهاد[٢٢٥].

ومعنى سفرة أى غزوة، فالجهاد ودعم المجاهدين وأهل الرباط أفضل من خمسين حجة، كما قال ابن عمر

وخلاصة القول: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه السياسة الشرعية: "والجهاد باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة"

أنس الشريف يحقق نصرا ساحقا على بنيامين نتياهو

فى العاشر من أغسطس ٢٠٢٥م قتل جيش الاحتلال الصهيونى الظالم، الصحفى الغزاوى الشاب أنس جمال الشريف عن عمر يناهز ٢٨ عاما، وارتقي شهيدا إلى العلياء بإذن ربه مع خمسة من زملائه من الصحفيين الشباب، أصغرهم ٢٤ عاما، وأكبرهم ٣٣ عاما.

إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى

كان أنس ومعه هؤلاء الشباب الغر الميامين ينقلون للعالم جرائم الاحتلال فى شمال غزة، حيث أحرق الاحتلال الأخضر واليابس، وقتل الصغير والكبير، والصحيح والمريض، ودمر الحجر والشجر، وأهلك الحرث والنسل، بل ومسح المدينة عن بكرة أبيها، ولم يبق فيها حجرا على حجر، وحاصر المدينة، ومنع عنها الغذاء والدواء، وكل مقومات الحياة، وقتل أبناء غزة جوعا وعطشا وقصفا، ومنع الصحافة العالمية من الدخول إلى القطاع المحاصر حتى لا تفضح جرائمه، فشمر أنس ورفاقه عن ساعد الجد، ونقلوا للعالم بعضا من جرائم الاحتلال، وبالصوت والصورة رأى العالم مشاهد حرق الأحياء، وقتل الأبرياء، بل وأحيانا كان هؤلاء الشباب ينقلون بعضا من هذه الجرائم على الهواء مباشرة، وواصلوا الليل بالنهار، وبذلوا جهدا جبارا لفضح جرائم الاحتلال، وكشفوا للعالم الوجه الظالم للاحتلال الغاشم، فلجأ الاحتلال إلى الخسة والدناءة كما هى عادته دائما، وقام بتهديد أنس وصحبه من الثلة المؤمنة المجاهدة، مطالبين إياهم أن كفوا عن عملكم، وإلا سيكون مصيركم القتل والإبادة كما فعلنا بشعبكم، وبني جلدتكم، وكما رأيتم ذلك بأم أعينكم، ولم يكن تهديدا واحدا، بل تهديدات متعاقبة متوالية زادت على العشرين تهديدا، وكانت تهديدات تذهب باللعقل، وتخلع القلب، وتطير باللب.

فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ

صدرت التهديدات بالقتل إلى أنس ورفاقه من الشباب المؤمنين المجاهدين، من جيش الاحتلال المدعوم بلا حدود من حلف الناتو، بل المدعوم من العالم كله، فكان المتوقع والمأمول عند الجماهير العريضة من البشر أن تنخلع قلوب الشباب من الرعب، وأن تهتز أركانهم من الفزع، لكنهم أذهلوا العالم بثباتهم، وصمودهم، وقالوها مدوية فى جنبات الوجود بكل عز وفخار: {فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ} [طه: ٧٢]، وتكرر التهديد، فتكرر الرد بثبات وصمود وإباء، فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ}

من أين لأنس وصحبه بهذا الثبات العجيب، والصمود الرهيب، واليقين التام فى رب الأنام، إنها العقيدة السليمة، وإنه الإيمان برب العالمين الذى يفعل بالنفس الإنسانية العجب العجاب، فيفجر الطاقات، ويأتى بالمفاجآت، فما كان من أنس وصحبه، إلا أن واصلوا عملهم على أحسن صورة، وأتم وجه غير مبالين، ولا مكترثين بتهديدات جيش الاحتلال المدعوم من الدنيا كلها، فلا بد أن يكون هذا نصرا ساحقا لأنس وصحبه، على نتنياهو ومن معه، وقالوها فى إباء قل نظيره، وندر شبيهه فى دنيا البشر: لن يكون فى ملك الله إلا ما أراد الله، نحن لسنا إلا موقنين واثقين مطمئنين، مؤمنين برب العالمين أن الأمر كله بيد الله وحده لا شريك له، وأن الأعمار والآجال بيد الله وحده، لا شريك له، كما قال قطرى بن الفجاءة:

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

فإنك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى

وقال عمرو بن عامر الخزرجي:

أقو ل لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

يقول الشيخ محمد الغزالى: "إن هذه الأبيات تصوير حسن لموقف الرجولة من المواقف الصعبة، ماذا يجديك أن تفقد رشدك إذا هددتك أو دهمتك أزمة، إن الفرار لن يرجئ أجلا حان، إنه لن يجلب إلا المعرة، فلتبقي ولتثبت فى مكانك، فالبقاء إن قتلت أروح للنفس، وإن عشت كان أدعى للحمد"

فرغم التهديدات المتعاقبة المتوالية بالقتل والإبادة من قبل المحتل الغاشم الظالم، كان قرار أنس الأخير ورفاقه: لن نوقف عملنا، وسنمضى على درب التحرير والمجد والشهادة ما دام فينا عرق ينبض، أو نفس يصعد، أو قلب يخفق.

وعجز الاحتلال عن تحقيق مراده، ونجح أنس ورفاقه فى تحقيق قرارهم، وهذه وحدها نصر ساحق للثلة المؤمنة المجاهدة المرابطة، وهزيمة ساحقة مدوية للاحتلال ومن يدعمه، فما كان من الاحتلال الظالم إلا قتل الشباب المؤمن، ليرتقوا إلى العلياء شهداء سعداء بإذن رب الأرض والسماء، ولسان حال أنس وصحبه قول القائل:

قل لإخوان رأوني ميتًا ... فبكوني ورثوني حزنا

أتظنون بأني ميتكم؟ ... ليس هذا الميت والله أنا

أنا في الصور وهذا جسدي ... كان ثوبي وقميصي زمنا

أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت عنه وبقى مرتهنا

أحمد الله الذي خلصني ... وبنى لي في المعالي سكنا

كنت قبل اليوم أناجي ملأ .... فحييت وخلعت الكفنا

وأنا اليوم أناجى ملأ ..... وأرى الله جهارا علنا

قد ترحلت وخلفتكمو .... لست أرضى داركم لى وطنا

لا تظنوا الموت موتًا ... إنه كحياة وهو غايات المنى

لا ترعكم نقلة الموت ... إنه ليس إلا نقلة من ها هنا

نصر ساحق للمقتول وهزيمة مدوية للقاتل:

والسؤال الذى يلح على الأذهان، ويتردد فى الوجدان، كيف لعاقل أن يستوعب أن نتنياهو القاتل قد انهزم، وأن أنس الشريف قد انتصر؟

هذا سؤال منطقى، وإيراد بديهي، ولك الحق يا صديقي أن تسأل هذا السؤال، وأن تعجب من هذه الطرح، كما تعجب منه جماهير البشر من السلف والخلف، فى الأزمنة الغابرة والحاضرة، ونجد ما يشفى النفوس، ويريح القلوب فيما رواه صهيب الرومي عن رسول الله ﷺ، قال: {عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء

فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له} رواه مسلم وابن حبان والدارمى

فالقتل فى سبيل الله أسمي أماني المؤمنين الصادقين المجاهدين، وهو غاية المتقين الساعين لنصرة هذا الدين، وما فعله جيش الاحتلال بأنس وصحبه، هو أسمي أمانيهم، ومنتهى أملهم، وغاية مرادهم، فكانت هذه الشهادة نصر ساحق للمتقين، وهزيمة مدوية للمحتلين، قال تبارك وتعالي: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]

فغاية المؤمن الصادق المجاهد إما النصر وإما الشهادة، وهاتين هما الحسنيين فى ميزان الحق سبحانه وتعالي، وقال سبحانه وتعالي:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]

ففي هذه الآية الكريمة لم يقل الحق ﷻ " إلا ما كتب الله لنا أو علينا" بل قال تبارك وتعالي: "لنا" فقط، لأن كل ما كتبه الله سبحانه وتعالي فى حق المؤمنين المجاهدين لهم لا عليهم، إن كان النصر فهو لهم كرامة وعزة، وإن كانت الشهادة فهى لهم هدية ومنحة، ولا شىء عليهم أبدا فى طريق الحق سبحانه وتعالي، اللهم فرجا عاجلا، وفتحا مبينا لأهلنا فى غزة يا رب العالمين، الله أغثهم يا رب العالمين، وافتح لهم بركات من السماء والأرض.

المقاطعة فريضة شرعية وحتمية إنسانية

الحرب التى يشنها الاحتلال الصهيونى على أهلنا فى غزة هى واحدة من أقذروأبشع الحروب فى التاريخ كله، لقد ألقوا على القطاع الصغير المحاصر أضعاف ما تم القاءه على هيروشيما ونجازاكى فى الحرب العالمية الثانية، وأخطر من ذلك كله، أنهم أعلنوا حصارا شاملا على أناس أبرياء لا حول لهم ولا قوة، ومنعوا عنهم الماء والغذاء والدواء ليقتلوهم جوعا وعطشا، وهذه أسوأ وأبشع قتلة، فيجب علينا مقاطعة كل منتج يدعم الاحتلال الظالم حتى لا نكون شركاء فى الجريمة النكراء التى قل شبيهها وندر مثيلها فى حياة الأمم وتوارايخ الدول

وبعد هذه اللمحة العابر لبعض مشاهد تلك الحرب المدمرة

ما حكم المقاطعة الاقتصادية لهذا الكيان المجرم، ومعه أمريكا كبيرة الداعمين للمجرمين فى العالمين؟

أقول مستمدا العون والتوفيق والسداد من الله رب العالمين:

المقاطعة الاقتصادية للكيان الصهيونى وداعميه فريضة شرعية على كل مسلم ومسلمة فى الدنيا كلها، ودل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أولا: الأدلة من القران الكريم

١ – قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]

وجه الدلالة:

المقاطعة تغيظ الكفار، وتنال منهم، وكل عمل يغيظ الكفار أو ننال به من الكفار المحاربين لأمة الإسلام فنحن مأمورون به، والمقاطعة الاقتصادية للكيان الصهيونى ومن يدعمه تغيظهم وتنال منهم فلذا نحن مأمورون بها بنص القران الكريم

٢ – قال تبارك وتعالي: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١ ﴾ [التوبة: ٤١]

وجه الدلالة:

أمر الله ﷻ المسلمين بالجهاد في سبيله بالمال والنفس، وجاء الأمر بذلك فى القران الكريم فى أكثر من موضع، وفى كل موضع من هذه المواضع كان الجهاد بالمال مقدما على الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال شقين اثنين، الأول: بذل وعطاء، والثانى: وكف وانتهاء، فنحن مأمورين بالجهاد بالمال والانفاق على المجاهدين، وفى نفس الوقت بمنع أموالنا عن المحاربين، فكما أن إعطاء المال للمجاهدين أجر، فكذلك إعطائه للمحاربين وزر، ومنعه عنهم أجر.

٣ – قال سبحانه وتعالي: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

وجه الدلالة:

هذا أمر واضح لا لبس فيه من رب العالمين للمؤمنين أجمعين بأن يعدوا كل ألوان القوة – اقتصادية، عسكرية، سياسية، وغير ذلك - لردع المجرمين عن محاربة المسملين، فكل أمر فيه رفعة للدولة المؤمنة يجب علينا المبادرة إلى تحقيقه

وامتثاله، ومثله كل أمر فيه إضعاف للمحاربين وتوهين قواهم فنحن مامورين به، والمقاطعة الاقتصادية تضعف الأعداء، وتقوى الأصدقاء.

٤ – قال الله عزوجل:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: ٢]

٥ – قال الحق ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣]

٦ – قال الله تبارك وتعالي:﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]

وجه الدلالة:

المقاطعة الاقتصادية للمحاربين، والدعم المادى والمعنوى للمجاهدين تعاون على البر والتقوى، لأن فيها تقوية للمجاهدين وإضعاف للمحاربين، فهى فريضة قرآنية، وهنا يلفت القرآن أنظار المؤمنين إلى أن الكافرين فى العالمين يدعمون بعضهم بعضا، وتقف الشركات الصهيونية بالمال خلف المعتدين تدعمهم بمليارات الدولارات لقتل أهلنا فى غزة، فيجب علينا أن نمنع أموالنا عن هذه الشركات نصرة لأهلنا، فإن لم نفعل كانت فتنة فى الأرض وفساد كبير

ثانيا: الأدلة من السنة النبوية

١ – حديث ثمامة بن أثال فى الصحيحين عن أبي هريرة لما أسلم ثمامة قدم مكة معتمرا وسمعته قريش يتكلم بأمر محمد من الإسلام قالوا: صبأ ثمامة. فأغضبوه فقال: إنى والله ما صبوت، ولكنى أسلمت وصدقت محمدا وآمنت به، وايم الذى نفس ثمامة بيده لا تأتيكم حبة حنطة من اليمامة ما بقيت حتى يأذن فيها محمد ﷺ. وانصرف إلى بلده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى إليهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ.

وجه الدلالة:

هذا حديث صحيح واضح الدلالة علي مشروعية المقاطعة الاقتصادية للمعتدين الظالمين، فهذا ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة يعلن المقاطعة الاقتصادية لقريش وأهلها ويمنع عنهم القوت والحبوب، للتنكيل بقريش وإضعافها وتدمير مقدراتها الاقتصادية، وأقره النبي ﷺ على هذه المقاطعة، فتكون المقاطعة مشروعة لإنزال الأذى بأعداء الحق ، وتكون المقاطعة واجبة، إذا كانت هى السبيل لنجدة المظلومين، كما هو الحال مع الصهاينة المعتدين الغاصبين

٢ - عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ " رواه أحمد وأبوداود والنسائي والدارمى وغيرهم

وجه الدلالة:

هذا أمر صريح بجهاد الكافرين بالمال والنفس والقول، وجاء فى المقدمة الأمر بالجهاد بالمال قبل الأمر بالجهاد بالنفس والقول، والجهاد بالمال ببذله للمجاهدين ومنعه عن المجرمين وأعوانهم، فهذه الشركات تتبرع بالمليارات لدعم الصهاينة بالسلاح والعتاد، فمن لم يقاطع فقد بذل ماله للأعداء لشراء الرصاص لقتل أبنائنا

٣ – عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه احمد ومسلم وغيرهما

وجه الدلالة

المسلمون فى المشارق والمغارب جسد واحد، والمظلومون والمحاصرون والمقتولون هم منا ونحن منهم، هم نحن ، ونحن هم، ففرض علينا أن نمنع مالنا عمن يقتلون أبنائنا، حتى لا يكون مالنا ثمن رصاصات قتل أبنائنا

٤ – عن عبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ عز وجل فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عز وجل عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " متفق عليه

وجه الدلالة:

شراء المنتجات التى تدعم الاحتلال، خذلان قاطع لأهل غزة، وفيه ظلم لهم وتسليم لهم للعدو يستحي نساؤهم، ويقتل أطفالهم، فلهذا كانت المقاطعة فريضة شرعية، فرضها رب العاليمن، على المسلمين يغيثوا بها إخوانهم المحاصرين المظلومين

ثالثا: الإجماع:

١ - نقل النووى فى المجموع ٤٣٢/٩ : "الإجماع على تحريم بيع السلاح لأهل الحرب، ويقاس عليه كل ما يعين العدو على قتال المسلمين"

٢ – قال النووى في شرح مسلم ٤١/١١: " وقد أجمع المسلمون على جواز معاملة أهل الذمة، وغيرهم من الكفار إذا لم يتحقق تحريم ما معه، لكن لا يجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحا وآلة حرب، ولا ما يستعينون به فى إقامة دينهم"

قال ابن بطال فى شرح صحيح البخارى: " أهل الحرب لا يباع منهم ما يستعينون به على إهلاك المسلمين من العدة والسلاح، ولا ما يقوون به عليهم"

المقاطعة حتمية إنسانية:

الإسلام دين الإنسانية، وفى الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه يحب لنفسه} رواه ابو يعلي وابن حبان فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه، والمراد بالأخوة هنا إخوة الإنسانية، وليست إخوة الإسلام كما يتوهم البعض، فلو كان الصهاينة فى مكان الفلسطينين لوجب علينا الوقوف معهم لأن الإنسانية تحتم ذلك، فعلى كل مسلم فى العالم، وعلى كل حر فى العالم مسلما أو غير مسلم، أن يقاطع المنتجات التى تدعم الاحتلال الصهيونى، حتى لا تكون اموالنا ثمن رصاصاتهم، وحتى لا يتقووا بمالنا على أبنائنا، وهذا قمة الظلم ممن يدعون الحياد، وهم شر العباد، والذين يدعمون بمالهم تمويل جنود الاحتلال بالمال والسلاح.

والخلاصة:

أن مقاطعة المنتجات التى تدعم الاحتلال فريضة شرعية على كل مسلم، بل وعلى كل حر فى العالم إذا كان لديه مثقال ذرة من إنسانية أن يقاطع كل منتج يدعم الاحتلال.

من دروس الحج

فريضة الوقت: رجم الشيطان ومقاطعة الكيان

بعد أيام قليلة يقف قرابة ثلاثة ملايين حاج من أمة المليارى مسلم على جبل عرفات يؤدون ركن الحج الأعظم ثم يفيضون من عرفات إلى المزدلفة يبيتون فيها ليلة العاشر من ذى الحجة، ثم يؤدون جل شعائر الحج فى يوم النحر، وقبل الانصراف من الأراضي المقدسة يقيم الحجيج فى منى ثلاثة أيام يرمون فيها الجمرات، ويعلنون فيها مقاطعة الشيطان، ثم ينصرفوا إلى بلدانهم فى مشارق الأرض ومغاربها.

وهنا يجب أن يتعلم المسلمون درس الحج الأخير وهو مقاطعة الشيطان، وعدم سماع وساوسه إلى أبد الدهر.

ومن بدهيات ديننا، ومن مسلمات شرعنا أن نصرة المسلم فريضة واجبة لازمة على المسلمين فى الأرض كلها، فعلى أمة المليارى مسلم، أن يهبوا لنصرة المسلمين فى غزة، وإذا كان حجاج بيت الله الحرام قد ختموا شعائر حجهم برجم الشيطان ومقاطعته، فهذا ما يجب على المسلمين فعله مع المحتل الصهيونى وأمريكا، فيجب علينا مقاطعة كل منتج يدعم الاحتلال صهيونيا أو أمريكيا أو غير ذلك، فإن للمقاطعة آثارا مدمرة على اقتصاد الصهاينة ومن يدعمهم، ولا تنتهى المقاطعة بنهاية الحرب بل يجب أن تستمر حتى تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر، وتحرير المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى.

وهذا درس الحج فإن رجم الشيطان، وإعلان مقاطته فى نهاية الحج يجب أن يستمر حتى نهاية العمر، فإن مقاطعة المنتجات التى تدعم الاحتلال يجب أن يستمر حتى نهاية الاحتلال لفلسطين كلها من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها ومن بحرها لنهرها، وتحرير كل ديار المسلمين فى سوريا ومصر ولبنان،

والمقاطعة فريضة واجبة وشريعة لازمة لا عذر لمسلم فى تركها، وكل عذر للتهرب منها فهو غير مقبول باى شكل من الاشكال

فيحرم على المستهلك شراء أى منتج يدعم الاحتلال، وكذلك يحرم على التاجر التجارة فى أى منتج يدعم الاحتلال، ويحرم الترويج والإعلان لأى منتج من منتجات المقاطعة، والتعلل وإبداء الأعذار بعقود مبرمة أو شروط جزائية موجعة كل هذا ليس عذرا لعدم المقاطعة.

بل أكثر من ذلك إن المقاطعة واجبة على كل إنسان حر يدعم فلسطين حتى لو لم يكن مسلما، فإن كان مسلما كان الأمر أوجب، والحكم ألزم، لأن من لا يقاطع شريك للمحتل فى جرائمه، ويدفع نقوده لإبادة إخوانه من أهل فلسطين وقتلهم وتدميرهم، فهل يعقل أن يشارك مسلم العدو فى هذا الجرم، نعم من لا يقاطع شريك

وأخيرا

هل يقبل من مسلم أن يقول: إن دعم أهل فلسطين فرض واجب لكنى عاجز عن فعل أى شىء لهم

أقول مستعينا بالله:

هذا ادعاء كاذب، ووهم ساقط، وكلام مرفوض جملة وتفصيلا، فإذا كان بعض الدعم فى غير الإمكان، فإن من صور الدعم ما لا عذر فى تركه، ومن صور النصرة لأهل فلسطين ما يمكن لكل مسلم فى الارض أن يقوم به

من صور النصرة لأهل فلسطين التى لا عذر لمسلم فى تركها ما يلي:

١ – تعريف الناس بالقضية وبعدوان وبغي وظلم الصهاينة الذى فاق الحدود، وبأحقية أهل فلسطين فى أرضهم، وأنهم أصحاب الأرض، ولا حق لليهود فى شبر واحد منها

٢ – التبرع بالمال على قدر الاستطاعة، والتبرع بالمال جهاد أعظم من الجهاد بالنفس، ففي كثير من آى القران الكريم ورد الأمر بالجهاد بالمال قبل الجهاد بالنفس ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة: ٤١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [الأنفال: ٧٢]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: ٢٠]

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: ٢٠]

والجهاد بالمال شقين متلازمين: الأول بذل وعطاء، والثانى: كف وانتهاء، فإذا عجزت عن الأول فلن تعجز عن الثانى، وهو المقاطعة التى لها أبلغ الدمار على اقتصاد الاحتلال وأعوانه، وداعميه

٣ – الدعاء ليل نهار صباح مساء بالنصر والتميكن للمجاهدين فى فلسطين، وفى كل ديار الإسلام فى المشارق والمغارب، ففي معركة بدر وفى كل معركة خاضها المسلمون فى صدر الإسلام لم يترك النبي ﷺ الدعاء والتذلل لرب الأرض والسماء، والنبي ﷺ قوتنا وأسوتنا، ومعلمنا ومعلم البشرية كلها.

"اللهم اكسر بنا شوكتهم اللهم نكِّس بنا رايتهم اللهم أذِّل بنا قادتهم اللهم حطم بنا هيبتهم اللهم أزل بنا دولتهم اللهم انفذ بنا قدرك فيهم، بالزوال والتدمير والتتبير يارب العالمين"

تجويع غزة أكبر جرائم التاريخ

القتل بالتجويع أفظع وأبشع وسائل القتل التى عرفها الإنسان عبر التاريخ، وذلك أن خروج الروح بالتجويع يستغرق أياما، وربما أسابيع يشاهد فيها الإنسان بدنه

يضعف، وجسمه يذبل، وقواه تنهار رويدا رويدا، ويقترب من الموت ساعة بعد ساعة، فى مشهد مرعب ومفزع لخروج الروح، بينما القتل بأى وسيلة أخرى ربما استغرق دقيقة من الزمان تزيد قليلا أو تقل قليلا، ولا يتحمل إنسان مهما كان قويا معافا خروج الروح بالتجويع، أو التعطيش، وذلك لما يحويه من آلام رهيبة، وعذابات فظيعة، وأفظع من كل ذلك، وأبشع من كل ما سبق، أن يري الإنسان روح أمه أو أبيه، أو صاحبته أو بنيه تخرج من أبدانهم بالتجويع أو بالتعطيش، فالقتل بالتجويع آلام جسام، وأهوال ضخام، تعجز عن حملها الجبال.

وقد تعجز روح الإنسان عن رؤية مشاهد الجوع الفظيعة القادمة من غزة فتخرج روحه ألما وقهرا وهما وحزنا.

حصار المجوعين المجروحين:

منذ عقدين من الزمان فرض الاحتلال الصهيوني حصارا ظالما على قطاع غزة الصغير المتعب، ولم يسمح بالمرور إلا للفتات الذي يسمح فقط بالبقاء على قيد الحياة، وفى أكتوبر ٢٠٢٣م أطبق المحتل الصهيوني الغاشم الحصار الظالم على قطاع غزة الجريح المسالم، ومنع عنهم كل مقومات الحياة الأساسية، فمنع عنهم الغذاء والدواء والماء والكهرباء، بل وقصف آبار المياه، وجعل الحياة فى غزة جحيما لا يطاق، ودربا من المحال، وتساقط الناس شهداء، المرضى والأصحاء على السواء، وضربهم الجوع بنابه، وافترسهم العطش بسنانه، وكل ذلك على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، وأمام أعين العالم كله، والكل ساكت يتفرج، والمجاعة يشتد لهيبها، وترتفع صرخاتها، والمجوعين المجروحين قد انقطع أنينهم، وذهب ريحهم لشدة الهزال الذى ضرب أبدانهم.

ومع القتل بالتجويع استمر القتل بالقصف والتدمير، وألقي المحتل الصهيوني أكثر من مائة ألف طن من المتفجرات على غزة الصغيرة الجريحة المحاصرة، وخلف المحتل الغاشم أكثر من مائتى ألف شهيد وجريح بالإضافة إلى أكثر من خمسة عشر ألف مفقود، مما اضطر المحكمة الجنائية الدولية إلى إصدار مذكرة اعتقال بحق بنيامين نتنياهو رئيس حكومة الاحتلال، ويوآف جالانت وزير حرب الاحتلال بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وجرائم حرب، وذلك فى ٢٠٢٤/١١/٢١م.

تجويع غزة ومؤتمر حل الدولتين:

الحصار الظالم المتسبب فى التجويع الذى يقتل الأبرياء فى غزة، والتعطيش الذى يفتك بالمحاصرين فى غزة، والقصف من البر والبحر والجو الذى يدمر وجه الحياة فى القطاع المحاصر، كل ذلك يفرض على العالم المسارعة إلى رفع الحصار، والمبادرة إلى إنقاذ ما تبقي من سكان غزة قبل أن يفتك بهم التجويع والتعطيش والقصف والتدمير، وهذا هو واجب الوقت، وفرض اليوم، ولا شىء غير ذلك، لكن المجتمع الدولى الظالم، والداعم للمحتل الغاشم، راح يشغل الدنيا بما يسمي حل الدولتين، والسبل القانونية، والأطر الشرعية لإقامة دولة فلسطينية، وترك العالم الواجب الأول على العالم بأسره وهو رفع الحصار ووقف العدوان، فهذا مؤتمر فقد ظاهره الرحمه، وحوي باطنه العذاب، فظاهره خدعة مسرحية، ورواية تمثيلية، وكذبة بديهية، تزعم مساعدة الفلسطينيين لإقامة دولتهم، وباطنه وحقيقته دعم المحتل الصهيوني الظالم لتنفيذ خطته الجهنمية فى تصفية القضية الفلسطينية، وتهجير الفلسطينيين من أرضهم، بل ومحوهم وإبادتهم من الوجود، من خلال الحصار والتجويع، والقصف والتدمير، فقد ترك المؤتمرون المتآمرون الجوع يطحن الفلسطينيين بأنيابه الشرسة، ومخالبه المفترسة التى لا تبقي ولا تذر، وراحوا يتكلمون عن هجمات السابع من أكتوبر وعدم مشروعيتها، وعن نزع سلاح المقاومة، وعن تجريد الدولة الفلسطينية المقترحة من كل مقومات الدولة المستقلة ذات السيادة، ونسوا أو تناسوا أن نزع سلاح المقاومة لا يعني إلا شىء واحد، وهو الاستسلام دون قيد أو شرط للمحتل الظالم ليكمل جرائمه، ويستكمل إبادة الفلسطينيين ومحوهم من الوجود.

الاعتراف بالدولة الفلسطينية:

الاعتراف بالدولة الفلسطينية يجب أن يتم دون قيد أو شرط، وهو حق أصيل للفلسطينيين لا منة لأحد عليهم فيه، وقد رأينا المجتمع الدولى يسارع الخطي إلى الاعتراف بدولة الاحتلال عقب إعلانها مباشرة فى العام ١٩٤٨م، وكانت اعترفات ناجزة منجزة دون قيد أو شرط، بالرغم من أنها دولة احتلال فى تصنيف الأمم المتحدة، فعلى العالم المسارعة إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية اعترافا ناجزا دون قيد أو شرط، لأنهم أصحاب الأرض، وأصحاب الحق المغتصب، أما ما يفعله المجتمع الدولى فهومحض أكاذيب، وقد خرج بالأمس كير ستارمر رئيس وزراء بريطانيا يعلن أنه سيعترف بالدولة الفلسطينية إذا لم يوقف الاحتلال الإبادة الجماعية التى يرتكبها بحق الفلسطينيين، وكلام ستارمر يحمل بين طياته استفزازا لا منتهى له، ونفاقا لا حد

له، واستخفافا لا ينتهي لأنه فى الوقت نفسه يمد دولة الاحتلال بالسلاح والمال وكل ألوان الدعم لتستكمل جرائمها فى اغتصاب الأرض وسحق الفلسطينيين، ومحوهم من الوجود.

اعتراف الاحتلال بالتجويع والإبادة الجماعية:

يدعى الاحتلال أنه يحاصر غزة ويمنع عنها المساعدات الإنسانية لأن رجال المقاومة يسرقونها لأنفسهم، ويمنعون وصولها لسكان غزة!!!

وهذا كذب مفضوح، وتزوير مكشوف، يدحضه الواقع، وتكذبه الحقائق، فلماذا يمنع الاحتلال الدواء؟ ولماذا يمنع دخول الأطباء؟ بل لماذا يمنع دخول حليب الأطفال؟

هل حليب الأطفال يمثل سلاح خطير يهدد أمن الاحتلال، إن أطفال غزة يموتون جوعي وعطشي على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، ولا أحد يحرك ساكنا، والحقيقة الثابتة والمعلنة من هذا الحصار هى ابادة الفلسطينيين ومحوهم من الوجود، ويؤكد هذا القول، ويثبت هذا الزعم بتسلئيل سموتيرتش وزير مالية الاحتلال الصهيوني الذى قال بالنص: " لا يوجد فلسطينيون، لأنه لا يوجد شعب فلسطيني، ومن المبرر أخلاقيا حجب المساعدات الإنسانية عن قطاع غزة، حتى لو أدى ذلك إلى موت اثنين مليون فلسطيني، أريد دولة يهودية تشمل الأردن ولبنان وبعض أجزاء من مصر وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية"

فهل سمع العالم بعبارات عنصرية، أو اعترافات إجرامية أخبث وأقذر من هذ الاعتراف الصادر عن وزير فى حكومة الاحتلال، وكانت هذه الاعترفات وأمثالها الكثير كفيلة لوضع الاحتلال الصهيوني ودولته على قوائم الإرهاب، لكن لم نرى لذلك أثرا فى المجتمع الدولى، أو فى الأمم المتحدة التى ترعي الإرهابي "الاحتلال الصهيوني" وتحارب الحضارى" المقاومة الفلسطينية"

وأخيرا:

هذا الحصار الظالم، وهذا التجويع القاتل، من هذا المحتل الغاشم، لا سبب له إلا فشل جيش الاحتلال فى مواجهة رجال المقاومة الفلسطينية فى ساحات القتال، فكان هذا ديدنه دائما، كلما قتل جنوده على يد المقاومة الباسلة ، لم يجد الا الأبرياء من المدنيين فأوسعهم قتلا وتجويعا، ولم يجد الا البنية التحتية للقطاع المحاصر فنال منها هدما وتدميرا، وهذه بشائر النصر للفئة المؤمنة الصابرة المحتسبة، وامارات هزيمة

للمحتل الباغي الظالم، ولكن لا تحرير بلا ثمن، ولا بد للحرية أن تنتزع بالقوة، فالحرية لا توهب.

تجويع غزة

مروءة الجاهلية ووحشية الحضارة الغربية

التجويع سلاح فتّاك، وعضة الجوع مؤلمة موجعة قاتلة، وإذا استطاع الإنسان تحمل آلام الجوع وأوجاعه، إذا أطلقت الأمعاء الخاوية صرخات استغاثة بسبب نكبة الجوع التى حلت بالبدن، فإن صرخات استغاثة الأطفال بسبب الجوع الفتّاك القتّال، تكون أكثر قسوة، وأشد ألما، وأبلغ وجعا للآباء والأمهات، وقد يتحمل المرء الآم الجوع القاتلة، لكنه يعجز عن تحمل جوع الأبناء وفلذات الأكباد، ويعجز عن تحمل جوع الأباء والأمهات، ويعجز عن تحمل جوع المقعدين وذوى الأمراض.

والقتل بالتجويع والتعطيش – والذى يمارسه الاحتلال الصهيوني ضد أبناء غزة الأبرياء- هو أشد أنواع القتل قسوة وألما ووحشية وإجراما، لأن خروج الروح بالموت جوعا أو عطشا يأخذ وقتا أطول من كل ألوان الموت التى عرفها الإنسان، مع ما يلازم الجوع والعطش من آلام رهيبة وأوجاع عصيبة تفتك بالبدن حتى تخرج الروح، ويسكن الجسد المتعب، ويهدأ البدن المنهك.

والحصار الذي فرضه الاحتلال الصهيوني المجرم على غزة المنهكة البريئة، هو حصار قاتل رهيب، وحصار وحشي إجرامي تحرمه وتجرمه مواثيق حقوق الإنسان، ونصوص القانون الدولى، ومباديء الأمم المتحدة، فقد فرض الاحتلال حصارا مطبقا برا وبحرا وجوا على غزة الصغيرة المتعبة، ومنع عنهم الماء والغذاء والدواء والكساء والكهرباء، ولم يسمح بالمرور إلا للهواء، ولو استطاع منعه لفعل، وقام بقصف المشافي والمخابز وآبار المياه، ودمر وجه الحياه، فنتج الحصار المجرم من الاحتلال المجرم، مجاعة رهيبة تفترس بنابها الشرس الكبار والصغار، والرجال والنساء، والشيوخ والشباب.

التجويع سلاح المجرمين:

فى العام السابع من البعثة النبوية، الموافق ٦١٥م، فرض كفار مكة حصارا وحشيا رهيبا، على محمد ﷺ، وصحبه، ومعهم كفار بني هاشم وبني المطلب، ومنعوا مناكحتهم، وكل ألوان التعامل معهم، ومنعوا عنهم الطعام حتى أكلهم الجوع بنابه، ووهنت أبدانهم، ومرضت أجسادهم، ونفذ طعامهم، وأكلوا الجلود، وأوراق الشجر من الجوع القاتل، ودوت فى آفاق مكة صرخات الأطفال من الجوع.

شهامة كفار قريش وسفالة ووحشية الحضارة الغربية:

وحين خوت بطون الأطفال المحاصرين وارتفع أنينهم من الجوع كان كفار قريش أكثر مروءة، واوفر شهامة من كل أبناء الحضارة الغربية الحديثة فى أمريكا واوربا، لا لسكوتهم على حصار غزة -وهذه جريمة فى حد ذاتها-، بل لدعمهم الاحتلال، ومشاركته فى جريمة الحصار، وتجويع الأطفال والشيوخ والمرضي، بينما نجد أن كفار مكة كانوا أكثر تحضرا ورقيا ومروءة من أبناء الحضارة الغربية جميعا، وكان لذلك مظاهر كثيرة، منها:

١- خلال ثلاث سنوات من الحصار الظالم الذى فرضه كفار مكة على محمد صلى الله عليه وسلم، وصحبه، لم يمت واحد من المحاصرين من الجوع، بالرغم من أنهم أكلوا الجلود وأوراق الشجر من شدة الجوع، بينما فى غزة وحدها وخلال شهرين فقط من الحصار والتجويع مات أكثر من مئة نفس جوعا بسبب الحصار الظالم الغاشم.

٢- كان من بين كفار مكة من يقوم بتهريب الطعام إلى المحاصرين، وقد نجحوا فى محاولات التهريب هذه وأوصلوا بعضا من الطعام الذى خفف آلام الجوع والحصار على الأبرياء المحاصرين، وممن كان يقوم بذلك من كفار مكة هشام بن عمرو بن لؤي، وحكيم بن حزام، وأبو البخترى بن هشام، وغيرهم.

٣- لم يكتف أهل النجدة والشهامة من كفار قريش بإيصال الطعام إلى المعابر، أو الرجوع بطعامهم، حين يكتشف أمرهم، بل قاتلوا دون مرادهم، واشتبكوا مع خصومهم، بل مع زعيمهم ورئيسهم أبوجهل نفسه، وأوصلوا الطعام بالقوة والقتال إلى الأبرياء المحاصرين، وفى واحدة من عمليات تهريب الطعام، كان حكيم بن حزام يقود واحدة من هذه العمليات، فاكتُشفت المحاولة وتصدى لها أبوجهل بنفسه محاولا منع الطعام، فتتدخل أبو البخترى بن هشام محاولا إقناع أبي جهل بالحجة والمنطق وأن هذا واجب إنساني حتى لا يموت الأطفال المحاصرين جوعا، فأصر أبو جهل على موقفه، فاقتتل مع أبي البخترى بن

هشام فضربه أبو البختري بلحي –عظام- جمل فشج وجهه، وأسال دمه، وتمت محاولة تهريب الطعام التى قام بها حكيم بن حزام.

فهل يتعلم العالم أجمع، وخصوصا الغرب -الذى يدعي التحضر- الإنسانية والنخوة والشهامة والرجولة من كفار مكة وأهل الجاهلية، ويقوم بفك الحصار الظالم الذى قتل أبناء غزة جوعا وعطشا، والمؤسف حقا، أننا الان وبعد مرور أكثر من تسعة عشر شهرا على هذه الحرب الظالمة لم نرى ولم نسمع من أى دولة فى العالم موقفا حازما تجاه كسر الحصار، وما صدر من مواقف حتى الان لكسر الحصار هى مواقف على استحياء، بل مواقف مخجلة ومؤلمة، فعلى دول العالم بلا استثناء أن تتخذ موقفا شجاعا لكسر هذا الحصار الظالم، فهذا واجب إنساني وأخلاقي قبل كل شىء.

التجويع سلاح المهزومين:

بالنظر فى أسباب الحصار والتجويع فى مكة وغزة، نجد أن السبب واحد، وهو الفشل والهزيمة، فبعد أن فشلت الجاهلية الأولى فى إيقاف مد الدعوة الإسلامية الصاعد، ومنيت قريش بالهزيمة تلو الأخرى فى محاولاتها الجبارة لوأد نجم الدعوة المتدفق السيال، وبعد إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب، ورفض أبو طالب كل محاولات تسليم ابن أخيه، ورفض النبي ﷺ، كل محاولات الترغيب والترهيب للتخلي عن دعوته، وبدأ نجم الدعوة الإسلامية يتلألأ فى السماء، ويأخذ بمجامع القلوب ويجذب الأنظار، ويشد الأسماع، شعرت قريش بهزيمة مدوية، وخسارة مريرة، فلجأت إلى هذه الوسيلة الشيطانية لإيقاف المد الإسلامي الزاحف، فكان هذا الحصار الظالم الغاشم، والتجويع القاتل للأبرياء العزل الذيم لم يرتكبوا جرما فى حق إنسان، ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] فكان الحصار سلاح الهزومين الذين أعيتهم الحيل، وعميت أبصارهم، وضلت عقولهم عن تحقيق النتيجة التى يسعون إليها، والهدف الذي يرمون إليه، وهذا هو عين السبب الذى ألجأ الاحتلال الصهيونى ومعه أمريكا وأوربا إلى فرض الحصار الظالم على أهل غزة الأبرياء، فبعد أن أوسعوا غزة قتلا وقصفا من الجو والبحر والبر، وبعد أن ألقوا على غزة أكثر من مائة ألف طن من المتفجرات، ودمروا المشافي والمخابز والمدارس والمساجد والكنائس والبيوت والطرقات، ودمروا أكثر من ٨٠% من مبانى غزة، وقتلوا أكثر من اثنين وخمسين ألف شهيد، ولم تجد جثامين الشهداء من يواريها الثرى

فنهشتها الكلاب والسباع، كما حدث مع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وبعد كل هذا الإجرام، لم يرفع أبناء غزة الراية البيضاء، وكان رأيهم أن المقاومة للاحتلال حق مشروع، بل هى شرف لكل من حمل لوائها، ودافع عن أبنائها، فكانت هزيمة مدوية للاحتلال المدعوم من أمريكا وأوربا وحلف الناتو، فلجأ الاحتلال إلى هذه الحيلة الشيطانية، وكان الحصار المطبق المدمر، ولجأ إلى الحصار والتجويع ليكسر إرادة الشعب الصامد الصابر المتمسك بحقه المتجذر فى أرضه، ولن تكون النتيجة بإذن الله تعالي، إلآ نصرا كبيرا، وفتحا مبينا، لأبناء الأرض المدافعين عن الأرض والعرض والمقدسات، والقبلة الأولى للمسلمين، قال تبارك وتعالي: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]

وقال ﷻ: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١]

مؤسسة غزة اللإنسانية للتجويع والقتل والتهجير

مؤسسة غزة اللإنسانية للتجويع والقتل ، والإبادة الجماعية، وتهجير الشعوب، وجرائم الحروب، والجرائم ضد الإنسانية، هذا هو الاسم الحقيقي والدقيق والواقعي، لما يسمي كذبا وزورا مؤسسة غزة الإنسانية.

فما هى مؤسسة غزة اللإنسانية؟

هى شركة أمريكية مقرها الرئيسي فى جنيف بسويسرا، تأسست فى فبراير٢٠٢٥م، وبدأت عملها ضد الإنسانية فى قطاع غزة فى ٢٠٢٥/٥/٢٥م، وبعدها بيوم واحد فقط قدم استقالته جيك وود مدير مؤسسة غزة اللإنسانية، والضابط السابق فى الجيش الأمريكي، مسببا استقالته لعدم التزام المؤسسة بالمبادىء الإنسانية فى توزيع المساعدات الإنسانية، وتولى بعده القس الإنجيلي جونى مور موقع مدير مؤسسة غزة اللإنسانية.

وبعد حوالي شهرين من بدء عمل مؤسسة غزة اللإنسانية فى قطاع غزة، وفى الأول من أغسطس ٢٠٢٥م قام ستيف ويتكوف مبعوث الرئيس الأمريكي ترمب للشرق الأوسط، بزيارة إلى قطاع غزة، وتفقد خلالها موقع مؤسسة غزة اللإنسانية بالقطاع

المحاصرالمكلوم الجريح، وقال مفتخرا: " لقد قدمنا إلى غزة ١٠٠ مليون وجبة طعام"، وهذا تزوير للحقائق الدامغة، والحقائق الثابتة التى رآها العالم بأم عينيه على الهواء مباشرة.

مؤسسة قاتلة مجرمة ضد الإنسانية حتى لو قدمت تريليون وجبة:

يجب ان يعلم السيد ويتكوف وكل من نهج نهجه، وسار على دربه، أنه قبل بدء عمل مؤسسة غزة اللإنسانية فى القطاع المحاصر، كان عدد قتلى التجويع فى غزة بسبب الحصار الظالم يعدون على أصابع اليد الواحدة، وأما بعد بدء عمل المؤسسة اللإنسانية فقد مات بسبب التجويع أكثر من ٢٥٠ إنسان، وقتل بالرصاص الحى والقصف المتعمد أكثر من ألف وخمسمائة إنسان برىء فى طوابير انتظار مساعدات مؤسسة غزة اللإنسانية، وهذا يثبت دون ادنى شك أن مؤسسة غزة لا إنسانية، وضد الإنسان، ووحشية وقاتلة، فلم يري العالم ولم تعى ذاكرة التاريخ مؤسسة تزعم كذبا وزورا أنها مؤسسة إنسانية، ثم تقتل بالرصاص الحى، والقصف المباشر من يأتون إليها بحثا عن اليسير من الطعام الذى يحفظ حياتهم، وحياة أولادهم، ففى خلال شهرين فقط قتلت مؤسسة غزة اللإنسانية قرابة ألفي إنسان برئ من أبناء غزة المحاصرة، وهذه جريمة تهتز لها الدنيا بأثرها، إن كان لديها بقية من إنسانية، لأن قتل إنسان واحد فقط من البشر يعدل فى ميزان الحق ﷻ قتل الناس جميعا، قال تبارك وتعالي" ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة: ٣٢]

فمؤسسة غزة اللإنسانية، ما هى إلا مؤسسة إرهابية قاتلة فاجرة قتلت الناس جميعا، بل قتلت البشرية كلها من لدن آدم إلى قيام الساعة ألفى مرة، فلو قدمت لغزة مليار وجبة، أو تريليون وجبة، أو أضعاف أضعاف هذا الرقم، فما قدمت لهم إلا شىء واحد هو قتل الناس جميعا فى قارات الدنيا الست، وعلى ظهر هذا الكوكب قاطبة، وكفي بهذا إثما، وكفي بهذا جرما يربوا على كل الجرائم، ويطغى على كل الآثام.

التجويع والإذلال المهمة الأساسية لمؤسسة غزة اللإنسانية:

"الأونروا" مؤسسة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين بدأت عملها قبل عقود من الزمان، وكان لديها فى قطاع غزة فقط أربعمائة مركز لتوزيع المساعدات، وكان لديها فريق عمل محترف، ومعلومات شبه كاملة، وخبرة فنية هائلة فى كيفية

الوصول بالمساعدات إلى الفلسطينيين فى أماكنهم بوسائل كريمة آمنة تحفظ على الفلسطيني عزه وكرامته، واستمر هذا العمل الإنساني الكريم عقودا عديدة وأعواما مديدة، لم يذل فيها فلسطيني، ولم يجوع فيها إنسان، ولم يمت خلالها شخص واحد جوعا أو عطشا، أو رميا بالرصاص على أيدى رجال الأونروا، حتى جاءت حرب طوفان الأقصي، فشن الاحتلال الصهيوني حملة دعائية سوداء على "الأونروا" متهما إياها بالإرهاب، وقصف مخازن المواد الإغاثية، وأحرق المستلزمات الطبية، والمواد الغذائية، وكل المساعدات الإنسانية التابعة للأنروا، وسارعت أمريكا والكثير من الدول الأوربية إلى تصديق أكاذيب الاحتلال الفاجر، وقاموا بقطع كل دعم للأنروا، وجاء الاحتلال بمؤسسة غزة اللإنسانية بديلا عن الأنروا، وظهرت مهمتها للعالم كله من أول يوم، فلا مهمة لها إلا التجويع والتقتيل والتهجير وإذلال الفلسطينيين، فبدلا من أربعمائة نقطة ومركز لتوزيع المساعدات فى كل أنحاء القطاع أصبحت أربعة فقط فى جنوب القطاع، وبدلا من ذهاب عمال الإغاثة إلى الفلسطينيين فى أماكن تواجدهم، أصبح على الفلسطيني أن يقطع قرابة عشرين كيلو متر أو يزيد سيرا على الأقدام ليصل بنفسه إلى مكان توزيع المساعدات، فى رحلة تحفها المخاطر من كل جانب، بل يحفها ويغشاها الموت من بين يديها ومن خلفها، ومن فوقها ومن تحتها، فقد يسقط الفلسطيني مغشيا عليه من شدة الجوع، أو من طول المسير، وعناء الطريق، وقد يسقط شهيدا بقصف عشوائي غشيم من طائرات الاحتلال المجرم، وقد يصل بعد رحلة طويلة شاقة محفوفة بالمخاطر إلى مركز توزيع المساعدات، فيقف الساعات الطوال، تحت أشعة الشمس الحارقة، وقد تقتله رصاصة آثمة من أفراد حراسة مؤسسة غزة اللإنسانية القاتلة الفاجرة، وإن نجح فى الحصول على القليل من المساعدات الإنسانية فطريق العودة إلى الأولاد أشد خطرا من طريق الذهاب فقد تقصفه طائرات الاحتلال فى مشاهد تفيض إجراما وفجورا، ويزيد من فجرها وإثمها وإجرامها أن بعضها أو كثيرا منها مصور بالفيديو، وقد تقتل المسكين عصابات فاجرة تابعة للاحتلال المجرم وتسطو على ما معه من مساعدات قليلة، وتقوم ببيعها فى السوق بأسعار خيالية، ثم لا تجد زوجته ولا أولاده ما يحفظ حياتهم ويقيم صلبهم، فيموتون جوعا وعطشا على مرأى ومسمع من الدنيا كلها.

مؤسسة ضد الإنسانية بإجماع البشرية:

لا يختلف اثنان على ظهر هذا الكوكب أن ما تقوم به مؤسسة غزة اللإنسانية هو سياسة مدبرة ومقصودة لتجويع الفلسطينيين، وقتلهم، وتهجيرهم، بل ومحوهم من

الوجود، وأن طوابير انتظار مساعدات المؤسسة اللا إنسانية قد تحولت إلى مصائد للموت، تحصد نفوس المئات من الفلسطينيين يوميا، وهنا قد يقول قائل: إن الفلسطيني يذهب بإرادته إلى مؤسسة غزة اللإنسانية، ولم يجبره أحد على الذهاب إلى المؤسسة المشئومة، والإجابة أوضح من الشمس، الذى يجبر الفلسطيني على الذهاب إلى مصائد الموت بنفسه هى المجاعة الحقيقية التى تضرب القطاع المحاصر بلا رحمة، وتحصد النفوس بلا شفقة، فحين يصبح الفلسطيني ويمسي على صرخات المجوعين من أمه وأبيه، وصاحبته وبينه، فهذه الصرخات الصادرة من هذه النفوس الجائعة سكاكين غائرة تضرب القلوب الحائرة، التى تتمني لو بذلت نفسها رغيف خبز للآولاد ولفلذات الأكباد الجائعة، فلا يجد أمامه مفر سوي الذهاب إلى مصائد الموت، ، فإن عاد حاملا طعاما فقد أسعد نفسا جائعة، وإن عاد محمولا فى كيس طعام فارغ، فقد ارتقي شهيدا، وارتاح من عذابات جوع الأبناء والأمهات.

وقد تواترت الأدلة من الشرق والغرب على وحشية مؤسسة غزة اللإنسانية، وهى أدلة مقطوع بها لا يتطرق إليها شك، ولا يتسرب إليها خرق، وفوق أنها مقطوع بها، فهى تفوق العد والحصر، وأسوق إليك بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر، فقد نشرت البيان الإماراتية فى ٢٠٢٥/٨/١م عن الأمم المتحدة: " إن مؤسسة غزة اللإنسانية شريكة فى المسئولية عن القتلى فى القطاع أثناء محاولة تلقى المساعدات"

وأقوى من بيانات الهيئات الأممية العالمية عن إجرام ووحشية مؤسسة غزة اللإنسانية، اعتراف الاحتلال نفسه بهذا الجرم الكبير، فقد ذكرت صحيفة هآرتس الاسرائيلية فى ٢٠٢٥/٦/٢٧م تقريرا أوردت فيه شهادات لعدد من جنود الاحتلال الصهيوني وقد أكد أحدهم على أن قتل الفلسطينيين الباحثين عن المساعدات أصبح أمرا روتينيا لجيش الاحتلال، وأقر عدد من جنود الاحتلال بأن استهداف المدنيين الباحثين عن المساعدات هو أيدلوجية القادة الميدانيين"

وفى ٢٠٢٥/٨/٥م نشرت الجزيرة نت نقلا عن لوموند الفرنسية: "أن السفير الاسرائيلي السابق لدى فرنسا إيلي بارنافي، والمؤرخ فانسان لومير طالبا الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون بفرض عقوبات على اسرائيل، ومؤكدين على الضرورة القصوى لهذا الاجراء نظرا الى الوضع الانساني الكارثي للسكان والمحتجزين فى غزة"

وأخيرا:

لقد اتفق الشرق والغرب على إجرام ووحشية مؤسسة غزة اللإنسانية وأنها أداة مجرمة فى يد احتلال مجرم لتنفيذ وسائل مجرمة هى القتل والتجويع والتهجير لأبناء الأرض وأصحاب الحق، فيجب إغلاقها، وإعادة الأنروا لعملها.

تقديم الأضاحي لغزة إحياء لفريضة لا ترك لشعيرة

وجع غزة يربو على كل أوجاع الأرض، فهى صعاب تعجز عن حملها الجبال، وتئن من تبعاتها الرجال، فهم بين أنياب جوع قتّال، وحصار فتّاك، وتحت نيران قصف لا يبقي ولا يذر، وأمام محتل غاصب، وعدو غاشم سخر كل إمكاناته الجبارة لإبادة الفلسطينيين، وتدميرهم، وتصفية قضيتهم.

وبالرغم من إمكانات المحتل الهائلة، فإن أوربا وأمريكا وحلف الناتو يقدمون للمحتل دعما مفتوحا بلا حدود ولا قيود، وهذا يجعل واجب المسلمين فى المشارق والمغارب تقديم كل ألوان الدعم المادى والمعنوى لأهل غزة خصوصا، وفلسطين عموما، ودعمهم بلا حدود، ولا قيود، وهذا الدعم من المسلمين ليس نافلة، ولا سنة ولا أمرا مستحبا، بل هو فريضة واجبة، بل هو أوجب الفرائض فى دين الإسلام، وهو واجب الوقت، وفريضة اليوم.

ومن وسائل الدعم الواجب علينا نحن المسلمين تجاه إخواننا فى فلسطين التبرع بقيمة الأضحية لأهل غزة،

والسؤال الان: أيهما أفضل ذبح الأضحية أم التبرع بقيمتها لأهل غزة؟

الأفضل أن تذبح الأضحية فى غزة، وتوزع على أهل غزة، فإن لم يمكن ذلك، فالتبرع بقيمتها لأهل غزة هو أولى وأفضل، وثوابه أعظم، وأثره أروع، وعاقبته أحسن، وفيه إحياء لنفوس مليونين ونصف المليون من البشر من مجاعة قاتلة، وحصار مطبق، وإحياء نفس واحدة من هذه النفوس يعدل عند الله تعالي إحياء الناس جميعا، وتركهم وحدهم تحصدهم آلة القتل الصهيوني، فقتل نفس واحدة منهم تعدل عند الله تعالي قتل الناس جميعا، قال تبارك وتعالي: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]

فدعمهم بكل الوسائل المتاحة والممكنة إحياء لنفوسهم، وخذلانهم والتخلى عنهم قتل لأنفس حرم الله قتلها، وقتل نفس واحدة من هذه النفوس يعدل عند الله تعالي قتل الناس جميعا.

ونعود للإجابة على السؤال: هل عدم ذبح الأضحية، والتبرع بقيمتها لأهل غزة، يعد تركا وإهمالا لشعيرة من شعائر الإسلام؟

والإجابة:

لا، لأن التبرع لغزة إقامة لفريضة هى واحدة من أوجب فرائض الإسلام، والأضحية سنة مؤكدة من سنن الإسلام، والتبرع لغزة أولى وأفضل وأحسن، التبرع لغزة فيه إغاثة لملهوف، أو إنقاذ لجائع من الموت جوعا، أو إنقاذ لمصاب من الموت جريحا، أو إنقاذ لمحاصر من الموت قصفا، أو إنقاذ لصحيح تحت الأنقاض لا يجد من يرفع الهدم من فوقه ليخرج صحيحا معافا، وكل هذا مقدم على كل شعائرالإسلام، حتى ولو كانت أهم فرائضه وهى الصلاة.

وجوب قطع الصلاة لإغاثة ملهوف:

الصلاة هى عماد الدين، والفارق بين الكفر والإسلام، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، وإذا دخل المسلم فى الصلاة فلا يجوز له الخروج منها، إلا لما هو أوجب وألزم، وهذا ما حكاه القاضى الباقلاني فى كتابه التقريب والإرشاد ٦٩/٢ فقال: " ولا يترك الواجب ويجب تركه، إلا بما هو أوجب، وألزم منه، كإخراج الغريق، وطفي الحريق، وأمثال ذلك مما يجب قطع الصلاة له"

وقال الحصكفي فى الدر المختار ٤٤٠/١: "يجب قطع الصلاة لإغاثة ملهوف وغريق وحريق"

وقال الفقهاء: إنه يجب قطع الصلاة لإغاثة غريق إذا قدر على ذلك، سواء أكانت الصلاة فرضا أم نفلا، وسواء استغاث الغريق بالمصلي أو لم يعين أحدا في استغاثته، حتى ولو ضاق وقت الصلاة، لأن الصلاة يمكن تداركها بالقضاء بخلاف الغريق، إذا مات لا يمكن تداركه.

فالإسلام دين العدل والشهامة والنجدة والنخوة والرجولة، الإسلام دين يحارب الظلم والظالمين، ويوجب إغاثة المستغيثين، ونجدة الملهوفين، ومعاونة المحتاجين،

ومساعدة المكلومين، سواء استغاثوا، أو لم يستغيثوا فعلى المؤمن أن يبادر ويسارع لمساعدة هؤلاء متى استطاع إلى ذلك سبيلا، وعليه أن يبذل قصارى جهده لانقاذهم وغوثهم، حتى لو كان قائما يصلى بين يدي رب العالمين فرضا أو نفلا، فمن كان قائما يصلى ورأى أعمي على شفا بئر، أو بصيرا على شفا الغرق، أو إنسانا أحاطت به مهلكة، أو ألمت به مصيبة، فعليه أن يخرج من صلاته لتقديم العون والمساعدة لهؤلاء، وهذا العون، وتلك النجدة هى على وجه الوجوب لا على وجه الاستحباب.

حتى قال أبو بكر الرازى الحنفى فى كتابه الفصول فى الأصول ١٨٠/٢: " من عليه تخليص الغريق لو اشتغل بالصلاة كان عاصيا" فالمسلم إذا دخل فى الصلاة، وكبر تكبيرة الإحرام، فعليه ان يتم الصلاة، ولا يجوز له أن يخرج منها، فإذا رأى إنسانا يغرق وهو يستطيع إنقاذه، فيجب عليه أن يخرج من الصلاة لإنقاذ الغريق، وسواء استغاث به الغريق أم لا، فبمجرد رؤيته وهو يصارع الغرق، يجب على المصلى الخروج من الصلاة وإنقاذه، فإن لم يفعل كان تاركا لواجب وكان عاصيا لرب العالمين.

الإسلام دين الإنسانية:

والإسلام دين العدل المطلق، ودين المساواة بين الناس جميعا، ودين يحارب العنصرية، والتمييز، ودين يهدف إلى تحقيق العدالة فى أرجاء الكون كله بين المسلمين وغير المسلمين، وإذا كان دين الإسلام يوجب إنقاذ الغريق، وإطفاء الحريق، وإغاثة المستغيثين، ونجدة الملهوفين، فليس ذلك للمسلمين وحدهم، بل لكل إنسان على وجه الأرض مسلما كان أو كافرا، فيجب على المسلم إنقاذ الغريق حتى ولو كان كافرا، وليس هذا فحسب، بل لو كان المسلم فى صلاة الفريضة، ووجد كافرا يغرق، وهو يستطيع إنقاذه، فيجب عليه الخروج من الصلاة وإنقاذ الغريق الكافر، هل رأيتم دينا كهذا الدين، إنه إرساء لتعاليم المدينة الفاضلة التى تحلم بها الإنسانية ولن تجدها إلا فى ظل هذا الدين، قال علاء الدين المرداوى الحنبلي فى كتابه الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف ٦٥٨/٣: " يجب على المسلم أن يقطع الصلاة لإنقاذ كافر أوشك أن يسقط فى بئر، أو يغرق فى ماء، ثم يستأنف الصلاة، وفى رأى يتمها"

والخلاصة:

اتفق فقهاء الإسلام على وجوب الخروج من الصلاة لإغاثة ملهوف، أو إنقاذ غريق، أو إطفاء حريق، ومن رأى شيئا من ذلك أثناء صلاته، ولم يخرج منها للقيام بهذا

الواجب كان عاصيا، ولكن هل تبطل صلاته أم لا، أفتى بعض الفقهاء ببطلان الصلاة، لكن الجمهور على صحة الصلاة لكنه باء بإثم من الله.

وإذا كانت الصلاة هى عماد الدين، وهى الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وقد أوجب الإسلام الخروج منها لنجدة ملهوف، أو مساعدة مكلوم، أو لإطفاء حريق، أو لإنقاذ غريق،

فإن عدم ذبح الأضحية والتبرع بقيمتها لأهل غزة ليس إهمالا لشعيرة من شعائر الإسلام، بل تقديم قيمة الأضحية لأهل غزة هو أعظم ثوابا، وأحسن مآلا، وأروع أثرا، وأهدي سبيلا، وأقوم قيلا، لأن دعم غزة هو فريضة الفرائض، وأوجب الواجبات، وهو فريضة الوقت، وواجب اليوم، وإذا كان الخروج من الصلاة الواجبة لتقديم هذا الدعم، وذلك العون، هو أمر أوجبه الإسلام، فكيف يكون الأمر فى سنة من سنن الإسلام كالأضحية، فالأولى والأحسن والأفضل تقديم قيمة الأضحية ومثلها من السنن المستحبة كالعقيقة والوليمة والوكيرة، وغير ذلك لأهل غزة لدفع المجاعة القاتلة التي تفتك بهم، ولرفع أثر الحصار الظالم الذي يحيق بهم، ولتخفيف أثر القصف البشع الذي ينزل بهم فى كل وقت وحين، ولإفشال مخططات تهجيرهم وطردهم من ديارهم.

إسرائيل تخون نفسها وتقتل أبنائها (١-٢)

لم يعرف التاريخ خائنا كإسرائيل، ولم يري الزمان قاتلا كهذا الكيان المجرم، ولم يشهد المكان خائنا للأصدقاء والحلفاء والأبناء كبني صهيون، ونظرة عابرة إلى تاريخهم الأسود تجد خياناتاهم تطفح بها الحوادث، وتئن منها الأيام، ويعجب لهولها الكرام واللئام.

فقد خان بني صهيون عهدهم مع الله ﷻ، ومع الأنبياء عليهم السلام، وخانوا عهودهم مع البشر، ولم يخونوا عهد الأعداء فقط – وهذا شر خالص- بل خانوا الأصدقاء والحلفاء، وأعجب من ذلك أنهم خانوا أنفسهم وأهليهم وأبنائهم، وقتلوا أنفسهم، وقتلوا أبنائهم، وضربوا أوقح واحط أمثلة الخيانة فى التاريخ كله، وسنعرض لقليل من هذه الخيانات فيما يلى

أولا: خيانة العهد مع الله تبارك وتعالي:

أخذ الحق سبحانه وتعالى العهد على اليهود ألا يسفكوا دمائهم، وألا يقتلوا أنفسهم، وألا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، فما كان منهم إلا واحدة من أبشع وأوقح الخيانات ، بل ربما تكون هى أبشع وأوقح خيانة وعتها مسامع التاريخ، وهى نقضهم العهد مع خالقهم ألا يقتلوا أنفسهم، فما بالك لو كان العهد مع مخلوق ألا يقتلوا عدوهم، وسجل القرآن الكريم هذه الخيانة لتعيها ذاكرة الأمم، وتعتبر منها الدول، وليحذرهم الحكماء والسفهاء، والأغبياء والأذكياء، قال تبارك وتعالي: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤-٨٥]

فقبل الإسلام حالف يهود بني قينقاع وبني النضير قبيلة الخزرج، وحالف يهود بني قريظة قبيلة الأوس، فكان كل فريق من اليهود يشارك فى الحرب مع حليفه من الأوس أو الخزرج، فيقتلون بذلك أنفسهم من أجل عدوهم، مخالفين العهد والميثاق الذى أخذه عليهم الحق تبارك وتعالي ألا يقتلوا أنفسهم، فضربوا بذلك المثل فى الخيانة، لأنهم خانوا العهد مع الله سبحانه وتعالي، وقتلوا أنفسهم من أجل عدوهم، وإذا بحثت فى تواريخ الأمم، ونقبت فى أخبار الدول، فلن تجد أقبح ولا أوقح من هذه الخيانة، أن تخون عهد ربك، وتقتل نفسك، من أجل عدوك.

ثانيا: خيانة العهد مع الأنبياء:

من خان عهده مع الله فلا عهد له فى هذا الوجود، وهذا ديدن اليهود، خانوا عهد ربهم، وقتلوا أنفسهم لمصلحة عدوهم، فهانت عليهم كل خيانة بعد ذلك، فخانوا عهدهم مع الأنبياء، بل مع خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم، وأستاذ الإنسانية كلها محمد ﷺ، قال تبارك وتعالي: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]

وقال سبحانه وتعالي: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]

فحين قدم النبي ﷺ المدينة مهاجرا فى عام ١هـ = ٦٢٢م وضع دستور المدينة، وهو أول دستور عرفته الإنسانية، وقد أرسي فيه مبدأ المواطنة لأول مرة فى تاريخ

البشرية، وجاء فى وثيقة المدينة، أو دستور المدينة فى البند (١٧): وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم" وجاء فى الوثيقة فى بند آخر: "وأن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين، لليهود دينهم، وللمؤمنين دينهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته"

ولم يمضي عام واحد على توقيع المعاهدة، إلا وغدر يهود بني قينقاع، فما كان مع النبي ﷺ إلا العدل والحزم والسماحة فى تعامله مع ناقضى العهود، حيث عاقب يهود بني قينقاع وحدهم، ولم يعاقب بني عمومتهم، من يهود بني النضير، أو يهود بني قريظة، وطرد بني قينقاع من المدينة، دون قتيل واحد، ولا أسير واحد، ولم تسبي امرأة واحدة، ولا صبيا واحدا، ولم يتعلم اليهود الدرس، فبعد عام واحد من حادثة بني قينقاع، نقض بنو النضير عهدهم مع رسول الله ﷺ، وبعدها نقض بنو قريظة العهد، وصد ق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]

فأدبهم النبي ﷺ على هذه الخيانة

ثالثا: نقض العهود ديانة اليهود:

الوفاء بالعهود فضيلة واجبة فى كل زمان ومكان، وقيمة واجبة فى كل الأديان،وواحدة من الأخلاق الفاضلة التى اتفقت الإنسانية قاطبة على وجوب الالتزام بها، ولم يخالف فى ذلك أحد قط على ظهر هذا الكوكب إلا اليهود، لأنهم يدينون بنقض العهود لخالقهم ومعبودهم ويعتبرون الكذب ونقض العهود فرائض توراتية، وأوامر تلمودية، وشعائر دينية، جاء فى التلمود: " يجوز لليهودي أن يحلف يمينا كاذبة، وخاصة فى معاملته مع باقي الشعوب"

وفى التلمود أيضا: " على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه لضرر ما"

وفى التلمود أيضا: " ويجب على اليهودي أن يلعن النصارى كل يوم ثلاث مرات، ويطلب من الله أن يبيدهم، ويفني ملوكهم وحكامهم. وعلى اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة"

ولهذه الأوامر التى يعتقدون أنها دينية، أبدعوا فى نقض العهود، وتفننوا فى إخلاف الوعود، فخانوا الأصدقاء والأعداء، وقتلوا الأهل والأبناء، بل وبلغ بهم الجرم منتهاه، فقتلوا المصلحين والأنبياء، وصنعوا بفعالهم السوداء أقذر وأقبح صفحة فى التاريخ البشري كله، ظاهره وباطنه، خفيه وجليه، قديمه وحديثه، وتوالت الخيانة فيهم صاغرا عن صاغر، وسابقا عن لاحق، إلى يومنا هذا، فملأت خياناتهم جنبات الوجود، ودوت فى آفاق السماء، وأخيرا تربعت اسرائيل على قمة الإجرام فى العالم، وجاءت على رأس قائمة أعلى الدول اعتداء على القانون الدولى فى سجلات الأمم المتحدة.

خيانة إسرائل لأمريكا:

أمريكا هى الراعى الأول للكيان المجرم، وهى الداعم الأكبر له، ولو تخلت عنه لسقط بين عشية أو ضحاها، ولهذا كان يجب على الكيان المجرم أن يحفظ هذا الجميل لأمريكا، لكنهم على العكس من ذلك خانوا أمريكا عشرات المرات، ولم تتوقف خيانة إسرائيل لأمريكا حتى اليوم، ومن هذه الخيانات ما هو معروف مشهور، ومنها ما هو خفي مطمور، ومن هذه الخيانات التى ظهرت وعرفت نذكر فقط هذه الأمثلة:

١- فى عام ١٩٨٥م تم إلقاء القبض على الجاسوس جوناثان بولارد الموظف بالبحرية الأمريكية بعد أن قدم كنزا من المعلومات الاستخباراتية لإسرائيل، وحكم عليه بالإعدام، وبعد محاولات مضنية من الكيان المجرم تم تخفيف الحكم إلى السجن مدى الحياة، وبعد وساطات وشفاعات وضغوطات من إسرائيل، تم الإفراج عنه فى العام ٢٠١٥م، بعد أن قضى فى السجن ثلاثين عاما كاملة.

فهذه إسرائيل تخون أمريكا حليفتها الأولى فى هذا العالم، وأُقرب الأقرباء، فكيف تكون خيانة الكيان المجرم مع الأعداء، وهذه ليست خيانة فرد، بل خيانة دولة، وهنا لزاما ان نقول صدق ربنا العظيم الذى نعت بني إسرائيل بأنهم يقتلون أنفسهم، ويخونون عهدهم مع ربهم، ومع صديقهم قبل عدوهم.

٢- فى تقرير لسكاى نيوز عربية نشر فى ٢٠١٩/٩/١٣م تحت عنوان: "حرب الجواسيس: فصول الصراع السري بين أمريكا وإسرائيل"

فقد كشف هذا التقرير عن بعض مشاهد الخيانة من الكيان المجرم لأمريكا، ففي العام ٢٠١٧م، اكتشفت السلطات فى واشنطن أجهزة تجسس تسمي "تسينغ راي" تم

تثبيتها فى أماكن مهمة فى العاصمة واشنطن، وهى أجهزة تقلد إشارات بث الأبراج الخلوية لاعتراض المكالمات والرسائل النصية، ويعتقد الأمريكان أن الكيان المجرم هو من زرع هذه الأجهزة.

ويؤكد التقرير أن جهاز مخابرات الكيان المجرم هو ثانى اكبر وأنشط أجهزة الاستخبارات فى واشنطن بعد روسيا.

ويكشف التقرير أن الكيان المجرم فى ستينات القرن الماضي قام بسرقة الأسرار النووية من أمريكا، واعقبها بسرقة اليورانيوم المخصب، وذكر التقرير أيضا ان إسرائيل تتجسس على أمريكا، وتحاول سرقة أسرارها والسطو على خصوصياتها حتى قبل قيامها فى العام ١٩٤٨م.

وهذا غيض من فيض وللحديث بقية إن شاء الله تعالي.

إسرائيل تخون نفسها وتقتل أبنائها (٢-٢)

وضحنا فى المقال السابق أن إسرائيل ضربت المثل الكامل فى الخيانة، وأن ما صدر منها من خيانات فى الأزمنة الغابرة، والأيام الحاضرة هو النموذج الأتم للخيانة فى الوجود كله.

ولكن ما جدوى الحديث عن خيانة إسرائيل، وما الذى يفيد القضية من تسليط الضوء على هذه الخيانات الفجة والبشعة، والتى بلغت النهاية فى الوحشية؟

أولا: لا توجد أمة بريئة من الأمراض، ولم تعرف الأرض وطنا نزيها من العلل، ولكن هناك فارق ضخم بين خيانة الفرد، وخيانة الأمة، والمسافة هائلة جدا بين أمة كلها قطعان من الخونة، وبين أمة أخرى الخونة فيها يعدون على الأصابع، أو أفراد قلائل، وحالات شاذة نادرة لا تمثل ظاهرة عامة فى الأمة، فالحالة الأولى يمثلها الإسرائيلى بوضوح، والحالة الثانية مثال لخيانة الفلسطيني.

ثانيا: حين تظهر خيانة فلسطيني يحاول الإسرائيلي أن يروج لوسائل الإعلام أن الفلسطينيين كلهم خونة، وأن الأمور كلها فى قبضته، وأنه يعرف عن الفلسطينيين كل شىء، بل ربما بالغ الإسرائيلي وادع كذبا أنه يعرف الفلسطينيين أكثر من أنفسهم، وأنه لا بد قاهرهم ومنتصر عليهم بفضل امتلاكه لكل وسائل القوة، بما فيها قوة مخابراته واطلاعاته ومعلوماته، وهذا قلب للحقائق، وتزوير للوقائع، فكل صور الخيانة التى ظهرت من الفلسطينيين وحتى ما لم يظهر منها، هى أقل صور الخيانة لأمة من الأمم عرفتها مسامع الدنيا، ووعتها ذاكرة التاريخ، وفى المقابل فإن خيانة بني صهيون هى المثال الكامل للخيانة فى التاريخ.

ثالثا: هذه الخيانة الفجة والكاملة للصهاينة يمكن لرجال المقاومة الفلسطينية أن يستفيدوا منها – وغالب الظن أن هذا واقع معمول به على الأرض منذ زمن بعيد- فى الصراع الدائر بين المسلمين واليهود لتحرير الأرض والمقدسات.

وسنواصل فى هذا المقال ذكر أمثلة قليلة من خيانات بني صهيون لأنفسهم، ولأمتهم، وقتلهم لأبنائهم وإخوانهم، والتى تحتاج إلى موسوعات للإحاطة بالقليل منها، ومن هذه الخيانات:

١ – الصهيونية خيانة لليهودية:

الصهيونية هى حركة تهدف إلى تهجير اليهود من مختلف دول العالم، وتسكينهم فى أى بقعة من بقاع الأرض، وتحويلهم إلى عنصر استيطاني قتالي يقوم على خدمة المصالح الغربية، ومؤخرا تم تحديد هذه البقعة فى فلسطين مدعين كذبا أنها الأرض التى وعدهم الرب إياها فى توراتهم المحرفة.

والمفاجأة هنا أن الصهيونية حركة سياسية قامت على الخيانة العظمى للديانة اليهودية، وذلك فى رأى قطاعات كبيرة من حاخامات اليهود، ومراجعهم الدينية الكبيرة، ومذاهبهم الدينية العريضة، مثل اليهودية الأرثوذكسية، واليهودية الحاخامية، والتى يتبعها الجم الغفير، والجمع الكبير من الشعب اليهودي.

فالصهيونية خيانة عظمى لليهودية، وليس للمسيحية أو الإسلام، أو غيرهما من المبادىء والأديان، وإنما هى خيانة لمبادىء اليهودية التى تجرم وتُحرم على اليهود العودة إلى صهيون (فلسطين) وأن الرب كتب على اليهود التيه والشتات، وأن أي محاولة لتجميع اليهود فى دولة ما هي مخالفة خطيرة وكبيرة لأوامر الرب، بينما يرى التلمود أن أى محاولة للعودة هى بمنزلة الهرطقة والتجديف والتعجيل بالنهاية، ولذلك فلا يوجد فى العصور الوسطى أى فى معظم التاريخ الديني لليهود أى حديث عن العودة إلا باعتبارها حدثا دينيا يتم بمشيئة الرب، بل اعتبرت اليهودية الحاخامية واليهودية الأرثوذكسية أن ما تقوم به الحركة الصهيونية هو كفر بواح.

٢- تفجير السفينة باتريا فى ميناء حيفا ١٩٤٠م

كانت السفينة باتريا تحمل على متنها ١٨٠٠ مهاجر يهودى قدموا إلى فلسطين بطريقة سرية، ودون تصريح أو إذن من سلطات الانتداب البريطاني، والذى قرر ترحيلهم إلى جزيرة مورشيوس، فثارت ثائرة العصابات الإرهابية الصهيونية، فقامت عصابة الهاجاناة الإرهابية الصهيونية فى صباح الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٤٠م بتفجير جانب من السفينة باتريا ما تسبب فى مقتل ٢٥٠ يهوديا على متنها،

وذلك لإجبار السلطات البريطانية على قبولهم لاجئين فى فلسطين، وعدم ترحيلهم إلى مورشيوس،

وبعد ثمانية عشر عاما من هذه الجريمة الإرهابية يكتب موشي شاريت رئيس الوكالة اليهودية الأسبق: " من الضرورى فى بعض الأحيان أن نضحي ببعض الأشخاص فى سبيل إنقاذ الأغلبية"

فهذا الاعتراف بهذه البجاحة الصريحة يذكرنا بالمقولة الشهيرة للطبيب اليهودي أوسكار ليفي: "نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه وجلاديه ومحركى نار الفتنة فيه"

لكن الذى فات أسكار ليفي الاعتراف به أن أول من وقع عليه ظلم العصابات الإرهابية الصهيونية هم قطاعات عريضة من اليهود أنفسهم، وتحديدا اليهود غير الصهاينة.

وهذا أيضا ما تقوم به إسرائيل من حصار شامل لقطاع غزة، ومنع الغذاء والدواء والكساء والكهرباء بل حتى والماء عن سكان القطاع الذى يقارب المليونين والنصف من البشر، وهذه جريمة إبادة جماعية يرتكبها الاحتلال ضد سكان القطاع، ولكن الصهاينة يفعلون ذلك ولهم فى داخل القطاع ما يزيد عن المائة أسير يهودي معرضون للموت جوعا مع أهل القطاع، وإن ماتوا جوعا فالقاتل هو الاحتلال الذى فرض الحصار على الأبرياء، وهذه خيانة لأنفسهم قبل أن تكون خيانة لغيرهم

٣ – الإجبار على التهجير

من العقبات الكبري التى واجهت الحركة الصهيونية فى أوائل القرن العشرين هى رفض أغلب يهود العالم لفكرة الصهيونية، وبالتالي رفض فكرة الهجرة إلى فلسطين، فلجأت العصابات الصهيونية الإرهابية إلى وسائل إرهابية وحشية لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين، ومن أجل الوصول للتهجير ارتكبت العصابات الصهيونية أبشع وسائل القتل والإرهاب والعنف مع بني جلدتهم من اليهود أنفسهم، فقتلوا الكبار، وخطفوا الأطفال، وخربوا البنيان، ودمروا الأوطان، يقول الكاتب الأمريكي توماس سواريز فى كتابه «دولة الإرهاب.. كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب؟!» : " لقد بدأت المنظمات الصهيونية باستهداف اليهود أنفسهم بهدف تدمير مجتمعاتهم المحلية، وتدمير أى ملاذات آمنة يلجئون إليها، بل وصل الأمر إلى اختطاف الأطفال

اليهود ومضاعفة معاناة المهجرين فى أوروبا بسبب حرب النازيين عليهم، لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين"

وتنفيذا لهذا الفكر الجهنمى قامت العصابات الصهيونية الإرهابية باختطاف المئات من أطفال اليهود فى اليمن والعراق لإجبار أهلهم على الهجرة إلى فلسطين، وارتكبت العصابات الصهيونية الإرهابية الكثير من العمليات الإرهابية الوحشية ضد اليهود الرافضين لفكرة الهجرة إلى فلسطين لإقناعهم بأنهم فى خطر داهم، ولا سبيل للنجاة إلا بالهجرة إلى فلسطين، ففى عام ١٩٥٠م قامت العصابات الصهيونية الإرهابية بتفجير المعبد اليهودي فى بغداد ما تسبب فى مقتل ثلاثة أشخاص وجرح العشرات من اليهود لبث الرعب وزرع الخوف فى النفوس، لإقناعهم بقبول فكرة الهجرة إلى فلسطين كملاذ آمن من المخاطر التى تدهمهم من فوقهم، ومن تحتهم.

ويؤكد الكاتب الأمريكي توماس سواريز فى كتابه "دولة الإرهاب" أن معظم ضحايا العمليات الإرهابية للعصابات الصهيونية من اليهود غير الصهاينة، وقد يعد الكثير من الجماهير هذا الكلام غير غير واقعى، أو مفاجأة تصل إلى حد الذهول والاندهاش، لكن هذه هى الحقيقة التى يصدقها الواقع، ويؤكدها اليهود أنفسهم، لأن الحركة الصهيونية تعتبر اليهود غير الصهاينة هم العدو الأول لها قبل العرب والمسلمين، لأنهم يعرفون اليهودية والصهيونية أكثر من غيرهم، ويفضحون ألاعيب الصهيونية ومكرها بالإنسانية.

ولا نجد توصيفا أدق لوحشية العصابات الصهيونية الإرهابية مع بني جلدتهم من اليهود خصوصا، ومع غيرهم من الإنسانية عموما من قول الحق تبارك وتعالي: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]

وأخيرا:

فإن الاستعمار الغربي حقق بتهجير اليهود من أوربا هدفين كبيرين فى وقت واحد: أولاهما: التخلص من مجموعة من البشر هى أخبث وأقذر من مشي على الأرض، وكان سلوكهم وفعالهم فى كل أرض نزلوها، وفى كل بقعة وطؤها أحط من سلوك القردة والخنازير، وكانوا مشاعل فتنة، ومسعرى حروب أينما حلوا، وحيثما ارتحلوا، وكان الهدف الثاني: هو احتلال فلسطين وتحويلها إلى عنصر استيطانى يقوم على

خدمة المصالح الغربية، وحماية الأهداف الاستعمارية، والنظرة السطحية تقول أنهم نجحوا فى هدفهم، لكن النظرة العميقة تقول أنهم يتجمعون لحتفهم وهلاكهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]

غزة جرح الإنسانية النازف ومقبرة الضمير العالمي

حين نتحدث عن قطاع غزة اليوم، فإننا لا نتحدث عن بقعة جغرافية عادية، بل عن المساحة الأكثر ألما، والأعمق جرحا، والأشد وجعا فى العالم أجمع، وفى الوقت نفسه نتحدث عن الصمود الأسطوري في التاريخ الحديث، غزة هذا الشريط الساحلي الضيق الذي يحتضن ملايين النفوس، يعيش فصلاً ممتداً من فصول مأساة إنسانية

غير مسبوقة، صاغتها سنوات طويلة من الحصار الخانق، والحروب المتتالية، والدمار الممنهج.

إن كتابة مقال عن واقع غزة اليوم ليست ترفاً فكرياً، ولا مجرد سرد لأرقام وإحصائيات؛ بل هي محاولة لتوثيق صرخة شعب، يُراد له أن يموت ببطء، وبعيداً عن الأعين، إنه واقع يتجاوز حدود الوصف، حيث تحولت أبسط مقومات الحياة البشرية -من ماء نظيف، وكسرة خبز، وجرعة دواء، وسقف آمن- إلى أمنيات بعيدة المنال.

أولاً: ملامح الحصار الخانق وأثره على البنية التحتية

ما زال الحصار المفروض على قطاع غزة يمثل الأداة الأبرز للعقاب الجماعي الذي يتعرض له السكان، هذا الحصار، الذي تخطى أطره الزمنية المعتادة ليصبح واقعاً مزمناً طويلا أليما، وحوّل القطاع إلى ما يشبه سجنًا ضيقا، وجحيما لايطاق، ومعاناة تعجز عن وصفها الكلمات، طالت كل مناحى الحياة دون استثناء، ونلقى عليها نظرة عابرة لعل العالم يفيق من سكرته، ويعود إلى رشده، ويسارع إلى غوثهم ونجدتهم:

١. انهيار المنظومة الصحية

تعتبر المنظومة الطبية في غزة اليوم في حالة احتضار حقيقي، فالمستشفيات التي صمدت أمام آلات الدمار الصهيونى تعاني من نقص حاد ومستمر في الأدوية والمستهلكات الطبية الأساسية التى لاغنى عنها، ومنها:

أ- شح الوقود: بعد قطع الاحتلال الكهرباء عن القطاع بصفة دائمة، تعتمد المستشفيات على المولدات الكهربائية التي تتوقف مراراً بسبب منع دخول الوقود، مما يهدد حياة الأطفال في الحواضن، ومرضى الفشل الكلوي، والأمراض المزمنة، وسائر أقسام العناية المركزة.

ب- استهداف الكوادر والمرافق: استهدف الاحتلال الأطباء والمسعفين، وسائر العاملين فى المجال الطبي، ولم تسلم المستشفيات والمراكز الصحية من الاستهداف المباشر، مما أخرج معظمها عن الخدمة وحرم مئات الآلاف من الرعاية الطبية.

ج- منع السفر للعلاج: يواجه آلاف الجرحى، ومرضى السرطان، والامراض المزمنة حكماً بالموت البطيء، بسبب إغلاق المعابر ومنعهم من تلقي العلاج في الخارج.

٢. أزمة المياه والبيئة والإسكان

لقد طال الدمار البنية التحتية لشبكات المياه، والصرف الصحي بشكل شبه كامل، مما أدى إلى كارثة بيئية وصحية مرعبة، ومن مظاهرها:

تلوث المياه: تشير التقارير إلى أن أكثر من ٩٥% من المياه في غزة غير صالحة للاستهلاك الآدمي.

أزمة السكن والنزوح: مئات الآلاف من العائلات تعيش اليوم في خيام مهترئة، أو بين ركام منازلها المدمرة، وهذه الخيام لا تقي حر الصيف ولا برد الشتاء، وتحولت مراكز النزوح المكتظة إلى بيئة خصبة لانتشار الأوبئة والأمراض الجلدية والمعوية، والفئران، والحشرات التى تحول حياة الإنسان إلى جحيم لا يطاق.

ثانياً: ظروف الحياة اليومية.. صراع من أجل البقاء

العيش في غزة اليوم يعني إتقان فن البقاء على قيد الحياة بأقل القليل، كل تفصيلة صغيرة في اليوم تمثل معركة قائمة بذاتها للمواطن الغزي:

١- شبح المجاعة وسوء التغذية

لم يعد الفقر مجرد مشكلة اقتصادية في غزة، بل تحول إلى سياسة تجويع ممنهجة، والأسواق تفتقر إلى المواد الغذائية الأساسية، وإن وجدت، فإن أسعارها الخيالية تجعلها بعيدة عن متناول الغالبية العظمى من السكان الذين فقدوا أعمالهم ومصادر

رزقهم، وبالتالى الأطفال هم الضحية الأولى لهذه المجاعة، حيث تسجل المستشفيات يومياً حالات وفاة، وإصابات حادة بسوء التغذية والجفاف.

٢- المأساة التعليمية والنفسية

جيل كامل من الأطفال والشباب في غزة اليوم حُرم من حقه الأساسي في التعليم، والمدارس والجامعات إما دُمرت بالكامل أو تحولت إلى مراكز إيواء للنازحين.

أما عن الجانب النفسي، فإن حجم الصدمات التي يعيشها إنسان غزة تفوق قدرة التحمل البشرية، وأصبح الأطفال يعانون من رعب مستمر، وفقدان للأهل والأصدقاء كل يوم، وربما كل ساعة، وأصوات الانفجارات لا تهدأ، مما خلف جروحاً نفسية غائرة تحتاج إلى عقود لكي تندمل.

ثالثاً: واجب الإنسانية تجاه غزة

أمام هذا المشهد المرعب من المعاناة، يقف المجتمع الدولي والضمير الإنساني أمام اختبار أخلاقي هو الأصعب في العصر الحديث، إن نصرة غزة، وإنهاء حصارها ليس منّة أو تبرعاً، بل هو واجب إنساني وقانوني وأخلاقي ملزم دون أدنى شك، وعلى الإنسانية بأسرها أن تبادر إلى:

١. كسر حاجز الصمت والحياد

الوقوف على الحياد في معركة بين الضحية والجلاد، هو انحياز للجلاد، لأن الواجب الإنساني يتطلب من أحرار العالم جميعاً، بمختلف اصولهم الدينية والثقافية، ومختلف منابتهم الفكرية والعرقية، رفع الصوت عالياً لرفض هذا الظلم بكل وسيلة ممكنة، وهى لا تعد كثرة، ومنها:

تفعيل أدوات الضغط الشعبي: من خلال المظاهرات السلمية، وحملات التوعية، والكتابة، ونشر الحقيقة عبر وسائل التواصل الاجتماعى، وكل المنابر الإعلامية، لكسر روايات الاحتلال المضللة.

المقاطعة الاقتصادية والثقافية: مقاطعة كافة الشركات والجهات التي تدعم الاحتلال، أو تسهم في استمرار حصار غزة وتجويع أهلها.

٢. التحرك القانوني والملاحقة القضائية

يجب على المؤسسات الحقوقية والقانونية الدولية تفعيل القوانين والمعاهدات الدولية، وفي مقدمتها اتفاقية جنيف الرابعة لحماية المدنيين، وقرارات الجنائية الدولية، وقرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وغير ذلك الكثير،

لأن الصمت الدولي على ما يحدث في غزة يمثل رخصة لاستمرار الجريمة، وتواطؤاً يهدد المنظومة القانونية والأخلاقية للعالم أجمع.

ويجب العمل على ملاحقة مرتكبي جرائم الحرب، ومحاصري الشعوب أمام المحاكم الدولية، وعدم السماح لسياسة الإفلات من العقاب بأن تظل هي السائدة.

٣. الدعم الإغاثي والطبي العاجل

الواجب الإنساني يفرض على شعوب العالم أولا، وعلى المنظمات الدولية ثانيا، الضغط بكافة الوسائل لفتح المعبر بشكل دائم، وإدخال المساعدات الإنسانية دون قيود، لأن غزة اليوم فى أمس الحاجة إلى جسور جوية وبرية من المساعدات الطبية، والغذائية، والوقود، وطواقم طبية متخصصة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

رابعاً: الواجب الإسلامي الخاص.. فرض العين والمسؤولية الشرعية

إذا كان الواجب الإنساني عاماً، فإن الواجب على المسلمين تجاه غزة هو واجب عقدي، وشرعي، وأخلاقي من الدرجة الأولى. غزة ليست مجرد بقعة جغرافية، بل هي جزء من جسد الأمة الإسلامية، وتربطنا بأهلها أواصر الدين والدم والأخوة، والحق سبحانه وتعالي يقول فى قرآنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] فإذا كانت أمريكا ومعها أوربا يدعمان المحتل الظالم بكل قوة فعلى المؤمنين أن يسارعوا لنجدة المظلومين فى غزة وإلا كانت فتنة فى الأرض وفساد كبير، ويقول الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه، فنصرتهم فريضة على كل مسلم فى الأرض، وصور نصرتهم لاتحصي، نذكر منها:

١. الدعم المالي والجهاد بالمال

الجهاد بالمال في النوازل التي تصيب المسلمين هو فرض عين على كل قادر، وأهل غزة اليوم يجاهدون بأنفسهم وأرواحهم نيابة عن الأمة كلها في الحفاظ على الأرض والمقدسات، والواجب على المسلمين إمدادهم بكل ما يعينهم على الصمود، ومن ذلك:

توجيه أموال الزكاة والصدقات: فيجب توجيه السهم الأكبر من زكاة الأموال والتبرعات لصالح إغاثة غزة، وتوفير الطعام والكساء والدواء، وكفالة الأيتام والأرامل، وإعادة إعمار القطاع كاملا.

تأسيس الصناديق الوقفية: إنشاء أوقاف إسلامية مستدامة يذهب ريعها لدعم صمود القدس وغزة، وإمداد فلسطين عامة -وليست غزة وحدها- بكل ما تحتاج إليه، فى كل مناحي الحياة.

٢. الدعم السياسي والدبلوماسي الإسلامي

على الحكومات والأنظمة في الدول العربية والإسلامية استخدام أوراق الضغط السياسي والاقتصادي التي تمتلكها بشكل فاعل، وبذل كل وسائل النصرة اللازمة، ومنها:

- **قطع العلاقات والاتفاقيات، ووقف كافة أشكال التطبيع أو العلاقات الاقتصادية والسياسية مع المحتل.**
- **استخدام سلاح الطاقة، والاقتصاد الضخم الهائل الذي يتمتع به العالم الإسلامي بسبب موقعه الجغرافي المتميز، وثرواته المتنوعة، فاستخدام هذه الأوراق كأدوات ضغط، يمكن أن يغير المعادلات الدولية لفك الحصار عن غزة فوراً.**

٣. معركة الوعي ونصرة القضية

من الواجبات الشرعية على العلماء، والدعاة، والمفكرين، والإعلاميين في العالم الإسلامي إبقاء قضية غزة وفلسطين حية في وعي الأجيال الصاعدة، واستخدام كل الوسائل المتاحة، ومنها:

المنابر والمساجد: وتحويل خطب الجمعة، والدروس الدينية إلى منارات للتوعية بأبعاد القضية، وواجب الوقت.

التعليم والمناهج: غرس حب فلسطين والقدس في نفوس الأطفال بالمدارس والبيوت، وتعريفهم بأن نصرة المظلوم هي من صلب العقيدة الإسلامية.

سلاح الدعاء: لا ينبغي الاستهانة بسلاح الدعاء والتضرع إلى الله في الأوقات الفاضلة وفي قنوت النوازل، بأن يرفع الحق سبحانه وتعالي البلاء عن غزة، ويثبت أقدام أهلها.

خامساً: غزة.. مدرسة الصمود والأمل المتجدد

رغم كل هذا السواد ورغم قسوة الحصار والدمار، إلا أن غزة تقدم للعالم اليوم درساً فريداً في الصمود والكرامة، إنها البقعة التي تعيد تعريف معنى "الحياة" فالحياة ليست مجرد شهيق وزفير، بل هي موقف، وتضحية، وعزة، وثبات على المبدأ، فترى الأم الغزية وقد فقدت أطفالها وبيتها، تحمد الله وتستعين بالصبر، وترى الطبيب يعمل لأيام متواصلة دون أجر، وتحت القصف لإنقاذ الجرحى، وترى المتطوعين يقتسمون كسرة الخبز، وشربة الماء مع النازحين، هذا الإيمان العميق، والترابط والتكافل الاجتماعي العظيم، هو السلاح السري الذي عجز الحصار بآلاته العسكرية والتجويعية عن كسره.

وغزة اليوم تكشف زيف الشعارات البراقة حول حقوق الإنسان، والديمقراطية التي تتغنى بها الحضارة الغربية، وتضع الجميع أمام مرآة الحقيقة العارية.

وختاما:

إن غزة اليوم لا تطلب عطفاً ولا شفقة، بل تطالب بحقها العادل في الحرية، والحياة الكريمة، كباقي شعوب الأرض، واستمرار الحصار عليها هو وصمة عار في جبين الإنسانية جمعاء، وخطيئة تاريخية يسأل عنها المسلمون أولاً، والعالم ثانياً.

إن التاريخ لن يرحم الصامتين، والسنن الإلهية لا تحابي أحداً، ولن يتوقف نزيف غزة إلا بانتفاضة حقيقية في الضمير الإنساني عامة، والإسلامي خاصة، تترجم إلى خطوات عملية تكسر هذا الحصار الظالم، وتفتح المعابر، وتعيد الأمل لأكثر من مليوني إنسان صابر متشبث بأرضه إلى آخر رمق.

وليكن تفكير كل منا اليوم: ماذا قدمت لغزة؟ وكيف يمكنني أن أكون جزءاً من صمودها؟ فالكلمة نصرة، والمال نصرة، والدعاء نصرة، والمقاطعة نصرة، فلنؤدِّ واجب الوقت قبل فوات الأوان، ولنكن عوناً لإخواننا حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الحق لا يضرهم من خذلهم.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: ٢١].

عاشوراء: والسنن الإلهية فى صراع الحق والباطل

السنن الكونية هى المحرك الأساسي لتاريخ الإنسانية، وحركة المجتمعات البشريّة، بل وحركة الوجود قاطبة، والحق سبحانه وتعالي هو وحده من يدير المعركة التاريخية السرمدية بين الحق والباطل،

وفي هذا السياق، لا يخضع التاريخ البشري للمصادفات العبثية، بل يسير وفق معادلات دقيقة ومطردة صاغتها الإرادة الإلهية لتدبير الكون، ويبدو جليا حدث "يوم عاشوراء" - وهو اليوم الذي نجّى الله فيه موسى عليه السلام وقومه، وأغرق فرعون وجنوده - كأحد أهم المنعطفات التاريخية التي تُقدّم نموذجاً رائعا، ومتكاملاً لطبيعة التدافع بين الحق والباطل، وكيفية تدخل السنن الإلهية في لحظات الذروة والحسم.

وفى هذا الإطار يأتي هذا المقال، لتوضيح الدروس الإيمانية، والفرائد التربوية، والسنن الإلهية المرتبطة بهذا الحدث التاريخي الخالد، ونناقش أيضا: المفارقة الجوهرية بين "التكتيك البشري" في إدارة المعارك القائم على تتبع نقاط الضعف والقوة لأطراف المعركة، وبين "النسق الإلهي" القائم على أخذ الظالمين في أوج قوتهم، ونصرة المستضعفين في قمة ضعفهم المادي، كما يسلط المقال الضوء على، البُعد العقدى والإيمانى فى حادث عاشوراء، المتمثل في "اليقين المطلق" كشرط أساسي لتحقق النصر والتمكين الحضاري.

أولاً: طبيعة السنن الإلهية فى الصراع بين الحق والباطل

في الصراعات البشرية التقليدية، تعتمد الاستراتيجيات العسكرية والسياسية على مبدأ "انتهاز الفرص وتحيّن نقاط الضعف" فالإنسان بطبيعته القاصرة يبحث عن الثغرات في جدار خصمه، ليوجه ضربته الحاسمة؛ لأن قدراته المحدودة، تفرض عليه تجنب مواجهة القوة الكاملة للعدو.

بيد أن السنن الإلهية الناظمة للكون، تعمل وفق طبيعة مغايرة تماماً، فتقوم على إظهار الطلاقة المطلقة للقدرة الإلهية، وتحطيم أوهام القوة المادية التي يتبجح بها الإنسان. ويبدو هذا الطرح جليا في مسارين متوازيين:

١- الاستدراج والأخذ في أوج القوة

لا تأتي العقوبة الإلهية للقوى الباغية في لحظات انكسارها، أو ضعفها الاقتصادي أو العسكري، بل تأتي تزامناً مع وصولها إلى ذروة التمكين المادي، والخيلاء السلطوي.

ويُعرف هذا في القرآن الكريم بـ "سُنّة الاستدراج "و"الإملاء"، كما في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]

وفي يوم عاشوراء، لم يكن فرعون يمر بأزمة سياسية أو عسكرية؛ بل كان في كامل عافيته، وفى أتم قوته، وزهوة سلطانه، متبوعاً بجيش عرمرم، يمثل الأداة الضاربة لأقوى إمبراطورية في ذلك العصر، وهذا التوقيت بالذات (أوج القوة) يخدم هدفين معرفيين:

- إقامة الحجة البالغة: بحيث لا يُعزى السقوط والاندحار، إلى عوامل داخلية، أو أسباب مادية مألوفة، بل يظهر كفعل إلهي مباشر تخر له الجبابرة صاغرين، ويقطع دابر الظالمين، ويلوى أعناق المستكبرين.
- تفكيك وهم التأليه البشري: عندما تغرق القوة الإمبراطورية بين أنياب سائل (الماء) وهو من أضعف عناصر الطبيعة في الظاهر، يتجلى عجز القوة المادية أمام الإرادة الكونية.

٢- النصر في ذروة الاستضعاف المادي

على الجانب المقابل، تتجلى السنّة الإلهية في إنجاء المستضعفين، عندما تصل قواهم المادية إلى نقطة الصفر المطلق، وحين يحيط بهم الهلاك من كل جانب، بمقاييس الحسابات البشرية، هذا التباين الشديد بين الضعف المادي، والقدرة الإلهية يربط قلوب المؤمنين بالمسبّب لا بالأسباب، ويحمي الأمة المنتصرة مستقبلاً من داء الغرور العسكري أو القومي، فتعلم أن النصر كان منحة إلهية محضة، وليس نتاجاً لعبقريتها الذاتية، وينعقد فى قلبها صدق قول ربها: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

ثانياً: الاستكبار الفرعوني وسياق المعركة الحاسمة

لقد مثّل المجتمع الفرعوني في عصر موسى -عليه السلام- نموذجاً متقدماً لـ "الاستكبار السياسي والاجتماعي ."ويمكن تحليل بنية هذا المجتمع، من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية تلاقت كلها في يوم عاشوراء:

١- البُعد السياسي: احتكار السلطة المطلقة، وادعاء الألوهية التشريعية، والوجودية كما لخصها القرآن في شعار فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]

٢- البُعد الاجتماعي: شق المجتمع إلى طبقات متناحرة، واستضعاف فئة معينة (بنو إسرائيل) عبر تقتيل أبنائهم، واستحياء نسائهم، وسلب حقوقهم الآدمية.

٣- البُعد النفسي: "الزهوة والخيلاء"، وهي حالة الإنكار المعرفي التي تصيب الطغاة، وتجعلهم عاجزين عن رؤية السنن الكونيه، مما يسوقهم إلى الاندفاع الأعمى نحو حتفهم.

وفي يوم عاشوراء، تجمعت هذه الأبعاد الثلاثة، فقد سار فرعون خلف موسى وقومه، ليس لمجرد معركة عسكرية، بل كان يسير مدفوعاً بنشوة القدرة المطلقة، والتأكد التام من إبادة الخصم، لكن هذا "العَمى المعرفي" هو الذي قاد الجيش الفرعوني إلى دخول البحر وراء موسى دون التفكير في البُعد الخارق للعادة لمسألة انفلاق البحر؛ حيث حجبت غشاوة الغرور والتفوق المادي أي إدراك عقلاني للعواقب.

ثالثاً: اليقين التام فى أحرج اللحظات

تُمثّل حادثة انشقاق البحر، ونجاة موسي ومن معه، وغرق فرعون وجنده، مادة خصبة للدراسات العقدية، والإيمانية، في أوقات الأزمات الوجودية الحادة، فالأزمة هنا بلغت ذروتها الهيكلية: البحر من أمام المستضعفين، والعدو المدجج بالسلاح من خلفهم، ولا توجد أي ثغرة جغرافية أو عسكرية للنجاة، وهنا كان يقين المؤمنين، وروعة الصديقين، تلوح للناظرين، وتتجلى للرائين فى مظاهر عديدة، منها:

١- الانقسام السلوكي والنفسي للمجتمع في لحظة الحسم

عند تعاظم الخطر، انقسم معسكر المستضعفين إلى مستويين من الإدراك:

- المستوى الأول (الإدراك المادي القاصر): وتمثله مقولة أصحاب موسى : {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}، هذا الحكم ناتج عن قراءة صحيحة، وصادقة للمعطيات المادية الملموسة، فالأرقام والحسابات العسكرية، والجغرافيا السياسية كلها كانت تؤكد الهلاك الحتمي، وهذا ما يردده العوام فى اللحظات الحرجة كل زمان: ليتنا ما خضنا هذه المعركة، لقد جلبت لنا الخراب والدمار، والذل والصغار.

- المستوى الثاني (الإدراك العقدي الإيمانى): وتمثله مقولة موسى -عليه السلام ﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، لم تكن هذه الكلمة مجرد تعبير عن تفاؤل عاطفي، أو هروب من الواقع، بل كانت تعبيراً عن "يقين قلبي" مستند إلى معرفة حقيقية بالله، وبسننه في نصرة الحق.

٢- "كَلَّا" يقين عجيب من قلب واثق مطمئن

إنّ إطلاق كلمة "كَلَّا" في ذلك الظرف الحرِج، يعكس أعلى درجات "الطمأنينة الروحية، والاستقرار النفسي، واليقين الكامل" إنها أداة ردع وزجر، لكل الحسابات المادية الميؤوس منها، وتظهر التماسك النفسي، واليقين القلبي لموسى -عليه السلام- في تقديم المعية الإلهية {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي} كعلة وسبب، قبل أن تطلب المخرج {سَيَهْدِينِ}، هذا البناء النفسي المتين، هو الذي أهل موسى ليكون في صدارة الأنبياء، وينال منزلة "أولي العزم" من الرسل، ويكون "كليم الله" الذي خاطبه ربه بلا واسطة؛ لأن الأزمات الكبرى هي المختبر الحقيقي الذي تتمايز فيه منازل الرجال والأنبياء.

رابعاً: الدروس المستفادة، والآثار الحضارية لحدث عاشوراء

لا يقف حدث عاشوراء عند حدود السرد التاريخي أو الاستذكار الطقسي، بل يمتد ليشكل خطة حضارية، ودليل عمل للأمم المستضعفة. ويمكن إجمال أبرز الدروس المستفادة في المحاور العلمية التالية:

١- المحور العقدي والمعرفي

- مركزية المعية الإلهية: إنّ القوة الحقيقية في الكون ليست كامنة في الأسباب المادية وحدها، بل في مسبّب الأسباب، والمعية الإلهية نوعان: معية عامة لجميع الخلق بالعلم والإحاطة، ومعية خاصة للمؤمنين بالنصر والتأييد والتسديد، وهي التي استند إليها موسى عليه السلام

- التحرر من الوثنية المادية: يربي حدث عاشوراء الأمة على عدم تقديس الأسباب المادية، أو اليأس عند فقدانها. فالذي خلق السبب قادر على إبطال عمله (كما أبطل إحراق النار لإبراهيم)، وقادر على خلق أسباب جديدة من رحم المستحيل (كفلق البحر بضربة عصا)

٢- المحور السياسي والاستراتيجي

- حتمية سقوط الطغيان: يثبت التاريخ عبر بوابة عاشوراء أن أنظمة الاستبداد، مهما بلغت من القوة العسكرية، والتمكين التكنولوجي، والسيطرة الاقتصادية، تحمل في داخلها بذور فنائها، فالطغيان يحمل جينات تدميره الذاتي، المتمثلة في الكبر والغرور الأعمى.

- **مشروعية مقاومة الاستضعاف: يُعطي هذا اليوم "يوم عاشوراء" درساً في أهمية السعي نحو التحرر والانعتاق من ربقة الاستعباد السياسي والفكري، فلم يستسلم موسى وقومه للواقع الفرعوني المفروض، بل تحركوا وهاجروا وبذلوا وسعهم المادي المتاح (الخروج والمشي)، تاركين النتائج الكبرى للمشيئة الإلهية.**

٣- المحور الاجتماعي والنفسي

- **صناعة الأمل وإدارة الإحباط: يمثل يوم عاشوراء ترياقاً معرفياً، ضد اليأس والقنوط المجتمعي، فعندما تنغلق الأبواب، وتصل الأزمات السياسية والاجتماعية بالأمة إلى طريق مسدود، يأتي التذكير بعاشوراء ليعيد بناء الأمل على أسس غيبية وسننية متينة.**

- **أهمية القيادة الحكيمة: يوضح الحدث دور القائد في تثبيت الجماهير العريضة، وتوجيهها في أوقات الكوارث، لو تزلزل موسى -عليه السلام- للحظة واحدة، لحدث تدافع واقتتال داخلي، وهرج ومرج داخل الصف المسلم، يؤدى حتما إلى كارثة مروعة**

وختاما:

إنّ ذكرى يوم عاشوراء ليست مجرد حدث عابر في أروقة التاريخ المطوية، بل هي " حكمة إلهية، وسنة كونية" تتكرر كلما تكررت مقدماتها، إنها الذكرى التي تعيد صياغة العقل المسلم ليتجاوز النظرة السطحية للأحداث، وينفذ إلى عمق السنن الإلهية التي تدير هذا الكون.

لقد برهن يوم عاشوراء على أن الاستكبار البشري مهما علا وتجبر، فإنه يسير حتماً نحو نقطة الانكسار الشامل، وأن هذا الانكسار يأتي في أوج القوة والخيلاء ليكون النكال أشد والآية أبهر، وفي المقابل فإن المستضعفين أصحاب الحق، إذا ما تسلحوا باليقين التام، ولم يتسرب الشك إلى قلوبهم، وبذلوا ما في وسعهم من أسباب مادية بسيطة، فإنهم موعودون بنصر يخرق القوانين المألوفة.

إنّ رسالة عاشوراء التاريخية والحضارية تتلخص في أن "الحق منتصر بالسنّة الإلهية لا بالمحاضن المادية فحسب"، وأن على الأمة الباحثة عن النهوض والتمكين

أن تبذل قصارى جهدها، ولا تفرط فى أى سبب متاح لها، وعليها فى الوقت نفسه أن تتعلق بربها، وتوقن أن النصر منه وحده، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾

عودة لا نكبة.. عودة تتجذر، ونكبة تتبخر

يُمثّل حق العودة الفلسطيني أحد أكثر القضايا عمقاً وتأثيراً في مسار القضية الفلسطينية، وهو ليس مجرد شعار سياسي، أو مطلب عاطفي، بل هو حق قانوني وإنساني وتاريخي ثابت، يتمتع بأسس متينة في القانون الدولي العام، والقانون الدولي الإنساني، وقانون حقوق الإنسان. تعود جذور هذه القضية إلى عام ١٩٤٨، إبان ما عُرف بـ "النكبة"، وما ترتب عليها من تهجير قسري واقتلاع ممنهج لمئات الآلاف من الفلسطينيين من ديارهم وأراضيهم.

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الأبعاد القانونية والتاريخية والسياسية لحق العودة، وتفنيد الحجج التي تحاول إسقاطه، مع التأكيد على أن أي تسوية سياسية تتجاهل هذا الحق هي تسوية غير قابلة للحياة وتفتقر إلى الشرعية الدولية، وتتصادم بوضوح مع القانون، والعدل والحق.

أولاً: الخلفية التاريخية وسياق اللجوء الفلسطيني

لتفهم الأبعاد القانونية لحق العودة، لا بد من قراءة السياق التاريخي الذي نشأت فيه مشكلة اللاجئين:

التهجير القسري: تشير الوثائق التاريخية، إلى أن هجرة الفلسطينيين لم تكن طوعية، بل كانت نتاجاً لعمليات عسكرية وتطهير عرقي ممنهج مارسته الجماعات الصهيونية المسلحة (مثل الهاغاناه والأرغون والشتيرن)، وحتى لو كانت هجرة طوعية فهذا لايمس إطلاقا بحق العودة الثابت والمتجذر والأصيل فى كل الأعراف والقوانين.

خطة دالت :

مثّلت هذه الخطة الاستراتيجية العسكرية لتهجير السكان العرب وتفريغ القرى والمدن الفلسطينية لتأمين أغلبية ديموغرافية يهودية، فكان من آثارها كارثة التهجير المروعة.

حجم الكارثة:

أدت النكبة إلى تدمير أكثر من ٥٣٠ قرية ومدينة فلسطينية، وتحويل قرابة ٨٠٠,٠٠٠ فلسطيني (أي حوالي ٨٥% من سكان المناطق التي أُقيمت عليها دولة الاحتلال الغاصبة) إلى لاجئين مشتتين بين الضفة الغربية، وقطاع غزة، والدول العربية المجاورة (الأردن، سوريا، لبنان)، بالإضافة إلى الشتات العالمي.

ثانياً: التأصيل القانوني لحق العودة في القانون الدولي

يستند حق العودة إلى منظومة متكاملة، وترسانة ضخمة من القوانين والقرارات الدولية التي لا تسقط بالتقادم، ويمكن تصنيف هذه المرجعيات إلى عدة محاور رئيسية:

١. قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة (القرار رقم ١٩٤)

يُعتبر "القرار رقم ١٩٤" الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ المرجعية الدولية الأبرز لحق العودة. تنص الفقرة ١١ من هذا القرار صراحة على:

"وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة وعن كل مفقود أو مصاب بضرر..."، ويزيد هذا القرار صلابة وعمقا وتجذرا عدة أمور منها:

الاستمرارية والتأكيد:

لم يكن هذا القرار عابراً، بل أعادت الجمعية العامة التأكيد عليه في أكثر من ١٣٠ مناسبة وجلسة دورية، مما يمنحه صفة "العرف الدولي" والاستقرار القانوني.

العضوية بشرط القبول:

عندما قُبلت إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة بموجب القرار رقم ٢٧٣ عام ١٩٤٩، كان شرط قبولها التزامها بتطبيق القرار ١٨١ (خطة التقسيم) والقرار ١٩٤ (حق العودة)، وهو شرط لم تلتزم به إسرائيل حتى اليوم.

٢. القانون الدولي الإنساني (اتفاقيات جنيف)

ويُعنى القانون الدولي الإنساني بحماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة والاحتلال:

وقد وردت فيه نصوص كثيرة تفرض حق العودة للفلسطينيين، ومنها:

**** اتفاقية جنيف الرابعة (١٩٤٩): تحظر المادة ٤٩ منها بشكل قاطع النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين، أو نفيهم من أراضيهم المحتلة إلى أراضي دولة أخرى. كما تؤكد الاتفاقية على حق هؤلاء الأشخاص في العودة إلى موطنهم بمجرد توقف الأعمال العدائية.**

**** بروتوكول جنيف الإضافي الأول (١٩٧٧): يُجرم عمليات الترحيل القسري ويعتبرها "جرائم حرب" لا تسقط بالتقادم الأخلاقي أو الزمني.**

٣. القانون الدولي لحقوق الإنسان

ويؤصل هذا الفرع من القانون لحق العودة كحق فردي أصيل لكل إنسان:

**** الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨): تنص المادة ١٣ (الفقرة ٢) على: "لكل فرد حق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده"، فالهجرة طوعا أو كرها لا تسقط الحق القانونى الأصيل فى العودة إلى الوطن.**

**** العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (١٩٦٦): المادة ١٢ (الفقرة ٤) تؤكد أنه: "لا يجوز حرمان أحد، تعسفاً، من حق الدخول إلى بلده". وحسب**

تفسير اللجنة المعنية بحقوق الإنسان بالأمم المتحدة، فإن مفهوم "بلده" لا يقتصر على الجنسية الرسمية، بل يشمل من يملكون رابطاً تاريخياً وقومياً وثيقاً بالأرض.

٤. اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (١٩٦٥)

وفيها، تُلزم المادة "٥ " الدول الأطراف بضمان حق كل شخص في مغادرة أي بلد والعودة إلى بلده دون تمييز على أساس العرق أو الأصل القومي أو الإثني.

ثالثاً: طبيعة الحق وخصائصه القانونية (الحق غير القابل للتصرف)

يتميز حق العودة الفلسطيني بخصائص قانونية تجعله محصناً ضد الإلغاء أو التنازل:

١. حق فردي وجماعي في آن واحد

****الصفة الفردية: هو حق يمتلكه كل لاجئ فلسطيني بصفته الشخصية، وتنتقل هذه الصفة من الآباء إلى الأبناء والأحفاد تلقائياً وفقاً لمعايير وكالة الأونروا والقانون الدولي. وبالتالي، لا تملك منظمة، أو حكومة، أو سلطة سياسية صلاحية التنازل عن هذا الحق نيابة عن الفرد دون موافقته الحرة والعلنية.**

****الصفة الجماعية: يرتبط بالحق في تقرير المصير للشعب الفلسطيني ككل، فمن حقهم العودة فرادى وجماعات، أشتاتا ومجتمعين، دون اعتبار لعرق أو دين.**

٢. حق لا يسقط بالتقادم

في القانون الدولي، لا يؤدي "مرور الزمن" أو الأمر الواقع إلى شرعنة الجرائم ضد الإنسانية، أو إسقاط الحقوق الناجمة عنها. سواء كان التهجير طوعيا أو قسريا، يظل الحق في العودة قائماً ونافذاً بغض النظر عن تقادم الزمان، أو ابتعاد المكان

٣. عدم جواز المقايضة بين العودة والتعويض

تُحاول بعض الأطروحات السياسية تصوير "التعويض المالي" كبديل كامل للعودة. لكن القراءة الدقيقة والمنهجية للقرار ١٩٤ ولأحكام القانون الدولي توضح أن العودة والتعويض هما "حقان متلازمان ومتكاملان وليسا بديلين":

****التعويض يُدفع لفئتين:**

١. الذين يختارون العودة، وذلك تعويضاً عما لحق بممتلكاتهم من دمار واستغلال طوال سنوات اللجوء.

٢. الذين يختارون عدم العودة ملء إرادتهم، تعويضاً عن خسارتهم لأملاكهم المادية والمعنوية.

رابعاً: تفنيد الحجج الإسرائيلية والمناهضة لحق العودة

تطرح البروباغندا الصهيونية ومراكز الأبحاث الداعمة لها عدة حجج لرفض تطبيق حق العودة، ويمكن تفنيدها علمياً وقانونياً على النحو التالي:

١. حجة "الانتحار الديموغرافي" لإسرائيل

****الادعاء إن عودة ملايين الفلسطينيين ستغير الطابع الديموغرافي لإسرائيل وتؤدي إلى إنهاء "الدولة اليهودية".**

التفنيد القانوني والإنساني:

لا يمكن للقانون الدولي أن يقر بـ "التفوق الديموغرافي العرقي" كمسوغ لحرمان السكان الأصليين من حقوقهم الإنسانية الأساسية. ولا يمكن أن يكون الحفاظ على نقاء عرقي أو ديني لدولة ما، مبررا لارتكاب جريمة مستمرة كالتطهير العرقي ومنع عودة اللاجئين، فهذا يندرج تحت بند التمييز العنصري (الأبارتهايد) الذي تجرمه الأمم المتحدة.

٢. حجة "تبادل السكان"

الادعاء بأن هجرة اليهود من الدول العربية بعد عام ١٩٤٨، يمثل عملية "تبادل سكان" مع الفلسطينيين الذين خرجوا من ديارهم.

التفنيد:

هذا الادعاء يفتقر إلى السند القانوني؛ فاليهود العرب الذين غادروا بلدانهم كانوا مواطنين في دول عربية مستقلة (كالعراق ومصر والمغرب)، وخروجهم (سواء كان طوعياً أو نتيجة تحريض صهيوني وضغوط سياسية) هو شأن يخص هؤلاء المهاجرين وحدهم، ويخص علاقة تلك الدول بمواطنيها. ولا يمكن بأي حال من الأحوال معاقبة الشعب الفلسطيني وتحميله مسؤولية تصرفات دول أخرى، فالقانون الدولي لا يعترف بمفهوم "المقاصة الإنسانية" على حساب حقوق الشعوب المحتلة.

٣. حجة "مرور الزمن وتغير المعالم"

الادعاء إن القرى المدمرة لم تعد موجودة، وتحولت المدن القديمة إلى تجمعات حديثة، وبالتالي فإن العودة مستحيلة عملياً.

التفنيد فى نقطتين:

الأولى: أن هذا حق للاجئين لا يمكن المساس به، حتى لو دمرت قراهم ومدنهم، ولو أردوا العودة للقري المدمرة، فهذا حق أصيل لا يرده تدمير القرى والمدن.

الثانية: أثبتت الدراسات الجغرافية، والسكانية، والتخطيطية أن أكثر من ٨٠% من مواقع القرى الفلسطينية المهجرة ما زالت خالية من البناء الكثيف، أو تُستغل كأراضٍ زراعية ومحميات طبيعية. وبالتالي، فإن المساحات الجغرافية لاستيعاب العائدين متوفرة تقنياً وعملياً، والعائق الوحيد هو الإرادة السياسية الاستعمارية وليس الضيق الجغرافي.

خامسا: الأونروا كشاهد سياسي وقانوني

تأسست وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا" بموجب القرار رقم ٣٠٢ لعام ١٩٤٩.

**الأهمية السياسية: لا تكمن أهمية الأونروا في تقديم المساعدات الإنسانية والتعليمية والطبية فحسب، بل في كونها "شاهداً دولياً حياً" على استمرار قضية اللاجئين دون حل.

**الاستهداف الممنهج:

ولهذه الأهمية البالغة للأنروا كانت المحاولات المتكررة لإنهاء عمل الوكالة، أو تجفيف منابع تمويلها، أو شيطنتها سياسياً، تهدف بالدرجة الأولى إلى تصفية قضية اللاجئين سياسياً، وتحويل ملفهم من قضية سياسية وطنية مرتبطة بحق العودة إلى مجرد مشكلة إنسانية عامة تُحال إلى المفوضية السامية لشؤون اللاجئين لدمجهم في الدول المضيفة.

سادسا: حق العودة واستقرار الأمن والسلم الدوليين

تؤكد مآثر التاريخ، وبدهيات العلوم السياسية والعلاقات الدولية على أن الاستقرار لا يتأسس على الظلم واستخدام القوة، بل على العدالة وتطبيق القانون:

فشل المشاريع البديلة: سقطت عبر العقود كافة مشاريع "التوطين" أو "الوطن البديل" أو "التعويض الاختياري والتهجير إلى كندا أو دول غربية"، نظراً لتمسك الأجيال الفلسطينية المتعاقبة (الجيل الأول حتى الجيل الرابع والخامس) بهويتهم وأرضهم.

*معادلة السلام الحقيقي: إن استدامة الأمن في المنطقة العربية يرتبط ارتباطاً أصيلا بحل القضية الفلسطينية من جذورها. وجذر المشكلة هو الاقتلاع واللجوء. بناءً عليه، فإن أي محاولة للالتفاف على حق العودة، من خلال اتفاقيات إقليمية، أو سلام اقتصادي، أو تنمية اجتماعية، هى فى الحقيقة محاولات واهمة، وواهية، وساقطة، ولن تنتج سوى دورات متجددة من النزاع والعنف، لأن الحقوق المشروعة لا تموت بالتقادم أو الضغط الاقتصادي.

خاتمة:

بناءً على المعطيات التاريخية، والتحليلات القانونية الواردة في هذه الدراسة، نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

١- إن حق العودة للفلسطينيين هو حق قطعي، وثابت بقوة القانون الدولي، ومحصن بقرارات شرعية دولية متراكمة ومتسقة. وهو ليس موضوعاً للتفاوض أو التنازل، بل هو التزام قانوني يقع على عاتق المجتمع الدولي والكيان المحتل الغاصب، لإنهاء أطول جريمة تطهير عرقي، ولجوء مستمر في التاريخ الحديث.

٢- تفعيل أدوات القانون الدولي، وملاحقة سلطات الاحتلال أمام محكمة الجنايات الدولية، ومحكمة العدل الدولية، لمحاسبتها على جريمة منع اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى وطنهم، واعتبار هذا المنع امتداداً لجريمة الفصل العنصري (الأبارتهايد).

٣- التمسك المطلق بالقرار ١٩٤ ،كقاعدة أساسية غير قابلة للتجزئة في أي مؤتمرات، أو مفاوضات تسوية، ورفض الصيغ الغامضة، والمصطلحات الالتفافية مثل "حل عادل، ومتفق عليه لمشكلة اللاجئين" إذا كانت تعني إسقاط العودة الفعلية.

٤- دعم الأونروا: ويتمثل فى حشد الدعم الدولي المالي، والسياسي المستدام لوكالة الأونروا، باعتبارها خط الدفاع الدولي الأول، والشاهد القانوني على قضية اللاجئين، ورفض أي محاولات لنقل صلاحياتها، أو إنهاء تفويضها قبل التطبيق الفعلي لحق العودة.

٥- توثيق الذاكرة والمِلكية: وذلك بالاستمرار في رقمنة وتوثيق سجلات الأراضي والملكيات الفلسطينية، بكل الوسائل الممكنة: (طابو، وثائق الانتداب، وثائق لجنة التوفيق الدولية) لضمان حفظ الحقوق المادية الفردية وتوريثها للأجيال الناشئة.

كيف أصبحت دماء غزة "الرافعة الأخلاقية" لحزب تاكر كارلسون لتفكيك أمريكا؟

لطالما شكل نظام الحزبين (الديمقراطي والجمهوري) صمام الأمان والركيزة الأساسية للاستقرار السياسي والدستوري في الولايات المتحدة منذ انتهاء الحرب الأهلية .ومع ذلك، بدأت تظهر تصدعات عميقة في هذا النظام التقليدي خلال السنوات الأخيرة، ولعل أبرزها ما أحدثه الإعلامي اليميني البارز تاكر كارلسون بإعلانه النية لتأسيس حزب سياسي ثالث .وهذا الإعلان ليس مجرد مناورة إعلامية عابرة أو محاولة تكتيكية للفت الانتباه؛ بل هو تعبير صارخ عن أزمة وجودية وفلسفية عميقة تعيشها النخبة الحاكمة في واشنطن .يطرح كارلسون فرضية راديكالية مفادها أن أمريكا لا يحكمها حزبان متنافسان، بل يديرها في الحقيقة نظام "الحزب الواحد" الفعلي .

نظام "الحزب الواحد": وهم الاختيار في الديمقراطية الأمريكية

يمثل مفهوم "الحزب الواحد" العمود الفقري للخطاب السياسي الحالي لتاكر كارلسون .ويرى أن الخلافات الظاهرة بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري في قضايا مثل الضرائب، الإجهاض، التغير المناخي، والتعليم، ليست سوى "مسرحية سياسية" مخرجة بعناية فائقة للحفاظ على الوضع الراهن ومصالح النخبة الحاكمة . أما في القضايا الجوهرية والوجودية التي تحدد مسار الإمبراطورية الأمريكية ومستقبل ثرواتها وسلطتها، فإن الحزبين يذوبان كلياً في كيان أيديولوجي ومؤسسي

واحد يخدم مصالح المجمع الصناعي العسكري، ومصارف وول ستريت، ومجموعات الضغط الأجنبية والمحلية.

وتتجلى مظاهر الاندماج والتحالف بين الحزبين في ثلاثة ملفات رئيسية:

١. الإجماع المطلق على الحروب الأبدية :من غزو العراق وأفغانستان إلى التدخل في ليبيا، وصولاً إلى التدفق المالي والعسكري الضخم نحو أوكرانيا ثم قطاع غزة .ونادراً ما يختلف الحزبان على حزم المساعدات العسكرية الضخمة، بل يتسابقان لإقرارها بالإجماع وبسرعة قياسية داخل أروقة الكونجرس.

٢. الإهمال المتعمد للداخل الأمريكي :في المقابل، تشهد المدن الأمريكية تآكلاً حاداً في البنية التحتية، وأزمة تفشي مخدرات قاتلة تحصد أرواح مئات الآلاف من الشباب سنوياً، فضلاً عن معدلات التضخم المرتفعة، وتدهور مستوى معيشة الطبقة العاملة .وهي قضايا تحظى بوعود انتخابية براقة فقط دون حلول جذرية.

٣. السيطرة المؤسسية العميقة: ويظهر بوضوح بين تحالف الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الفيدرالية، وتواطؤها المستمر مع النخب السياسية لتوجيه الرأي العام فى القضايا المصيرية

من هذا المنطلق، يخلص كارلسون إلى أن الانتخابات الأمريكية بشكليها الحاليين أصبحت تمنح المواطن ما يمكن تسميته بـ "وهم الاختيار" بين وجهين لعملة واحدة .وهذا ما يبرر الحاجة التاريخية الملحة لكسر هذا الاحتكار الثنائي عبر منصة سياسية جديدة قادرة على التعبير عن الأغلبية الصامتة التي تشعر بالاغتراب السياسي وبأنها غير مُمثلة بأي شكل في واشنطن.

غزة و٧ أكتوبر: نقطة التحول والرافعة الفكرية والأخلاقية

لم تكن السياسة الخارجية الأمريكية يوماً محل نقد لاذع وجذري من داخل التيار اليميني الشعبي كما هي عليه اليوم؛ حيث مثلت أحداث السابع من أكتوبر والحرب المستمرة على قطاع غزة "المحفز" الكبير الذي فجر هذا الخطاب وأخرجه إلى العلن.، وأصبحت مرآة كاشفة تعري عورات واختلالات النظام السياسي الأمريكي برمته، وذلك من خلال ثلاثة أبعاد أساسية:

١- الدعم اللامحدود كرمز صارخ لفشل النظام الثنائي

يجادل كارلسون بأن الطريقة التي تعاملت بها واشنطن مع حرب غزة تمثل دليلاً قاطعاً على عدم اهتمام السلطة الحاكمة بالمواطن الأمريكي .فبينما يعاني ملايين الأمريكيين من أزمات اقتصادية طاحنة، وتفتقر مدن كاملة مثل ديترويت وفيلادلفيا ومناطق "حزام الصدأ" الصناعي إلى الرعاية الصحية والتعليم الجيد، تتدفق مليارات الدولارات من أموال دافعي الضرائب دون قيد أو شرط، لدعم الحرب على غزة، فهذا التناقض الصارخ يثبت أن النظام الثنائي يرهن مقدرات البلاد لصالح أجندات عسكرية وأيديولوجية عابرة للحدود بدلاً من خدمة المصالح الوطنية العليا.

٢- البُعد الإنساني والأخلاقي والتساؤل عن جدوى الدمار

لم يتردد كارلسون في تسليط الضوء على الكلفة الإنسانية والأخلاقية الباهظة للحرب في غزة، فلقد تجاوز خطابه التحليل السياسي البارد ليطرح تساؤلات علنية، عن الجدوى الأخلاقية لتمويل حروب تؤدي بشكل مباشر إلى مقتل عشرات الآلاف من المدنيين، بمن فيهم النساء والأطفال، وتدمير مجتمعات دينية وتاريخية عريقة في الأرض المقدسة، بما فيها الجاليات المسيحية القديمة التي تم سحقها وسط الصمت الغربي الرسمي .هذا البعد يضع الناخب الأمريكي العادي أمام تساؤل فلسفي مباشر : هل تريد أن تكون أموالك وضرائبك شريكة في هذه الدماء؟ وهل يتماشى هذا السلوك الإمبراطوري مع القيم المسيحية أو الإنسانية التي يدعي النظام الأمريكي الدفاع عنها عالمياً؟

٣- غزة وإعادة تعريف فلسفة "أمريكا أولاً"

لطالما ارتبط شعار "أمريكا أولاً" في الأذهان خلال عهد دونالد ترامب بنوع من القومية الاقتصادية، والتشدد في ملف الهجرة، وفرض التعريفات الجمركية .لكن كارلسون يعيد صياغة هذا المفهوم وتوسيع أبعاده ليشمل الانعزالية العسكرية والمسؤولية الأخلاقية .وبناءً على قراءته لأحداث غزة، تصبح فلسفة "أمريكا أولاً" قائمة على ركائز جديدة تشمل:

- **تصفير التدخلات العسكرية الخارجية المباشرة وغير المباشرة، والتي لا تشكل أي تهديد حقيقي وصريح للأمن القومي أو الحدود الجغرافية للولايات المتحدة.**

- **الرفض التام لسياسة التبعية غير المشروطة لأي دولة أجنبية، وحظر تقديم الشيكات على بياض، وجعل أي دعم خارجي خاضعاً للمساءلة القانونية الصارمة وللمصلحة الوطنية الأمريكية الصرفة أولاً وأخيراً.**
- **إعادة توجيه الثروة الوطنية الهائلة نحو الداخل لإعادة بناء المدن، وإصلاح شبكات الطرق، وتوفير الوظائف للشباب بدلاً من حرق هذه الثروات في أتون صراعات إقليمية معقدة لا تنتهي ولن تجلب لأمريكا سوى العداء والكراهية.**

الملامح الفكرية والسياسية للحزب الجديد

يسعى الحزب الثالث الذي يبشر به تاكر كارلسون إلى خلق تحالف سياسي هجين وغير تقليدي يكسر بالكلية الاصطفافات الأيديولوجية القديمة التي سادت طوال العقود الماضية، حيث يعتمد الرهان الأكبر على دمج كتلتين تصويتيتين ضخمتين تلتقيان اليوم في نقطة الرفض للنظام القائم:

الأولى: الطبقة العاملة، وهي الكتلة التي شعرت بالخذلان الشديد من وعود الحزب الديمقراطي الاقتصادية التي ركزت على الهويات الثقافية، ومن وعود الحزب الجمهوري التقليدي الذي ركز على مصالح الشركات الكبرى .هذه الفئة هي التي تدفع الفاتورة المباشرة للتضخم والفقر، وهي الفئة التي يُرسل أبناؤها وبناتها لخوض الحروب الخارجية والموت فيها.

الثانية: التيار المناهض للحروب والتدخلات الخارجية: وهي مفارقة تاريخية فريدة؛ حيث تلتقي القواعد الشعبية لليسار التقدمي الغاضب من دعم واشنطن غير المشروط لحرب غزة، مع اليمين الذي يرى في هذه المساعدات استنزافاً لأمريكا وتورطاً في جرائم لا ناقة لها فيها ولا جمل. هذا التحالف الهجين يجد في كارلسون صوتاً يتجاوز الأيديولوجيا ويركز على "السيادة الوطنية والمبادئ الإنسانية الأساسية".

تفكيك أمريكا أم إعادة تعريفها؟ التحديات والمآلات

إن الحديث عن "تفكيك أمريكا" من خلال مشروع تاكر كارلسون السياسي لا يعني بالضرورة هدم الدولة بمؤسساتها الجغرافية، بل يعني تفكيك "المؤسسة الحاكمة

العميقة" التي أدارت الإمبراطورية طوال عقود ما بعد الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك، يواجه هذا المشروع الطموح جملة من العقبات الهيكلية والسياسية الشرسة:

النظام الانتخابي الاحتكاري: صُمم النظام الانتخابي الأمريكي (قاعدة الفائز يفوز بكل شيء) ليمحق الأحزاب الثالثة. فتاريخياً، تحولت المحاولات المشابهة (مثل حركة روس بيرو عام ١٩٩٢) إلى مجرد "أصوات تشتيتية" تنتهي لصالح أحد الحزبين الكبيرين.

شيطنة الإعلام التقليدي: يمتلك نظام الحزب الواحد ترسانة إعلامية ضخمة، قامت بشن حملة شعواء لشيطنة كارلسون

معضلة التمويل: تعتمد الأحزاب الأمريكية على مجمعات المال السياسي الضخمة. وبما أن مشروع كارلسون يستهدف وول ستريت والمجمع الصناعي العسكري، فإن تمويل حزبه سيعتمد كلياً على التبرعات الشعبية الصغيرة، وهو رهان محفوف بالمخاطر في معركة انتخابية تتطلب مليارات الدولارات.

وفي نهاية المطاف، يكشف تحليل خطاب تاكر كارلسون أن دماء غزة لم تكن مجرد حدث عابر في أجندته السياسية، بل تحولت إلى "الرافعة الأخلاقية والفكرية" التي وفرت الشرعية لتياره لشن هجومه الأعنف على شرعية واشنطن، ولقد نجح كارلسون في تحويل المأساة الإنسانية في الشرق الأوسط إلى حجة داخلية دامغة تثبت ـــ من وجهة نظر جماهيره ـــ أن النخبة الأمريكية الحاكمة قد فقدت أهليتها الأخلاقية والسياسية لقيادة البلاد.

لعنة العقد الثامن ونهاية إسرائيل

تحظى نبوءة أو مقولة "لعنة العقد الثامن" بزخم لافت في فضاء السجال السياسي والفكري المعاصر، لا سيما مع اقتراب إسرائيل من إتمام عامها الثمانين (تأسست عام ١٩٤٨). وتستند هذه المقولة إلى فكرة مفادها أن الدول والكيانات السياسية اليهودية عبر التاريخ لم تعمر ككيان موحد ومستقر لأكثر من ثمانين عاماً، مستشهدين بمصير "مملكة داود وسليمان" و"دولة الحشمونيين".

وفي حين يتناولها البعض من منظور ديني أو غيبي، فإن الحديث عن هذه الظاهرة، وبحث فرضية "نهاية إسرائيل" يتطلب دراسة علمية موضوعية تسلط الضوء على الأبعاد التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والاستراتيجية التي تجعل من "العقد الثامن" تحدياً حرجاً لأي كيان سياسي صهيونى.

أولاً: التأصيل التاريخي والديني للمفهوم:

تجد مقولة "لعنة العقد الثامن" جذورها في قراءة محددة للتاريخ اليهودي القديم، وهي قراءة لم يقتصر ترديدها على النخب العربية أو الإسلامية، بل وردت بشكل صريح على لسان قادة ومفكرين إسرائيليين بارزين (مثل رئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك، ورئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو في تصريحات موثقة).

وتتلخص المعطيات التاريخية المستندة إلى العهد القديم والمصادر التاريخية في نموذجين رئيسيين:

١- مملكة داود وسليمان (المملكة الموحدة):

تأسست هذه المملكة وازدهرت في القرن العاشر قبل الميلاد، لكنها لم تصمد ككيان موحد سوى قرابة ٨٠ عاماً. فبعد وفاة الملك سليمان، دبت الخلافات السياسية والقبلية، وانقسمت المملكة إلى كيانين متصارعين: "مملكة إسرائيل" في الشمال، و"مملكة يهوذا" في الجنوب، مما مهد الطريق لاندثارهما لاحقاً تحت وطأة الغزو الآشوري والبابلي.

٢- الدولة الحشمونية (المكابية):
قامت في القرن الثاني قبل الميلاد بعد ثورة المكابيين ضد السلوقيين. وعاشت هذه الدولة حالة من الاستقلال والسيادة، ولكن مع اقترابها من عقدها الثامن، تآكلت شرعيتها الداخلية بسبب الصراعات الدموية على العرش بين الأخوين "هيركانوس الثاني" و"أرسطوبولوس الثاني"، مما دفعهم للاستعانة بالإمبراطورية الرومانية. وفي عام ٦٣ قبل الميلاد، دخل القائد الروماني "بومبي" القدس، وأنهى السيادة اليهودية الفعلية تحولاً إلى تبعية رومانية.

تاريخياً، يُلاحظ أن انهيار هذه الممالك لم يكن فجائياً أو مدفوعاً بعوامل ميتافيزيقية بحتة، بل كان نتاجاً لـ**تفاعلات هيكلية** داخلياً وخارجياً: صراع النخب على السلطة، غياب الهوية الجامعة العابرة للانقسامات الفرعية، والوقوع في قلب تجاذبات القوى الإقليمية العظمى آنذاك.

ثانياً: مقاربة علم الاجتماع السياسي (أزمة الهوية والشرخ الداخلي)

منظور علم الاجتماع السياسي يتجاوز الأرقام الرمزية (٨٠ عاماً) ليركز على "دورة حياة الدول" وأزمات الاستقرار الهيكلي. إن وصول أي دولة إلى عقدها الثامن يعود بالضرورة إلى رحيل "جيل التأسيس" (الجيل الأول) الذي كان يمتلك عاطفة أيديولوجية جارفة، وقدرة على تجميد الخلافات البينية في سبيل البقاء، ومع صعود الجيلين الثالث والرابع، تبرز التناقضات المجتمعية المؤجلة إلى السطح.

وفي الحالة الإسرائيلية المعاصرة، يواجه المجتمع أزمة هوية بنيوية تتجلى في أربعة شروخ رئيسية تصعب معالجتها:

١- الصراع بين العلمانية والدين (يهودية الدولة أم ديمقراطيتها)

يتفاقم التوتر بين التيار الصهيوني الملتصق بالقيم الليبرالية الغربية، وبين التيار الصهيوني الديني والتيارات الحريدية (الأرثوذكسية المتطرفة). هذا الشرخ لم يعد مجرد نقاش فكري، بل تحول إلى صراع على هوية الدولة، والنظام القضائي، وحقوق الأفراد، والخدمة العسكرية الإلزامية.

٢- التغير الديمغرافي وصعود اليمين المحافظ

تشير الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية إلى معدلات نمو ديمغرافي مرتفعة جداً لدى المجتمع الحريديم، والصهيونية الدينية مقارنة بالمجتمع العلمانى، هذا التحول الديمغرافي يترجم سياسياً إلى إزاحة مستمرة لمركز الثقل السياسي نحو اليمين واليمين المتطرف، مما يعمق عزلة التيارات الليبرالية التي أسست الدولة تاريخياً (حزب العمل وحلفاؤه) ويقوض المشتركات الوطنية.

٣- أزمة العبء الاقتصادي والعسكري، والمساواة أمام القانون

يمثل رفض اليهود الحريديم للخدمة في الجيش (التجنيد) وتفرغ جزء كبير منهم لدراسة التوراة مع الاعتماد على مخصصات الدولة المالية نقطة تفجير مجتمعية. فالطبقة الوسطى العلمانية تشعر أنها تتحمل وحدها عبء الضرائب المرتفعة، وعبء الخدمة العسكرية الطويلة والمخاطرة الحياتية، بينما تقطف الثمار السياسية تيارات لا تشارك في هذه الأعباء.

وهنا عندما تفقد الدولة قدرتها على صياغة "عقد اجتماعي" يحظى بإجماع مكوناتها، وتتحول المؤسسات السياسية إلى أدوات للمغالبة الفئوية، والصراعات الداخلية، بدلاً من التوافق، وتدخل الدولة مرحلة "التآكل الهيكلي من الداخل"، وهي البيئة الخصبة للانهيار المفاجئ عند التعرض لصدمات خارجية.

ثالثاً: الأبعاد الاستراتيجية والأمنية (تآكل العقيدة الأمنية وتهديدات المحيط)

تعتمد ديمومة إسرائيل ككيان سياسي وعسكري في منطقة الشرق الأوسط على فرضية "التفوق النوعي الدائم" والقدرة على حسم المعارك بسرعة، وبشكل خاطف على أرض العدو. ومع الدخول في العقد الثامن، تواجه هذه العقيدة الاستراتيجية تحديات غير مسبوقة:

١- معضلة الحروب الطويلة وحروب الاستنزاف

صُمم الجيش الإسرائيلي لخوض حروب خاطفة وحاسمة (مثل حرب ١٩٦٧) بسبب صغر المساحة الجغرافية والاعتماد على قوات الاحتياط التي يعني استدعاؤها الطويل شللاً اقتصادياً تاماً، وتحول النزاع إلى حروب استنزاف ممتدة (كما ظهر في جولات التصعيد الطويلة في غزة ولبنان) يستنزف الموارد الاقتصادية، ويهز ثقة المستثمرين، ويخلق ضغطاً اقتصاديا، ونفسياً واجتماعياً مستداماً على الجبهة الداخلية.

٢- تآكل نظرية "العمق الآمن"

لم تعد الجبهة الداخلية الإسرائيلية (المدن الكبرى والمراكز الاقتصادية) بمنأى عن الاستهداف المباشر. إن تطور تكنولوجيا الصواريخ الدقيقة والطائرات المسيرة لدى الأطراف الإقليمية جعل كل نقطة داخل الحدود الافتراضية تحت التهديد، مما أفقد

الكيان ميزته التاريخية المتمثلة في نقل المعركة إلى أرض الخصم وحماية مجتمعه الداخلى.

٣. جبهات متعددة في آن واحد

تواجه الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية معضلة الترابط بين الجبهات (غزة، جنوب لبنان، سوريا، اليمن، إيران، بالإضافة إلى الضفة الغربية والداخل). هذا التعدد يشتت القدرات العسكرية والاستخبارية، ويدفع المنظومات الدفاعية (مثل القبة الحديدية وسهم) إلى حافة الإجهاد العملي والمالي.

رابعاً: المتغيرات الدولية والجيوسياسية

لا يمكن فصل مستقبل إسرائيل عن طبيعة النظام الدولي الداعم لها، فتاريخياً قامت إسرائيل برعاية ودعم مباشر من قوى عظمى (بريطانيا ثم الولايات المتحدة). ومع التحولات الراهنة في العقد الثامن، يطرأ تغير ملموس على هذه الركيزة الخارجية:

التحول في الرأي العام الغربي:

تشهد الجامعات والمجتمعات الغربية (بما في ذلك في الولايات المتحدة وأوروبا) تحولاً جيلياً واضحاً، فالأجيال الشابة تتبنى مواقف أكثر نقدية تجاه السياسات الإسرائيلية، وتنظر إلى الصراع من منظور حقوقي وإنساني وعدالة اجتماعية، مما يضعف الإجماع التقليدي الداعم لإسرائيل في واشنطن على المدى البعيد.

تغير شكل النظام الدولي:

الصعود التدريجي لنظام دولي متعدد الأقطاب (بروز الصين، روسيا، وتكتلات بريكس) يقلص من قدرة الولايات المتحدة على توفير مظلة حماية دبلوماسية واقتصادية مطلقة وغير مشروطة لإسرائيل في المؤسسات الدولية، كما كان الحال في العقود الماضية.

العزلة القانونية والأخلاقية:

ملاحقة إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية بتهم تتعلق بجرائم الحرب والإبادة الجماعية يسحب من الدولة شرعيتها الأخلاقية والدولية، ويحولها تدريجياً في نظر جزء من المجتمع الدولي إلى "دولة منبوذة"، على غرار نظام الفصل العنصري السابق في جنوب أفريقيا.

خامساً: سيناريوهات المآل المستقبلي

عند الحديث عن "نهاية إسرائيل" من منظور علمي، يجب الابتعاد عن السرديات التبسيطية التي تفترض اختفاءً مادياً فجائياً للبلاد، والتركيز بدلاً من ذلك على "آليات التحول والتفكك الهيكلي" التي تصيب الكيانات السياسية. ويمكن حصر السيناريوهات المستقبلية المحتملة في ثلاثة مسارات رئيسية:

السيناريو الأول: التفكك الداخلي (الهجرة العكسية والفشل المؤسسي)

وهو السيناريو الأقرب لظاهرة "لعنة العقد الثامن" التاريخية، ويتمثل في وصول الاستقطاب الداخلي (العلماني-الديني، اليميني-اليساري) إلى نقطة الصدام المسلح، أو العجز التام عن تشكيل حكومات مستقرة، ويترافق ذلك مع هجرة عكسية للنخب الفكرية، والتقنية، والرأسمالية نحو الغرب بحثاً عن الاستقرار، مما يؤدي إلى انهيار اقتصادي وتراجع الكفاءة العسكرية، لتتحول الدولة إلى كيان ضعيف ومأزوم من الداخل، يسهل اختراقه، أو فرض شروط إقليمية عليه.

السيناريو الثاني: نموذج جنوب أفريقيا (التحول إلى دولة قطبين أو دولة واحدة)

تآكل حل الدولتين وضم الضفة الغربية الفعلي يقود إسرائيل إلى واقع "الدولة الواحدة ثنائية القومية" بحكم الأمر الواقع، مع نظام فصل عنصري، يمنح الأقلية اليهودية

السيطرة على الأغلبية الفلسطينية بين النهر والبحر، وهذا النموذج لا يمكنه الصمود أخلاقياً وسياسياً على المدى الطويل تحت وطأة الضغوط الدولية، والمقاومة الداخلية، والمقاطعة الشاملة، مما قد يجبر الكيان في النهاية على التحول إلى دولة ديمقراطية واحدة لجميع مواطنيها، وهو ما يعني عملياً "نهاية الصهيونية" كأيديولوجية هيمنة وتأسيس كيان سياسي جديد.

السيناريو الثالث: صدمة استراتيجية كبرى (حرب إقليمية شاملة)

الوقوع في فخ حرب شاملة ومتعددة الجبهات تفوق قدرة الدفاعات الجوية والبرية الإسرائيلية على الاحتمال، وتؤدي إلى تدمير واسع النطاق للبنى التحتية الحيوية (محطات الطاقة، الموانئ، المطارات، ومراكز القيادة). مثل هذه الصدمة، إذا ترافقت مع عجز أمريكي عن التدخل المباشر لإنقاذ الكيان، قد تؤدي إلى انهيار سريع في العقد الاجتماعي، وفرار جماعي للسكان، وفقدان السيطرة المركزية.

خاتمة

إن "لعنة العقد الثامن" ليست حتمية غيبية لا يمكن تفسيرها، بل هي "تعبير رمزي عن حزمة من الأزمات الهيكلية المتزامنة" التي تضرب الكيانات السياسية عندما تفقد عوامل تماسكها الداخلي الأصلي.

وتظهر المؤشرات العلمية الموثقة أن إسرائيل في عقدها الثامن تعيش أخطر أزماتها البنيوية منذ عام ١٩٤٨؛ حيث يتداخل الشرخ المجتمعي والديني الأفقي مع تآكل نظرية الردع العسكري، وتغير البيئة الدولية المحيطة. وسواء أدت هذه العوامل إلى انهيار فجائي أو إلى تحول تدريجي في طبيعة الكيان ووظيفته، فإن الثابت علمياً واستراتيجياً هو أن إسرائيل الحالية، بأيديولوجيتها الصهيونية التقليدية ونظامها السياسي الراهن، تواجه عقبات كأداء تحول دون استمرارها بنفس الصيغة في العقود

القادمة، وأن نهايتها أمر حتمى لا مفر منه، وهى مجرد وقت لا أكثر، وهى عقود لا قرون بكل تأكيد.

متى نصر الله ؟

هل الصف المسلم يستحق النصر الان بكل ما يحمل من سلبيات ؟

الإجابة:

نعم وبلا أدنى شك

كيف ذلك ؟

أولا : نحن من دعاة الأخذ بالأسباب وبذل أقصى الجهد للوصول إلى الأمل المنشود، والهدف المحبوب، كما سماه رب الوجود وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب.

ثانيا: من دراسة تجارب الصراع بين الحق والباطل على مر التاريخ يظهر جليا وواضحا أن الصف المسلم انتصر فى جولات كثيرة فى صراعه مع الباطل وكان فى مستوى إيمانى أقل بكثير جدا من المستوى الإيمانى الذى وصل إليه الصف المسلم فى وقتنا الحاضر

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر حين نصر الله عز وجل بنى إسرائيل والعصبة المؤمنة فى ذلك الوقت كانوا على مستوى إيمانى أقل بكثير جدا من المستوى الإيمانى الذى عليه الصف المسلم فى وقتنا الحاضر يؤكد هذا القول ويثبته قوله تعالى فى سورة الأعراف { وَجاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)

فبعد أن نجى الله عز وجل موسى و بنى إسرائيل من فرعون وجيشه أتوا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يصنع لهم أصناما يعبدوها من دون الله وذلك عقب نجاتهم من الغرق وفور انتصارهم المعجز مباشرة

واليقين الذى لا شك فيه أن الصف المسلم اليوم على مستوى إيمانى أعلى وأحسن من مستوى قوم يطلبون صناعة أصنام ليعبدوها ، ومع ذلك نصرهم الله عز وجل على طاغية من أعتى الطغاة فى التاريخ وفى جولة من أهم جولات الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ

فنحن بإذن الله على مسافة قريبة جدا من نصر الله كما قال الله فى كتابه { ألا إن نصر الله قريب}

ثالثا: نصر الله يأتى فجأة، بدون مقدمات، كما قال تعالى { فاستجبنا } بفاء الفجأة وقد وردت كلمة فاستجبنا فى سورة الأنبياء وحدها أربع مرات ، فالنصر قريب جدا ويأتى فجأة كما هى طبيعة المعركة الممتدة بين الحق والباطل عبر التاريخ.

رابعا: زلزلة الصف المؤمن علامة على قرب النصر، كما فى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤﴾ [البقرة:]

فإذا نزلت الأهوال بالصف المسلم، ومستهم البأساء والضراء وزلزلوا، حتى يقول الرسول نفسه متى نصر الله؟ فحينها تدركهم رحمة الرحمن الرحيم، ويتنزل النصر على الصف الذى مزقته سياط الباطل، وأوهنت قواه معاول الظالمين، لكنهم صبروا وتوكلوا على ربهم، فكانت العاقبة للمتقين،

خامسا: نصر الله يتنزل على الفئة المستضعفة، التى نزل بها العذاب، وحل بها العقاب من صناديد الظالمين، وعتاة المجرمين، قال ﷻ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥ ﴾ [القصص: ٥]

وقال تبارك وتعالي: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ١٣٧ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

وهذه أمارات القدرة المطلقة للخالق سبحانه وتعالي، ينزل عقابه بالظالم، وهو فى تمام قوته، وينصر الضعيف وهو فى تمام ضعفه

سادسا: أنجى الله موسى من الغرق وهو طفل صغير فى منتهى الضعف، وأغرق فرعون وهو فى تمام قوته وفى وسط جنده ليرينا ربنا أنه قدرته لا حد لها ولا منتهى لها

سابعا: العقلاء يجعلون هذا الكلام وأشباهه حماسة دافعة للعمل وعزيمة تبعث على التغيير لا دعوة للكسل والعجز والتسويف

فأبشروا بنصر من الله قريب جدا { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله}

﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ ﴾ [هود: ٨١]

﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [الصف: ١٣]

{أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقرة: ٢١٤]

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ [الإسراء: ٥١]

نثق في وعد الله ثقة عمياء

ثقتنا فى الله لا حدود لها

مجازر الطحين

إرهاصات نصر وعز وتمكين

فى فجر الخميس التاسع عشر من شعبان ١٤٤٥هـ/ التاسع والعشرين من فبراير٢٠٢٤م

كان العالم على موعد مع واحدة من أقبح وأبشع مجازر التاريخ، حيث كانت جموع الجائعين من أبناء غزة العزة، يصطفون فى طوابير طويلة من الثانية عشر ظهرا، وحتى الرابعة فجرا، ليحصلوا على حفنة من طعام يسدوا بها جوع أطفالهم، ويسكتوا بها صرخاتهم وتوجعهم الذى أوجع الإنسان والحيوان ولم يتوجع منه بنى صهيون، ومن معهم من دول الغرب المجرمة، وبعد ستة عشر ساعة من الوقوف فى طوابير انتظار الطعام، وصلت شاحنات المساعدات القليلة الزهيدة اليسيرة، وهنا كانت المفاجأة التى تذهب بالعقول، وتطير لهولها الألباب، وتندهش منها القلوب، ولا يمكن أن تخطر علي بال، حيث قامت قوات جيش الاحتلال الصهيونى الغاشم الظالم بفتح نيران أسلحتهم الثقيلة على حشود الأبرياء العزل الجائعين فى انتظار الطعام، وقصفتهم بالدبابات من الأرض، وبالطائرات من الجو، فقتلت أكثر من مئة وعشر شهيدا ارتقوا الى ربهم يشكون له جرائم الصهاينة ومن معهم، وجرح وأصيب المئات من الأبرياء العزل، فى مجزرة ترتعد من هولها الضباع فى الغاب.

هل وصلت وحشية الإنسان إلي هذا الحد؟

آسف، آسف، فالصهاينة ليسوا بشرا، وهم لعنة فى جبين الإنسانية، وهم عار على البشرية، ولقد وصفهم الله عز وجل فى كتابه بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]

وأثبت اليهود بالوقائع والأفعال صدق القرآن.

ومثّل خبر مجزرة الطحين صدمة شديدة لكل إنسان حر فى العالم، فلم يكن يخطر ببال إنسان أن تصل وحشية البشر الى هذا الحد.

والغريب فى هذا الأمر أن الغرب الذي يدعى التحضر، والدول التى تزعم الإنسانية والتقدم، والإنسان الذي يدعى الرأفة بالحيوان، ما زال يدعم الهجوم الصهيونى الإرهابي الغاشم على الأبرياء العزل فى قطاع غزة خصوصا، وفلسطين عموما.

إن المجازر التى يرتكبها جيش الاحتلال الصهيونى الظالم الغاشم أشد قسوة من مجازر الضباع التى تنهش جسد الفريسة وهى على قيد الحياة، لتأكلها وتحافظ على حياتها، فإذا شبعت بطونها كفت عن جرمها، وتوقفت عن افتراسها، أما جيش الاحتلال الغاشم ومعه الغرب الفاجرفيقتل بلا رحمة ويذبح بلا هوادة، إن القتل بالتجويع هو أسوأ أنواع القتل فى التاريخ، وهو أشد قسوة، وأكثر ألما من القتل بأي سلاح آخر فى الدنيا كلها، إن بشاعة القتل بالتجويع تتمثل فى طول فترة الألم، وفى بشاعة الألم، فمن من البشر يتحمل صرخات اطفاله، وهم جوعي، يطلبون الطعام، ولا طعام، ويبحث الأب المكلوم للولد الجائع عن طعام، فلا يجد، ويذهب إلى الحقول عله يجد من خشاش الأرض ما يسد رمق الأطفال الجوعى، فتقصف طائرات الاحتلال المجرم، الآباء والأمهات الذين يبحثون عن الفتات فى خشاش الارض، فإن ذهبوا للقمامة يبحثون عن الطعام بين الزبالة قصفوهم بالدبابات لتستمر صرخات الأطفال الجياع يتألم منها الإنسان والحيوان حتى الضباع فى الغاب تتألم لصرخات أطفال غزة الجياع، إلا بايدن ومن معه، ويستمر بايدن فى إرسال الأسلحة للاحتلال ليقتل الابرياء فى غزة المحاصرة منذ قرابة العشرين عاما، ثم يزعم كذبا ارسال مساعدات عن طريق الجو، للضحايا الذين يحاصرهم ويقتلهم ويجوعهم، ثم يرسل مساعدات قليلة حقيرة عن طريق الجو فيسقط نصفها فى البحر، ونصفها فى اسرائيل.

وكنت أتوقع أن تكون مجزرة الطحين هذه نهاية مجازر الجائعين على أيدى المحتلين الغاشمين الظالمين، فإذا بالطامة الكبري، وإذا بالاحتلال يرتكب المجزرة المروعة مرة ثانية وثالثة ورابعة أمام أعين العالم أجمع، وتوثق الكاميرات المجازر الرهيبة، لتستمر الجريمة الكبرى القتل بالقصف، لمن لم يقتل بالتجويع.

وهذا الإجرام الذي فاق الحدود، وتعدى الخطوط، وتجاوز مدارك العقول، لهو علامة على فجر النصر الذي بدأ يلوح فى الأفق بإذن الله تعالي وحده، وذلك باعتراف وزير دفاع جيش الاحتلال نفسه الذى اعترف مرارا بأن جيش الاحتلال يواجه حربا شرسة كبدته خسائر لم تلحق به منذ اغتصاب كيانهم المزعوم، وأرقام القتلى من جنود الاحتلال بالالاف، وأرقام الدبابات المدمرة تجاوزت الالف، وهى خسائر لم يتعرض لها الكيان الغاصب منذ اغتصاب فلسطين على أيدى العصابات الصهيونية الإرهابية قبل خمسة وسبعين عاما، وصدق الله العظيم: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]

ونحن على يقين لا يعرف الشك أن نهاية اسرائيل أصبحت اليوم أقرب من أى وقت مضى، لكن الغريب فى الأمر أن حذاق الصهاينة يوقنون بما نوقن به من أن زوال دولتهم بات وشيكا وقريبا،

﴿فَسَيُنغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾ [الإسراء: ٥١] . اللهم نصرك الذى وعدت

من الانكسار الى الانتصار: حول إعادة بناء الوعى الحضارى

عاشت المنطقة العربية لعقود طويلة تحت وطأة سردية سياسية وثقافية مهيمنة، روجت لـ "حتمية العجز" وصورت القوى الإمبريالية وحلفاءها الإقليميين كقوى مطلقة لا تُقهر. وتغلغلت هذه الأطروحة في الوعي الجمعي من الخليج إلى المحيط، مستندة إلى تفوق عسكري تكنولوجي غربي مفرط، وتخاذل بنيوي في المنظومات الرسمية العربية. وتحول هذا المشهد إلى ما يشبه "القدر المحتوم" الذي يبرر الخنوع ويسد منافذ التغيير، بدعوى أن التوازنات الدولية لا تترك للعرب سوى خيار الامتثال أو الفناء، إلا أن التحولات الجيوسياسية الراهنة، والمحطات النضالية المتلاحقة، أحدثت شرخاً عميقاً في هذا الجدار النفسي والمعرفي. لقد كشفت الأحداث أن "الوحش الأمريكي" و"الكيان المحتل" ليسا قدراً مطلقاً، بل هما منظومتان تمتلكان نقاط ضعف قاتلة تظهر بوضوح عندما تواجه عقيدة إيمانية ملتهبة، وإرادة شعبية منظمة، وحكمة دبلوماسية واعية.

وتؤسس هذه الدراسة لقراءة علمية توضح مفاهيم الضعف والخذلان، وتستكشف أدوات القوة الكامنة لدى الشعوب العربية، مستندة إلى أبعاد إيمانية ونفسية، وسياسية، واقتصادية، وحضارية.

أولاً: التفكيك المعرفي لـ "سردية العجز المطلق"

تعتمد الهيمنة في الفكر السياسي الحديث على مفهوم "الهيمنة الثقافية" كما صاغه عدد من المفكرين فى الشرق والغرب، حيث لا تكتفي القوى الاستعمارية بالسيطرة العسكرية، بل تعمل على صياغة وعي الشعوب المستضعفة، لتقبل الهزيمة كحالة طبيعية، وقدر لا يمكن الفكاك منه، وذلك من خلال:

١- صناعة "البعبع" كأداة للتحكم النفسي: وتصوير كيان الاحتلال كقوة لا تُقهر، مدعومة بترسانة أمريكية تملك كل "خيوط اللعبة"، وهذا لم يكن مجرد رصد

للواقع، بل صناعة ممنهجة تهدف إلى غرس "العجز واليأس" في الوعي الجمعي العربي، عندما يقتنع الإنسان، أو المجتمع بأن أفعاله لن تؤثر في النتيجة، فإنه يستسلم تلقائياً للخنوع.

٢- التوظيف المشوه لمفهوم القضاء والقدر: جرى استغلال الخطاب الديني، والفكري التقليدي بطريقة خاطئة، وجاهلة، لتكريس الاستسلام، فبُدلت قيم الإسلام الأصيلة الداعية إلى دفع الظلم ومقاومة البغي، بمفاهيم مشوهة، تلزم الطاعة المطلقة، وتعتبر الخضوع لـ "الأمر الواقع" نوعاً من الرضا بالقضاء والقدر. وهذا الفهم الخاطئ أسقط الجانب الحركي والجهادي من العقيدة، وحوّلها إلى أداة لتخدير الشعوب وصيانة عروش المنظومات المتخاذلة المستسلمة للفشل والعجز.

ثانياً: معطيات القوة وحقائق الصمود الراهن:

جاءت الأحداث المعاصرة لتمثل صدمة إدراكية حطمت "عين الوهم والانكسار" وفتحت العيون على "عين اليقين". ولم تعد المقاومة مجرد شعار عاطفي، بل تحولت إلى استراتيجية واقعية، تعيد صياغة موازين القوى بناءً على المعطيات التالية:

١- تآكل الردع العسكري التقليدي: أثبتت الحروب غير المتناظرة أن التفوق التكنولوجي، والجوي والنووي، لا يحسم المعارك ضد شعوب متجذرة في أرضها وتملك إرادة القتال.

٢- إن مفهوم "الخنجر في الخاصرة" يتجلى في قدرة قوى المقاومة الذاتية على استنزاف العدو اقتصادياً ونفسياً وعسكرياً، مما يجعل كلفة الاحتلال والاستعلاء أكبر بكثير من مكاسبه.

٣- سقوط أسطورة التفوّق الأخلاقي والدبلوماسي الغربي، واليوم تعيش المنظومة الغربية الراهنة، بقيادة الولايات المتحدة، أزمة شرعية دولية غير مسبوقة، وبدا جليا أن الانحياز الأعمى لجرائم الاحتلال أسقط ورقة التوت عن لافتات "حقوق الإنسان" و"القوانين الدولية"، وهذا السقوط الأخلاقي يمثل أداة ضغط هائلة يمكن استثمارها دبلوماسياً لعزل الكيان الصهيوني، وداعميه في المحافل الدولية والشعبية العالمية.

ثالثاً: محددات الفعل المقاوم، وصناعة الواقع:

البديلإن للعبور من ضفة الانكسار، إلى ضفة الفعل وهو ما يتطلب الإيمان بأن "الضعف والخذلان ليسوا قدراً، بل هما اختيار". وهذا الاختيار يمكن تغييره إذا ما توافرت عناصر الفعل الاستراتيجي الأربعة:

١- الإرادة الإنسانية والصبر الاستراتيجي: إن القدرة على تحمل الجراح، والألم، وضيق العيش، وسياسة الاغتيالات، هي خط الدفاع الأول، والصبر الاستراتيجي لا يعني الانتظار السلبي، بل هو استمرار البناء ومراكمة القوة وتطوير أدوات المواجهة تحت عين العاصفة، مع الحفاظ على الحاضنة الشعبية وتماسكها النفسي.
٢- الذكاء في استخدام أدوات الضغط الاقتصادية والجيوسياسية: تمتلك المنطقة العربية والإسلامية أوراق ضغط لو جرى تفعيلها بحكمة لغيرت مسار التاريخ، وتشمل هذه الأدوات:
أ- الممرات البحرية والمضائق الحيوية. والتحكم في شرايين التجارة العالمية وإمدادات الطاقة.
ب- السلاح الاقتصادي والاستثماري، وهو ما يوجب إعادة توجيه الاستثمارات العربية، والتبادل التجاري للضغط على الدول الداعمة للاحتلال.
ج- سلاح المقاطعة الشعبية: الذي أثبت نجاعة فائقة في ضرب اقتصاديات الشركات العابرة للقارات الداعمة للكيان.

٣- الحكمة الدبلوماسية وبناء التحالفات المتعددة الأقطاب: ينبغي الخروج من فلك التبعية المطلقة لـ "الهولاكو الأمريكي". فالعالم يعيش اليوم مخاض ولادة نظام دولي جديد متعدد الأقطاب (بريكس، الصعود الصيني، الدور الروسي). ويجب أن ندرك أن توظيف الذكاء الدبلوماسي العربي يفرض نسج تحالفات استراتيجية جديدة تحد من الغطرسة الأمريكية، وتوفر غطاءً دولياً لحقوق الشعوب العربية.
٤- استدعاء المخزون الحضاري: فالعرب والمسلمون ليسوا طارئين على التاريخ، بل هم "أصحاب حضارة" ممتدة وعميقة، واستدعاء الرموز التاريخية التي واجهت الغزاة (كالمغول والصليبيين) يسهم في إعادة شحن الوعي الجمعي، والتأكيد على أن الإمبراطوريات الطاغية تموت وتندثر، بينما تبقى الشعوب الحية متمسكة بعقيدتها وأرضها وهويتها.

رابعاً: آليات المواجهة وسيناريوهات التحول المرتجى:

للانتقال من واقع التخاذل إلى واقع "نعم نستطيع"، تبرز الحاجة إلى خطة عمل شاملة تتوزع على مستويات متعددة:

١- المستوى الفكري والثقافي: وذلك على عدة محاور:
الأول: تحرير العقل العربي، وتجديد الخطاب الديني: وذلك بإبراز قيم العزة، والعدالة، ودفع الظلم، وتصحيح الفهم المشوه للقضاء والقدر باعتباره دافعاً للعمل والجهاد لا للاستسلام، والقعود.

الثاني: إعادة صياغة المناهج التعليمية: لتربية الأجيال الشابة على الاعتزاز بالهوية والحضارة الذاتية، بدلاً من ثقافة الانبهار الأعمى بالغرب والتبعية النفسية له.

الثالث: دعم الإعلام المقاوم والبديل لكسر السردية الإعلامية الغربية المضللة، وبناء وعي جمعي محصن ضد الإحباط.

٢- المستوى السياسي والاجتماعي: وذلك من خلال محورين:
الأول: تمكين الشعوب من حكم نفسها، بإرداة حرة، ووأد الاستبداد السياسي، وإحياء روح المقاومة في نفوس الشعوب، فالشعوب الحية هي الحصن الحقيقي للحكام والأنظمة في مواجهة الإملاءات الخارجية.

الثاني: إصلاح أنظمة الحكم: لزيادة قدرتها على التحمل والمناورة عبر نيل الشرعية الحقيقية من شعوبها، مما يمنحها الشجاعة لقول "لا" في وجه الضغوط الأمريكية والاحتلالية.

٣- المقارنة بين منهجية "سردية العجز" ومنهجية "إرادة المقاومة"
وبينما كانت "سردية العجز" تنظر إلى أمريكا وقوى الاحتلال كقوة غاشمة مطلقة تُمسك بمفاتيح الكون ومصائر البشر، جاءت فكرة المقاومة، وإرادة المواجهة، لترى فيها منظومات مأزومة، تحجب ترسانتها التكنولوجية شروخاً واهية وعناصر ضعف قاتلة.

ولم يقف هذا التباين عند حدود الرؤية السياسية، بل امتد ليعيد صياغة المفاهيم الإيمانية، والأسس العقدية، فبعد أن جرى تشويه مفهوم "القضاء والقدر" ليتحول في زمن التخاذل إلى سياط تفرض الخنوع والرضا بالضعف كقدر حتمي، أعادت اليقظة الاعتبار للمفهوم الأصيل باعتباره محركاً إيمانياً واعياً، يصنع النصر بالصبر

والعمل ودفع الظلم. وفي الوقت الذي تاهت فيه مرحلة الانكسار في دهاليز التبعية الثقافية للغرب، بوصفه السيد الأوحد للحاضر والمستقبل، انطلقت إرادة المواجهة من العقيدة الإسلامية، ومن النبع الصافي للكرامة الإنسانية.

خامساً: المقاومة خيار مصيري

وهنا صرخة تحذير مدوية، من خطورة التراجع أو التكاسل عن خوض هذه المعركة المصيرية والوجودية؛ فالاستمرار في طريق التخاذل، والقبول بالوقوف متفرجين أمام غطرسة الأعداء ومشاريعهم التي تطأ كرامتنا، سيفضي حتماً إلى مصير كارثي، يؤول فيه الإنسان العربي إلى غريب مستضعف، أو سجين فاقد للسيادة داخل وطنه المستباح.

إن الأوطان لا تُبنى بالاستسلام، ولا يمكن صدّ رياح التحديات العاتية بأجساد خاوية من الإرادة ومستسلمة للخنوع، بل إن البديل الحقيقي والدرع الحصين هو أن نواجه تلك العواصف بصدور ممتلئة باليقين، والإيمان بالحق، وعقول متقدة بالذكاء، وسواعد قوية تبني عناصر القوة الذاتية وتصون السيادة الوطنية.

وختاما:

إن التاريخ لا يصنعه الضعفاء الذين يستسلمون لوهم القوة لدى أعدائهم، بل يصنعه الممسكون بجمر الموقف، العارفون بقيمة حضارتهم، والمدركون أن الهوان ليس قدراً سماوياً، بل هو سقطة إنسانية يمكن النهوض منها في أي لحظة تتوافر فيها الإرادة. لقد انقشع زمن النوم على غصة الانكسار، وبدأ زمن اليقظة الحذرة، والهمم المتقدة في زمن يتطلب من الأمة العربية بأسرها - شعوباً وأنظمة ونخب - الانتباه العاجل والتحرك الفاعل، لبناء شرق جديد تصنعه عقيدة المؤمنين، وجهاد المخلصين، ودماء الشهداء وحكمة القادة الأحرار، شرق لا مكان فيه لهولاكو جديد ولا لسياسة تركيع العقول والقلوب.

أتى أمر الله

يكابد أهل غزة مشقات وأهوال تعجز عن حملها الجبال، وهذه الآلام الجسام أوجعت القلوب، وأبكت العيون، حتى جعلت الكثير يتساءل متى نصر الله؟

والإجابة من كتاب الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤]

والسؤال عن متى نصر الله؟ قديم، واستبطاء النصر طبيعة بشرية، أصابت الناس جميعا حتى الأنبياء أنفسهم قالوا: متى نصر الله؟

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤]

ففى الآية الكريمة يذكر الخالق ﷻ عباده المؤمنين بحقيقة إيمانية مستقرة، أن النصر فى الدنيا والفوز فى الأخرى لا بد أن يمر عبر البأساء والضراء والمصائب والمحن التى تزلزل الصف المسلم، وتكاد تذهب بالعقول من شدة هولها،

وفى تفسير هذه الآية يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري: "أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختبروا به من"البأساء"- وهو شدة الحاجة والفاقة، "والضراء" - وهي العلل والأوصاب - ولم تزلزلوا زلزالهم- يعني: ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهدٌ حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريبٌ، وأنه مُعليهم على عدوِّهم، ومظهرهم عليه، فنجَّز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا"

وما ذكره الطبرى فى تفسيره منذ أكثر من ألف ومائة عام، هو عين ما حل بأهل غزة فى معركة طوفان الأقصى بعد مرور أحد عشر شهرا من بداية الحرب، فقد فرض عليهم الاحتلال حصارا مطبقا فقد منع عنهم الغذاء والدواء والماء والكساء والكهرباء، فنزلت بهم كل صنوف البأساء والضراء، والأمراض والأدواء، والطواعين والأوجاع، فزلزلت صفهم وأوجعت قلوبهم، فصبروا واحتسبوا، وهتفوا صباح مساء رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، فلا نملك إزاء هذا

الابتلاء من الخالق، الذى قابله المخلوق بالرضا والثبات، إلا نوقن بأن نصر الله قريب، كما وعد ربنا ﷻ فى كتابه.

هلاك الظالمين:

مضت سنة الله فى خلقه أن ينصر المظلوم، وهو فى أتم ضعفه، ويهلك الظالم وهو فى أوج قوته، ولنا فى قصة موسي وفرعون عبر وآيات، فقد أغرق الحق سبحانه وتعالي فرعون وجنوده وهم فى أتم قوتهم بكامل عددهم وعتادهم، ونصر الحق سبحانه وتعالى موسى ومن معه وهم فى أتم ضعفهم، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] وقال عز وجل: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

وأرى والله أن الحق سبحانه وتعالى قد أتم نعمته، وصدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأرى أن غزة أصبحت قاب قوسين أو أدنى من نصر مبين، وفتح عظيم، بفضل الله وحده، وذلك وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ومن أصدق من الله حديثا، قال تعالي: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]

وأمرُ الله هنا هو كل ما وعد الله به عباده من نصر المؤمين، وتعذيب المجرمين، وتنعيم الطائعين، وقد جاء التعبير القرآنى بلفظ الماضى للتأكيد على أنه واقع لا محالة، فانتصار غزة على الاحتلال الصهيونى، وأمريكا والناتو بات قريبا جدا بإذن الله تعالي وحده لا شريك له.

السيئات تحجب نصر الله عن الصف المسلم:

وهنا قد يقول بعض المرجفين: إن نصر الله لا يتنزل إلا على من يستحقه، ومن يستحقه هم قوم امتثلوا أمر الله، واجتنبوا نهيه، هم قوم فعلوا الحسنات، وابتعدوا عن السيئات، فاستحقوا نصر الله عز وجل، أما المسملين اليوم فحدث ولا حرج، عن بعدهم عن دين الله، بل ومحاربتهم لدين الله، فهل مثل هؤلاء يستحقون نصر الله، دعنا نتكلم بصراحة إن المسملين اليوم لا يستحقون النصر بسبب بعدهم عن دين الله.

ولا يقول هذا الكلام إلا المرجفين الذين يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين، وينشرون روح اليأس بين المجاهدين خصوصا، وبين الصف المسلم عموما، وبالأحرى إذا ردد هذا الكلام والمعركة دائرة، والصف المسلم يحتاج من يثبته، ويدعمه، ويؤازره، ويشد من عضده وهو يخوض معركة صعبة جدا ضد الاحتلال الغاشم.

ويجب أن نعلم أن جيل النصر المنشود الذى يفتح الله علي يديه هم بشر خطاؤون غير معصومين، وكل ابن آدم خطاء، بلا استثناء، وقد نصر الله ﷻ موسي ومن معه، وأراهم آية من أعظم الآيات فى التاريخ كله، ورأوا بأم عينهم غرق فرعون وجنده وهم فى أبهى صورهم، وكامل عددهم، وأروع عتادهم، فماذا فعلوا؟ قال تبارك وتعالي: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]

فبعد أن نجى الله عز وجل موسى و بنى إسرائيل من فرعون وجيشه أتوا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يصنع لهم أصناما يعبدوها من دون الله وذلك عقب نجاتهم من الغرق وفور انتصارهم المعجز مباشرة

واليقين الذى لا شك فيه أن الصف المسلم اليوم على مستوى إيمانى أعلى وأحسن من مستوى قوم يطلبون صناعة أصنام ليعبدوها ، ومع ذلك نصرهم الله عز وجل على طاغية من أعتى الطغاة فى التاريخ وفى جولة من أهم جولات الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ

فنحن بإذن الله على مسافة قريبة جدا من نصر الله كما قال الله فى كتابه { ألا إن نصر الله قريب}

اعترافات صهيونية بالإبادة الجماعية

الاحتلال الصهيوني لفلسطين هو الجريمة الكبري، وهو السبب فى كل ما يحدث على ارض فلسطين من جرائم تشيب لهولها الولدان، فليس السابع من أكتوبر، ولا غيره هو سبب هذه الجرائم، فما حدث فى السابع من أكتوبر كان مقاومة مشروعة لجريمة محظورة، وهى الاحتلال، وعلى الدنيا كلها أن لا تنسي أن المقاومة فضيلة، وأن الاحتلال رذيلة، وأن المقاومة حق مشروع، وأن الاحتلال هو الجرم الأكبر، والظلم الأفدح، وأن القانون الدولى ومبادىء الأمم المتحدة شرعت حق الدفاع عن الأرض، والنفس لكل أمة محتلة، وهذه المقاومة مشروعة بالقوة المسلحة، والقوة الناعمة، وكل ألوان المقاومة التى عرفتها الأمم عبر التاريخ، ولهذا لا يحق لمحتل أيا كان أن يخرج على الناس ليتكلم عن القانون أو العدالة أو الفضيلة، لأن الاحتلال عموما، والصهيونى خصوصا، رمز من رموز العدوان الصارخ على القانون، وعلى العدل فى الدنيا كلها.

جريمة إبادة جماعية مكتملة الأركان:

ما يحدث فى غزة منذ السابع من أكتوبر٢٠٢٣م، وحتى اليوم، ليس جريمة حرب، ولا جريمة ضد الإنسانية، بل جريمة إبادة جماعية مكتملة الأركان، وقد اكتملت فيها الأركان العامة والخاصة للجريمة، فقد استقرت كلمة رجال القانون فى الدنيا كلها على أن للجريمة أركان ثلاثة:

الركن الشرعي، والركن المادي، والركن الأدبي أو المعنوى

فالركن الشرعي هو نص القانون الذى يجرم الفعل، فلا جريمة إلا بنص، ولا عقوبة إلا بقانون، والركن المادى هو جسد الجريمة، أو الفعل المادي للجريمة من الفعل، والأثر المترتب عليه، وعلاقة السببية بينهما على النحو المبين لدى فقهاء القانون، والركن المعنوى: هو نية الجاني، أو قصد الفعل، وتعمد الجرم.

وقد اجتمعت الأركان الثلاثة فى جريمة الإبادة الجماعية التى يرتكبها الاحتلال الصهيونى فى غزة منذ السابع من أكتوبر:

أولا: الركن الشرعي

فليس لدينا نص مادة فى قانون، أو فقرة فى مادة فى قانون تنص على تجريم هذا الفعل، بل لدينا ترسانة هائلة من القوانين تنص على تجريم هذه الفعال، بداية من اتفاقيات جنيف الأربع، إلى اتفاقية منع الإبادة الجماعية، إلى مبادئ سان ريمو، إلى نظام روما للمحكمة الجنائية، وغيرها الكثير.

ثانيا: الركن المادي

وهو الأفعال الإجرامية التى يرتكبها الاحتلال من قتل وقصف وتدمير، وحصار وتجويع، ومما يفضح بشاعتها، ويوضح هولها، ويبين خطرها، هو استمرارها سنتين كاملتين من القتل والتدمير والحصار المحكم الذي يمنع الغذاء والدواء والماء والكهرباء حتى مات الناس جوعا وعطشا، وقصفا وقتلا بكل السبل ومختلف الطرق، فنتج عن هذا جريمة إبادة جماعية فى أوضح صورها.

ثالثا: الركن المعنوى

وهو نية القتل، وتعمد الجرم، فلا يشك عاقل أن ما يقوم به الاحتلال من جرائم هو متعمد الفعل، مقصود النتيجة المترتبة على هذا الفعل، فلو كان صاروخا واحدا، أو قصفا واحدا، أو قتلا واحدا، كان من الممكن الادعاء بأنه غير مقصود، وأنه وقع عن طريق الخطأ، هذا أولا، أما ثانيا وهو المهم أن الاحتلال نفسه يصرح أنه يقصد هذا القتل والتدمير، بل يفخر به، ويهدد الكثير من دول المنطقة أن يفعل بها ما فعل بغزة، فهذا دليل واضح، وبرهان ساطع على توافر نية القتل والتدمير، والإبادة الجماعية لدى المحتل الصهيونى.

وسائل الإثبات:

ورغم فداحة الجريمة، ووضوحها، وثبوتها، وأن الجانى هو المحتل الصهيونى، إلا أن نتنياهو يزعم أن الحصار والتجويع، والقتل والتدمير مسئولية حماس، لا مسئولية المحتل، ويشاركه فى هذا الوهم الكاذب، والسراب الخادع الولايات المتحدة الأمريكية،

لكن العالم يرفض هذا الكذب وظهر هذا جليا فى الفيتو الذى اتخذته أمريكا ضد مشروع قرار بوقف الحرب فى غزة حيث للقرار كل أعضاء مجلس الأمن عدا صوت واحد فقط هو أمريكا، وكان هذا هو الفيتو السادس لأمريكا فى مجلس الأمن فى هذا الشأن، وظهر أيضا فى خطاب نتنياهو فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ٢٠٢٤م، وفى سبتمبر ٢٠٢٥م هذا قاطعت كلمته الغالبية الساحقة من أعضاء الجمعية العامة وانسحبوا من القاعة وتركوها شبه خاوية فى بداية كلمته.

لكن ما الذي يثبت على وجه الجزم واليقين أن المحتل الصهيوني هو من ارتكب جريمة الإبادة الجماعية فى غزة؟

والأمر فى غاية الوضوح، ولقد توافرت كل وسائل الإثبات التى تعارف عليها رجال القانون فى قارات الدنيا الست،وسنذكر من وسائل الإثبات هذه جانبا يسيرا، ونذرا قليلا، لأنها تفوق العد، وتربوا على الحصر، ومنها:

ما نشرته صفحة المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، على الموقع الرسمي للأمم المتحدة، فى يوم ٢٠٢٥/٩/١٦م، وجاء فيه: " لقد انتهت لجنة تحقيق مستقلة دولية تابعة للأمم المتحدة إلى أن إسرائيل ارتكبت جرائم إبادة جماعية فى قطاع غزة منذ ٢٠٢٣/١٠/٧م بهدف القضاء على الفلسطينيين، وكان ذلك بتحريض واضح من كبار المسئولين الإسرائيليين، ومنهم الرئيس الإسرائيلي إسحاق هيرتسوج، ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، ووزير الدفاع يوآف جالانت.

وساقت اللجنة أدلة كثيرة على الإبادة الجماعية، ومنها: رسالة لنتنياهو كتبها إلى جنود إسرائيليين فى نوفمبر ٢٠٢٣م وصف فيها الحرب على غزة، بأنها: "حرب مقدسة للإبادة الشاملة"

وقالت نافي بيلان رئيسة لجنة التحقيق الدولية المستقلة، والقاضية السابقة فى المحكمة الجنائية الدولية: " خلصنا إلى أن إبادة جماعية تحدث فى غزة، ولا تزال جارية، وأن المسئولية تتحملها دولة إسرائيل"

وأضافت بيلان: إلى أن الإبادة الجماعية التى ترتكبها اسرائيل فى غزة تشبه الإبادة الجماعية فى رواندا، والتى راح ضحيتها أكثر من مليون إنسان فى العام ١٩٩٤م.

اعترافت للصهاينة بارتكاب إبادة جماعية:

وقد صدرت العشرات من التقارير التى تثبت جريمة الإبادة الجماعية التي ارتكبها الاحتلال فى غزة من منظمات حقوقية عالمية، وأقوى من هذه التقارير كلها اعتراف المجرم نفسه، فلقد توافرت اعترافات كثيرة للصهاينة أنفسهم بارتكاب إبادة جماعية فى غزة، ومنها:

١- نشر كثير من جنود الاحتلال مقاطع فيديو على الانترنت، يفتخرون فيها بجرائمهم التى ارتكبوها فى غزة من قتل للأطفال والنساء وحرق للبيوت والممتلكات، وتدمير البنيان، وهدم العمران، وفاتهم أنهم بذلك يوثقون بأنفسهم جريمتهم، وهذا اعتراف واضح بالجريمة.

٢- قال البروفيوسور الإسرائيلي أومير بارتوف أحد أبرز المتخصصين فى دراسات الهولوكوست، والإبادة الجماعية فى العالم، وأستاذ التاريخ فى جامعة براون الأمريكية، وقد كتب بارتوف فى صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تحت عنوان: "أنا خبير فى الإبادة الجماعية، وأعرفها حين أراها" أنه نشأ فى بيت صهيوني، وخدم كضابط فى الجيش الإسرائيلي، ثم خصص حياته الأكاديمية لدراسة جرائم الحرب، وذكر بارتوف فى مقاله أن ما يحدث فى غزة لا يمكن وصفه إلا ب"الإبادة الجماعية".

٣- قد يقول قائل إن كل هذه اعترافات فردية تنكرها حكومة الاحتلال، لكن الاعترافات الصهيونية توالت فرادى وزرافات من أفراد وجماعات، فقد اعترفت منظمات صهيونية كثيرة بارتكاب الاحتلال جرائم إبادة جماعية فى غزة، ومن هذه المنظمات:

أ- منظمة "بتسليم" وتعرف نفسها بأنها: "المركز الإسرائيلي للمعلومات عن حقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة"وقد تأسست فى العام ١٩٨٩م.

ب- منظمة "يكسرون الصمت" وقد تأسست فى العام ٢٠٠٤م على يد مجموعة من الجنود الإسرائيليين.

ت- منظمة "أطباء من أجل حقوق الإنسان فى إسرائيل" وقد تأسست فى العام ١٩٨٨م.

وقد أصدرت كل واحدة من هذه المنظمات الثلاث تقريرا منفردا مستقلا عن غيرها من المنظمات الأخرى، وقد عمل فى كل تقرير العشرات من الخبراء المعنيين بحقوق الإنسان، وجرائم الحرب، وجاء كل تقرير منفردا فيما يتجاوز السبعين صفحة، وقد وثقت جرائم الإبادة الجماعية التى ارتكبها الاحتلال فى غزة بأدلة لا يتطرق إليها

شك، وأن الاحتلال قد ارتكب أفعالا لا يمكن وصفها إلا بأنها جرائم إبادة جماعية، ومن ذلك:

١- قتل المدنيين الأبرياء بالالاف دون ان يمثلوا أدنى تهديد مباشر أو غير مباشر
٢- تدمير البنية التحتية فى غزة، وتدمير الممتلكات العامة والخاصة، وتدمير كل مقومات الحياة.
٣- إجبار السكان على التهجير القسري والنزوح من أماكنهم عشرات المرات
٤- نهب وسرقة وتخريب ممتلكات الفلسطينيين
٥- حصار محكم على قطاع غزة ومنع الغذاء والماء والدواء، وقصف آبار المياة، فنتج عن ذلك مجاعة رهيبة حصدت أكثر من ألف نفس من الفلسطينيين جوعا وعطشا.

وكل هذا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الاحتلال الصهيوني ارتكب جرائم إبادة جماعية فىغزة ثابتة ومؤكدة وموثقة بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة، ومنها الاعتراف، وقد استقر العرف الإنساني على أن الاعتراف هو سيد الأدلة وأقواه وأمضاها.

خطاب الكونجرس وخطاب أبي جهل يوم بدر

سيبقي يوم الرابع والعشرين من يوليو وصمة عار فى جبين الحضارة الإنسانية عموما، وزعيمتها أمريكا على وجه الخصوص. فى هذا اليوم وقف مجرم الحرب

بنيامين نتنياهو على منصة الكونجرس الأمريكي يعلن بكل وقاحة استمراره فى حرب الإبادة التى يمارسها منذ عشرة أشهر ضد شعب أعزل فى قطاع غزة.

وكانت الوقاحة الأكبر والسفالة الأعظم فى التصفيق الحاد من نخبة النخبة فى الحضارة الغربية، والذين أثبتوا أنهم قوم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون.

والذى يأخذ بالألباب ويذهب بالعقول فى هذا الخطاب أمور لا تعد ولا تحصي، فالمتكلم هو بنيامين نتنياهو الذى طالب المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية باعتقاله لمحاكمته على جرائم حرب وجرائم إبادة جماعية ارتكبها فى قطاع غزة، وما زال يقترف أمثالها أضعافا مضاعفة، بعد أن صدر أكثر من قرار من مجلس الأمن الدولى بوقف الحرب.

ولكن على أى شىء يصفق أعضاء الكونجرس أدعياء التحضر والتمدن، والدفاع عن حقوق الإنسان، أذكر لكم بعضا من هذه الأمور التى تستوجب التصفيق من وجهة نظرهم:

١- إنهم يصفقون لقرار منع الماء والطعام عن الأبرياء فى قطاع غزة وموت الاف الأبرياء عطشا وجوعا
٢- إنهم يصفقون لمنع نتنياهو للكهرباء عن القطاع وموت الالاف فى الطرقات وعلى أسرة المستشفيات بسبب قطع الكهرباء
٣- بل لعلهم يصفقون للحصار الظالم الذى منع دخول الدواء ومستلزمات المشافى، وأجهز على الالاف لعدم وجود الدواء
٤- بل ربما يصفقون لاقتحام قوات الاحتلال لقطاع غزة وتدمير ما تبقي من مشافي متهالكة واعتقال الأطباء والأبرياء بالالاف وتعذيبهم داخل سجون الاحتلال حتى الموت
٥- ربما يصفقون للحصار الظالم الذى منع عن غزة كل مقومات الحياة.

والأغرب من هذا كله أن يقف نتنياهو أمام الكونجرس مدعيا أنه يحارب من أجل الفضيلة، كالقحبة التى تحاضر فى الشرف، ومتهما إيران بإعدام الشواذ جنسيا، وبإعدام النساء اللاتي لا يغطين رؤسهن، والحقيقة الواضحة غاية الوضوح، أن حجاب المرأة فريضة فى اليهودية والنصرانية والإسلام، والشذوذ الجنسي حرام فى اليهودية والنصرانية والإسلام، فإذا كانت إيران تعدم الشواذ لأنهم شواذ، حسب ادعاءه، فهو يقتل الشرفاء فى غزة بسبب شرفهم وطهرهم وعفتهم هذا جرمهم أنهم

أطهار شرفاء أعفاء، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: { أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون}.

وإذا كانت إيران تعدم النساء اللاتي لا يغطين رؤسهن كما يدعى، فنتنياهو يقتل النساء فى غزة لأنهن يغطين رؤسهن، فأى الجريمتين أقبح وأوقح

والحقيقة أن خطاب نتنياهو فى الكونجرس الأمريكي فى يوم الرابع والعشرين من يوليو يتشابه فى اوجه كثيرة مع خطاب أبي جهل صبيحة يوم بدر، فعن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم يوم بدر: " اللهم أينا أقطعُ للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأحِنْه الغداة"! - أى فأهلكه اليوم- فكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله في ذلك: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) رواه أحمد فى المسند، وابن ابي شيبة فى المصنف، والحاكم فى المستدرك، وغيرهم

وروى الطبري فى تفسيره، عن الزهري فى قوله تعالي: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ، قال: استفتح أبو جهل فقال: اللهم -يعني محمدًا ونفسه - "أيُّنا كان أفجرَ لك، اللهم وأينا أقطعَ للرحم، فأحِنْه اليوم" أى أهلكه اليوم فقال الله: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)

وفى رواية أخرى عند الطبرانى أيضا كان أبو جهل بن هشام يقول فى صبيحة يوم بدر: "اللهم أيُّنا كان أفجر لك وأقطعَ للرحم، فأحنه اليوم! " يعني محمدًا عليه الصلاة والسلام ونفسه. قال الله عز وجل: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ، فضربه ابنا عفراء: عوف ومعوِّذ، وأجهزَ عليه ابن مسعود.

وما أقرب الشبه بين خطاب نتنياهو فى الكونجرس، وخطاب أبي جهل يوم الفرقان يوم التقي الجمعان، يوم بدر الكبري

فإذا كان نتنياهو ذهب إلى أمريكا يستنصرهم، ويتقوى بهم، فنحن نستنصر بالله، ونتقوى به، ونستعين به، وكما توعد ربنا أبا جهل وجنده، فوعيده قائم فى كل زمن لكل عصبة بغت واعتدت، وظلمت وقتلت، كما فعل الاحتلال فى قطاع غزة، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾ [الأنفال: ١٩]

دمار غزة.. ضريبة الطاعة، لا عقوبة المعصية

يشهد العالم اليوم نازلة من أعظم النوازل الفاجعة، ومحنة تنفطر لها القلوب، حيث يواجه أهل غزة الصامدون آلة بطش وتدمير لا ترحم شجرًا ولا حجرًا، ولا طفلًا ولا شيخًا. وفي خضم هذه الدماء والأشلاء والخراب، يخرج علينا بين الحين والآخر من يلبس لبوس الوعظ، أو ينساق وراء التخذيل، ليوجه سهام النقد والاتهام إلى المستضعفين، مدعيًا زُورًا وبُهتانًا أن ما حلّ بهم من دمار واستشهاد هو عقوبة إلهية بما كسبت أيديهم وبسبب ذنوبهم وبُعدهم عن منهج ربهم.

إن هذا الفهم السقيم، والربط العشوائي بين المصائب وغضب الله تعالى، يعكس خللاً منهجيًا خطيرًا، ووهمًا كبيرًا في فهم السنن الإلهية. فالقول بأن دمار غزة بسبب ذنوب أهلها هو قراءة مبنية على الجهل، ومستندة إلى الحمق، تُسقط سياق الابتلاء والتمحيص، وتتجاهل حقيقة أن البلاء قد ينزل بالعبد رفعةً لدرجته، وبسبب طاعته وثباته.

وفي هذا المقال، نقوم بتفنيد هذه الشبهة وبيان حقيقة ما يجري لأهلنا في غزة مستندين إلى الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة.

أولاً: التمييز بين مصيبة العقوبة ومحنة الابتلاء

وقع أصحاب الفكر التخذيلي في خلط واضح بين نوعين من المصائب والنوازل التي تصيب البشر:

١- مصيبة العقوبة والاستئصال وهي التي تصيب الكفار والمكذبين أو العصاة المجاهرين كعقوبة معجلة في الدنيا. وقد استدل هؤلاء بالآية التي نزلت عقب غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هو مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. فالخطاب في أُحد كان لصحابة كرام خالف رماةٌ منهم أمرًا عسكريًا صريحًا للرسول ﷺ، فكانت النتيجة الدنيوية المباشرة انكشاف ظهر الجيش. أما أهل غزة اليوم، فلم يفروا من زحف، ولم يخالفوا أمرًا شرعيًا بالثبات، بل هم مرابطون يدافعون عن مقدسات الأمة وعن أنفسهم وأعراضهم ضد عدو صائل، فشتان بين المقامين.
٢- محنة الابتلاء والتمحيص وهي التي تصيب الصالحين والأولياء والمجاهدين لا لذنب جنوه، بل لطهارة أيديهم، وعلو هامتهم، ورفضهم الخنوع والذل. فالابتلاء هنا بوابتهم إلى المقامات العُلا في الجنة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

ثانياً: الإيذاء بسبب الطهارة والطاعة لا بسبب المعصية

إن استقراء التاريخ البشري، وقصص الأنبياء في القرآن الكريم، يثبت بشكل قاطع أن الصالحين يُحاربون ويُضطهدون بسبب طهارتهم وتمسكهم بالحق، لا بسبب نَجاستهم أو معصيتهم. ولنا في قصة نبي الله لوط عليه السلام وعائلته خير دليل؛ حيث لم يجد قومه المجرمون مبررًا لإخراجهم والتنكيل بهم إلا طهارتهم وعفتهم ، قال تعالى: ﴿فَمَا

كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]. فبالمثل، فإن جرم أهل غزة في عيون عدوهم والمخذلين هو أنهم "يتطهرون" من دنس الخيانة، ويرفضون بيع مقدسات الأمة، ويتمسكون بحقهم في العيش بعزة فوق أرضهم، والتنكيل بهم هو ضريبة هذه الطهارة الإيمانية والجهادية.

وكذلك أخبرنا القرآن عن أصحاب الأخدود الذين حُفرت لهم الأخاديد وأُشعلت فيها النيران وقُذفوا فيها أحياءً. فما هو الذنب الذي اقترفوه؟ يجيبنا القرآن بوضوح: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]. لم يكن هناك ذنب سوى الإيمان.

فكيف يجرؤ عاقل بعد ذلك أن يقول إن الدماء التي تسيل في غزة هي عقوبة على معاصيهم، والقرآن يقرر أن القتل في سبيل الله قد يكون محض استهداف للمؤمنين بسبب إيمانهم؟!

ثالثاً: السيرة النبوية والمحنة بسبب تبليغ الرسالة

إذا نظرنا إلى سيرة المصطفى ﷺ، نجد حياته سلسلة متصلة من الشدائد والمحن والابتلاءات. فهل كان إيذاؤه بسبب ذنب؟ حاشاه وهو المعصوم. تذكر كتب التاريخ والحديث ما أصابه يوم ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الله ويسألهم النصرة، فناله منهم من الأذى والسخرية ما لا يطيقه بشر، ورموه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان. وجاء في صحيح البخاري من حديث عروة بن الزبير أنه سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون بالنبي ﷺ، فقال: "رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟". لم يكن هذا الإيذاء عقوبة للنبي ﷺ على تقصير، بل بسبب امتثاله التام لأمر ربه.

وما يمر به أهل غزة اليوم من حصار وتجويع وقتل، ما هو إلا امتداد لشعب أبي طالب الذي حوصر فيه النبي والمؤمنون حتى أكلوا ورق الشجر؛ ولم يكن ذلك لذنوب اقترفوها، بل لدين اعتنقوه وحق نصروه.

رابعاً: السنة النبوية

لقد وضعت السنة النبوية الضوابط الشرعية الدقيقة التي تُفند ادعاءات المخذلين:

الحديث الأول: شدة البلاء وعلاقتها بصلابة الدين

عن سعد بن وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، «أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ، زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ "» أخرجه أحمد، والترمذي، وقال: "حسن صحيح" ، وابن ماجه، والدارمي، وصححه الألباني.

فالحديث يدل صراحة على أن شدة البلاء تتناسب طرديًا مع صلابة الدين، وقوة الإيمان، لا مع كثرة المعاصي. وأهل غزة بصمودهم الأسطوري أمام أعتى آلات الدمار يبرهنون على صلابة إيمانية قلّ نظيرها ؛ فالبلاء دليل طوعي على قوة دينهم وقربهم من ربهم.

الحديث الثاني: الابتلاء علامة المحبة الإلهية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ...». أخرجه الترمذي وقال: "حديث حسن غريب" ، وابن ماجه، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة".

فهنا يربط الحديث بين الابتلاء والمحبة الإلهية ربطًا شرطيًا قاطعًا. فالبلاء للمؤمن أمارة محبة واصطفاء ؛ ليسمع تضرعهم، ويرفع درجاتهم، ويتخذ منهم شهداء. وما أصاب غزة هو علامة حب الله لهم واصطفائه ليكونوا حجة على الأمة.

الحديث الثالث: نزول المنازل العالية بالبلاء لا بالعمل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلِهِ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا». أخرجه أبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

فالحديث يفيد بأن الله قد يكتب للمؤمن منزلة رفيعة في الجنة لا تبلغها أعماله العادية، فيسوق إليه البلاء ليرتقي لتلك المنازل. وأي منزلة أعظم من الشهادة والرباط؟ إن دمار البيوت وفقد الأحبة في غزة هو الجسر الإلهي للفردوس الأعلى.

خامساً: الحكمة الإلهية من وراء ابتلائهم وثباتهم

تكشف لنا مقاصد الشريعة عن حكم بالغة من وراء هذه المحن، وكلها تدور في فلك التكريم والتمحيص لا العقوبة:

اتخاذ الشهداء:

قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ؛ فالشهادة ليست موتًا عبثيًا، بل هي اصطفاء واختيار من الله لثلة من عباده ليكرمهم بجواره.

تميز الصفوف وفضح النفاق:

المحن الكبرى هي الفاضحة التي تميز الخبيث من الطيب ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. ومن خلال محنة غزة، انجلى الغبار عن منافقي العصر الذين يبررون للعدو جرائمه.

إحياء روح الجهاد والأمة:

أعاد صمود غزة إحياء القضية في قلوب الملايين، وأثبت أن أمة الإسلام أمة حية لا تموت وإن أثخنتها الجراح، وهذا نصر معنوي كبير يمهد للنصر المادي.

وختاما:

إن القول بأن ما حل بأهل غزة هو بسبب ذنوبهم وبعدهم عن منهاج ربهم، هو قول باطل عاطل، ترفضه نصوص الكتاب وتكذبه أسانيد السنة. بل إن الحق الأبلج هو أن ما حل بأهل غزة إنما هو بسبب طاعتهم وثباتهم ، ولأجل قربهم من ربهم ودفاعهم عن مقدسات أمتهم ، وعلامة جليلة على حب الله لهم واصطفائه إياهم. فبشرى لكم يا أهل غزة منازل الشهداء، ولتعلم الأمة أن خذلانها لغزة هو ذنب الأمة بأسرها الذي تحاسب عليه، أما غزة فقد أدت ما عليها وسجلت بدمائها أروع صفحات المجد والثبات. نسأل الله أن يتقبل شهداءهم، ويشفي جرحاهم، وينصرهم على عدوهم ومن خذلهم.

طوفان الأقصي نجاد التحرير لا وهاد التدمير

الاختلاف بين الناس سنة كونية، وطبيعة بشرية، وقد فطر الحق سبحانه وتعالي الإنسانية على التباين فى الأفكار، والرؤى والاتجاهات، وعلى تعدد المشارب، وتنوع المبادئ، وبقيت قلة نادرة من القيم والمبادئ اتفقت عليها البشرية، ولم تنازع فيها الإنسانية، فكانت هذه قواسم مشتركة بين الناس جميعا، يتحاكمون إليها لحسم النزاعات، ووأد الخلافات، بين الأفراد والجماعات، ومن هذه المبادئ التى اتفقت عليها الإنسانية كلها: أن الصدق فضيلة، وأن الكذب رذيلة، وأن الوفاء بالوعد، وأداء الأمانة فضيلة، وأن إخلاف الوعد وخيانة الأمانة رذيلة، ومن أهم المبادئ التى اتفقت عليها البشرية كلها فى ماضيها وحاضرها، أن مقاومة الاحتلال فضيلة، وأن احتلال أرض الغير رذيلة قبيحة، وفعلة شنيعة، وجريمة خطيرة، وقد توافقت على ذلك كل القيم الدولية، والأعراف الإنسانية فى الماضى والحاضر، وأخيرا جاءت نصوص القانون الدولى، ومبادئ الأمم المتحدة، والاتفاقيات الدولية لتؤكد هذا المبدأ الإنساني العريق.

احتلال فلسطين رأس الخطايا:

الاحتلال ضربان: الأول: وهو الغالب الشائع عبر التاريخ، ويكون بإحكام المحتل السيطرة على الدولة المهزومة، والأمة المكلومة، ونهب خيراتها، ومصادرة كرامتها، وإذلال شعبها، وكسرا إرادتها، مع إبقاء سكانها فى ديارهم، وعدم اقتلاعهم من أرضهم، ولا تهجيرهم من أوطانهم.

الضرب الثاني وهو الأخطر، ويقوم المحتل بكل ما سبق من جرائم، مضافا إليها اقتلاع السكان من أرضهم، وتهجيرهم من أوطانهم، وإحلال شعب آخر محلهم، وهذا هو أخطر وأبشع ألوان الاحتلال التى عرفها التاريخ، ولا يخفي أن احتلال فلسطين من هذا الضرب الخطير من ضروب الاحتلال، فقد جمع الغرب أراذل البشر، وأوساخ

الأمم، وجاء بهم من كل حدب وصوب ليوطنهم في فلسطين، بعد طرد أهلها، وتشريد سكانها باقتلاعهم من أرضهم مستخدما فى ذلك كل ألوان البطش والتنكيل والترهيب والترويع، وارتكاب المذابح التى نجست مسامع التاريخ، وروعت نفوس العالمين، فاحتلال إسرائيل لأرض فلسطين هو الخطأ الأوضح، والجرم الأكبر، وهو أصل الداء، ولا يحق للمحتل المجرم أن يختلق جرائم مكذوبة لأصحاب الأرض المغصوبة، ولا لأهل المقاومة المشروعة.

المقاومة الفلسطينية حق مشروع:

الحقيقة الثابتة، والعقيدة الراسخة ، أن المقاومة الفلسطينية للمحتل الصهيوني حق مشروع، لا مراء فيه، فهي حق شرعته الاتفاقيات الدولية، والمعاهدات الأممية، ونصوص القانون الدولى، ومبادئ الأمم المتحدة، وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارات كثيرة تنص على حق الشعوب المحتلة فى مقاومة الاحتلال بكل الوسائل المتاحة، بما فى ذلك الكفاح المسلح، بل ورد فى بعض هذه القرارات النص صراحة على حق الشعب الفلسطيني فى مقاومة المحتل الإسرائيلي، ومن هذه القرارات: القرار رقم ٣٢٤٦ لسنة ١٩٧٤م، والقرار رقم ٣٣٢٤ لسنة ١٩٧٨م، والقرار رقم ٣٧٤٣، والذى صدر فى ١٩٨٢/١٢/١٣م، عقب الغزو الإسرائيلي للبنان، وجاء النص فى القرار صراحة على حق الشعب الفلسطيني فى الكفاح المسلح من أجل تحرير أرضه من الاحتلال الاسرئيلي.

فكان على العالم أن يساعد ابناء فلسطين فى تحرير وطنهم، واسترداد حقهم، واستعادة كرامتهم وسيادتهم، لكنه على العكس من ذلك، دعم المحتل الظالم، ضد المقاوم المناضل لتحرير أرضه، وتطهير وطنه من رجس المحتل، لكن هذا الموقف الباطل لن يقلب الحقائق الثابتة، والبراهين الواضحة، وسيبقي الحق أغر أبلج، لن تنال منه المواقف الفاجرة، ولا الأيادى المجرمة.

طوفان الأقصي تحرير لا تدمير:

وانطلاقا من هذا الحق الواضح، الذى كفله القانون الدولى، وميثاق الأمم المتحدة، وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، كانت معركة طوفان الأقصي فى ٢٠٢٣/١٠/٧م، حلقة من حلقات الصراع بين المقاومة الفلسطينية المشروعة، والاحتلال الإسرائيلي المحظور، لتحرير الأرض، واسترداد الحق، ولكن الآلة الإعلامية الجبارة التى يسيطر عليها اليهود فى العالم كله، ومعها عواصم العالم

الكبرى فى أوربا وأمريكا تسعي دائما لقلب الحقائق، وتزوير الوقائع، ووصف المقاومة بالإرهاب، والمقاومين بالمخربين، وتزعم كذبا أن المحتل مدافع عن نفسه، لكن حقيقة ما حدث فى السابع من أكتوبر أنه حق مكفول ورد مشروع، على ممارسات جائرة لمحتل ظالم.

فكان رد المحتل على المقاومة ردا غاشما كعادته، ظالما كديدنه، دمر الأخضر واليابس، وأهلك الحرث والنسل، ودمر قطاع غزة دمارا شبه كامل، وارتكب حرائق مروعة، ومجازر مدمرة، فاقت خيالات البشر، فقصف الاحتلال غزة الجريحة الصغيرة بأكثر من ٢٠٠ ألف طن من المتفجرات، أى ما يعادل أكثر من ١٣ قنبلة نووية، اثنتان منها فقط أجبرت دول المحور على رفع الراية البيضاء فى الحرب العالمية الثانية، ونتج عن هذا الكم الهائل من المتفجرات مقتل أكثر من ٧١ ألف شهيد، وما زال أكثر من عشرة الاف مفقود تحت الأنقاض، ما يرفع عدد الشهداء إلى أكثر من ٨١ ألف شهيد، وبلغ عدد الجرحي أكثر من ١٧٢ الف مصاب ، والنازحون والمهجرون أكثر من اثنين مليون إنسان.

وبالرغم من بشاعة الجريمة وفداحتها، ووضوح المجرم، وتوثيق الجرائم بالصوت والصورة، بل ونقل الجريمة على الهواء مباشرة للعالم أجمع، إلا أن الاحتلال يزعم كذبا مسؤلية المقاومة عن هذه الجرائم فى صلافة نادرة، ووقاحة فائقة، ولكن العدل والعقل والحكمة تقول: بأن المحتل هو المجرم، فالذى قصف هو المحتل والذى دمر هو المحتل، والذى قتل هو المحتل، والذى حاصر ومنع الغذاء والماء والدواء هو المحتل.

ولهذا أصدرت المحكمة الجنائية الدولية فى ٢٠٢٤/١١/٢١م قرارا باعتقال رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نيتنياهو، ووزيردفاعه يوآف جالانت، بتمهة ارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وجرائم إبادة جماعية،

وبذل الاحتلال جهودا جبارة لإلغاء قرار الاعتقال، ودعم الاحتلال فى هذا الطلب أمريكا والكثير من دول الغرب، وتقدم الاحتلال وداعموه بمذكرة للمحكمة الجنائية يطالبون فيها بإلغاء قرار الاعتقال، وفى ٢٠٢٥/٥/٩م أصدرت المحكمة الجنائية الدولية قرارها التاريخي الثاني برفض إلغاء قرار الاعتقال بشأن نتنياهو وجالانت.

طوفان الأقصي قيامة الإرادة من بين وهاد الاستكانة:

التحرير لا يوهب، ولا بد للكرامة من ثمن، ولا بد للحرية أن تنتزع، والأمم الحرة تدفع ثمن الحرية والاستقلال مهما غلا الثمن فلا شيء أغلى من الحرية والكرامة، وبناء وطن حر، يمتلك قراره وسيادته، والثمن الباهظ للحرية الذى يدفعه هذا الجيل، هو رغم عظمه، وفداحته يعد شيئا قليلا مقابل أن تحيا الأجيال القادمة بكرامة وحرية فى وطن حر كريم، والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والظلم مهما طال فلا بد من بزوغ العدل، وأشد ساعات الليل سوادا يعقبه طلوع الفجر، والأمة التى ترفع راية الجهاد والمقاومة هى فى الحقيقة تسعي إلى التحضر والبقاء، والرقي والارتقاء، وكذب من ادعى أن المقاومة تجلب للأمم التخلف والفناء، والدمار والبوار، وطوفان الأقصي كان خطوة مهمة للارتقاء بالأمة نحو معارج التحرير، والتعمير، وكان خطوة رائدة لاسترداد كرامة الإنسان، وحرية الأوطان، وغرس جذور العزة والكرامة فى نفوس أبناء الأمة، وبالأخص شبابها الصاعد بعد أن شربت أجيال من كأس الذل والمهانة، وأثبتت خطأ جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى ستينات وسبعينات القرن الماضي حين قالت: " الكبار يموتون، والصغار ينسون" فبرهنت الأجيال الصاعدة من أبناء فلسطين أنهم أصحاب إرادة لا تنكسر، وأننا أمة قد تنهزم، لكن لا تموت، ولا تستسلم للفشل واليأس أبدا، وأن منحنيات التاريخ التى قلبت لأمتنا ظهر المجن، فنالت منها الشدائد، وأطبقت عليها المصائب، كانت كسوفا لا غروب، وكانت اغفاءة حارس أعقبها استيقاظ مارد.

زوال إسرائيل حتمية توراتية قرآنية (١)

حين يظهر زعيم أوروبي أو رئيس أمريكى ويصرح لوسائل الإعلام بأن الغرب ملتزم بضمان أمن إسرائيل، يفرك الإسرائيلي يديه فرحا بهذه الحماية الوارفة، وتلك الراية السابغة التى تعمل بقوتها الباطشة، وغطرستها المتعجرفة من أجل كيانهم المحتل، وما درى المسكين أن زوال إسرائيل من الوجود وعد ربانى، وأمر إلهي، تكفل به رب العالمين، ولذا فهو حقيقة لا شك فيها، ويقين لا مراء فيه، وهذا اليقين، وتلك الحقيقة، متجذرة ومتأصلة فى وجدان الفريقين، ولا يمارى فيها الطرفين من اليهود والمسلمين، ولكن غرور الباطل، وسكرة القوة تعني الأبصار، وتطمس البصائر، وزوال إسرائيل حتمية قرآنية توراتية واقعية أكدها القرآن الكريم، وتوراة اليهود حتى التى حرفوها، وكل الحقائق والوقائع على الأرض تثبت صدق هذه النبوءة وحتمية هذه القضية.

أولا: هشاشة دولة إسرائيل

دولة الاحتلال تحمل فى جسدها أعراض زوالها، وجراثيم فنائها، وأمراض خطيرة تعجل بزوالها، وعلى الرغم من ذلك لا يفتأ البعض من ترويج شائعات مكذوبة عن

عبقرية اليهود، وتقدمهم، وسبقهم، وتحضرهم، وهذا عكس الحقيقة تماما، والسؤال الذى يفضح هذه الشائعات، ويدحض هذه الأكاذيب، هو هل تستطيع إسرائيل أن تعتمد على نفسها، وتقوم على ساقها، دون دعم من الغرب؟

والإجابة واضحة ومعلومة للجميع!!!

بل إن إسرائيل مع الدعم الهائل واللامحدود من أوربا وأمريكا فى معركة طوفان الأقصي عجزت عن القضاء على المقاومة، وعجزت عن احتلال قطاع غزة المحاصر منذ قرابة عقدين من الزمان، فكيف لو كانت إسرائيل بمفردها دون دعم خارجى.

وضعف إسرائيل وهشاشتها ليس تحليلا سياسيا ولا رأيا علميا، بل هو قضاء إلهى لا مرد له، فقد فرض رب العالمين على اليهود التيه، والشتات، وأوجب عليهم الذل والصغار والمسكنة والمهانة أينما وجدوا، وحيثما ثقفوا، والواقع يثبت ضعفهم وجبنهم وخورهم، وأنهم لا شىء بدون الاستعمار الغربي، وأن إسرائيل ألعوبة فى يد الغرب، فهي يده التى يبطش بها، وآلته التى يفتك بها، وهى ضالته التى ينشدها فى دوام استعماره، واستمرار تنكيله ببلاد الإسلام، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]

صدق الله رب العالمين، وكذب المنهزمون نفسيا، والمخدوعون عقليا، والمنبطحون فكريا الذين يروجون لأكذوبة التفوق اليهودى، فلو رفع الغرب دعمه عن إسرائيل لسقطت بين عشية أو ضحاها، ولخارت قواها، ولعجزت عن الوقوف ساعة من نهار.

ثانيا: زوال إسرائيل حتمية قرآنية

تواترت نصوص القرآن الكريم التى تثبت زوال إسرائيل، وأنها دولة لا بقاء لها، وأن علوهم محكوم عليه بالفناء والزوال، وأنها أسرع دول التاريخ زوالا، لأنها دولة قائمة على الظلم والاغتصاب، والظلم لا يدوم ولا بقاء له، وقد مضت سنة الله فى الكون بالقضاء على الظالمين حتى لو كانوا مسلمين، فما بالك لو كانوا يهود محتلين غاصبين محاربين لدين الله ورسوله ﷺ، قال الله تعالي: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا

عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ (الإسراء: ٤-٨)

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره: "يقول تعالى: إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي: تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوا كبيرا، أي: يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كما قال تعالى: {وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين} [الحجر: ٦٦] أي: تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به.

وقوله: {فإذا جاء وعد أولاهما} أي: أولى الإفسادتين {بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد} أي: سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولي بأس شديد، أي: قوة وعدة وسلطة شديدة {فجاسوا خلال الديار} أي: تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم، أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا {وكان وعدا مفعولا}

ويبين المجمل، ويوضح المبهم، العلامة الكبير الشيخ الشعراوى فيقول فى تفسيره لهذه الآيات: "

«وبعد أن أسكنهم الله الأرض وبعثرهم فيها، أهاج قلوب أتباعهم من جنود الباطل، فأوحَوْا إليهم بفكرة الوطن القومي، وزيَّنُوا لهم أولى خطوات نهايتهم، فكان أن اختاروا لهم فلسطين ليتخذوا منها وطناً يتجمعون فيه من شتى البلاد.

وقد يرى البعض أن في قيام دولة إسرائيل وتجمّع اليهود بها نكاية في الإسلام والمسلمين، ولكن الحقيقة غير هذا، فالحق سبحانه وتعالى حين يريد أن نضربهم الضربة الإيمانية من جنود موصوفين بأنهم: {عِبَاداً لَّنَآ}

يلفتنا إلى أن هذه الضربة لا تكون وهم مُفرّقون مُبعْثرون في كل أنحاء العالم، فلن نحارب في العالم كله، ولن نرسل عليهم كتيبة إلى كل بلد لهم فيها حارة أو حي، فكيف لنا أن نتتبعهم وهم مبعثرون، في كل بلد شِرْذمة منهم؟

إذن: ففكرة التجمُّع والوطن القومي التي نادى بها بلفور وأيَّدتْها الدول الكبرى المساندة لليهود والمعادية للإسلام، هذه الفكرة في الحقيقة تمثل خدمة لقضية

الإسلام، وتُسهّل علينا تتبعهم وتُمكّننا من القضاء عليهم؛ لذلك يقول تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً} [الإسراء: ١٠٤]

أي: أتينا بكم جميعاً، نضمُّ بعضكم إلى بعض، فهذه إذن بُشرى لنا معشر المسلمين بأن الكَرَّة ستعود لنا، وأن الغلبة ستكون في النهاية للإسلام والمسلمين، وليس بيننا وبين هذا الوعد إلا أن نعود إلى الله، ونتجه إليه كما قال سبحانه: {فلولا إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ} [الأنعام: ٤٣]

وهنا قد يرد سؤال على ذهن البعض عن تاريخ الإفسادتين، هل هما قبل الإسلام، أم بعد الإسلام؟ وهل إفساد بني إسرائيل الحالى، وعلوهم وظلمهم الواقع والمشاهد حاليا من الإفسادتين أم لا؟

ويجيب القرآن الكريم هؤلاء المتعبين إجابة تبرد قلوبهم، وتملأ باليقين أرواحهم، بأن رب العالمين تكفل بالقضاء على بني صهيون مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك كلما عادوا إلى الفساد والظلم، قال تعالي: {وإن عدتم عدنا} وإن عدتم بني صهيون إلى الظلم عدنا عليكم بالعقوبة، قال مقاتل بن سليمان فى تفسيره:"وإن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بأشد مما أصابكم يعني من القتل والسبي"

وقال صاحب الظلال رحمه الله تعالي: (ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد، فسلط الله على بني إسرائيل مَنْ قَهَرَهم أول مرة، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض، ودمر مملكتهم فيها تدميراً"، ثم يقول رحمه الله: "ويعقب السياق على النبوءة الصادقة والوعد المفعول، بأن هذا الدمار قد يكون طريقاً للرحمة ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾ إن أفدتم منه عبرة، فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض، فالجزاء حاضر والسنة ماضية ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ ولقد عادوا إلى الإفساد، فسلط الله عليهم المسلمين، فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد، فسلط الله عليهم عباداً آخرين، حتى كان العصر الحديث، فسلط عليهم هتلر، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره لقريب)

زوال إسرائيل حتمية توراتية قرآنية (٢)

فى المقال السابق ذكرنا أن زوال إسرائيل حق لا مراء فيه، ويقين لا شك يعتريه، وتكلمنا عن

أمرين: الأول: هشاشة الكيان المحتل الغاصب، والثانى: نص القرآن الكريم فى أكثر من آية أن زوال إسرائيل وعد ربانى، وقضاء إلهي

ثالثا: تحفيز وتنشيط أم توهين وتثبيط

وهنا قد يقول قائل: لقد فرض الحق ﷻ الجهاد على هذه الأمة لاسترداد حقها المسلوب، وتحرير وطنها المغصوب، والحديث عن زوال إسرائيل يبعث فى الأمة الكسل والقعود،ويغرس فى نفوس أبنائها اللهو والسقوط، فهو كلام إثمه أكثر من نفعه، وخفضه أكثر من رفعه، وعبثه يربو على جده.

والحقيقة عكس ذلك تماما، فنحن ما أردنا إلا تذكير الأمة بقول الحق سبحانه وتعالي: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] فالمؤمن يوقن أنه فى عين الله تبارك وتعالى، وحفظه، وتأييده، وهذا اليقين باعث حثيث للمؤمن على بذل الروح والمال فى سبيل الله، وهو على يقين تام أن النفع والضر بيد الله وحده، وأن الدنيا كلها لو اجتمعت على النيل منا فلن تضرنا إلا بشيء قد كتبه الله علينا، فالغرض من هذا الطرح أن يبعث فى النفوس التفاؤل والأمل، ويقتل فيها اليأس والملل، وهذا أول طريق الجهاد، الأمل فى الله، والتوكل عليه، والاعتصام به، والاستعانة به وحده،

ومن هذا المنطلق فإذا كان المحتل يملك ما يزيد على مائتا رأس نووى، وقادر على مسح البلاد العربية من على الخريطة، فى قرابة الدقيقة، فهذا وأمثاله لا يخيف المجاهدين، ولا يوهن عزائمهم، لآن معهم خالق الزمان والمكان، ومبدع الأكوان، وصاحب القدرة المطلقة فى هذا العالم، بل هو ﷻ صاحب القدرة الوحيدة، والحقيقة الوحيدة فى هذا الوجود.

وقد وعدنا سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم، وفى سنة نبيه ﷺ بالنصر المبين على اليهود المحتلين، ومن عاونهم من الظالمين فى العالمين، حتى لو كانت أمريكا وحلف الناتو مجتمعين، ولو كان معهم العالمين أجمعين، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود .» أخرجه مسلم واحمد.

قال الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم: (الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل اليهود)

فإذا كان اليهود فى حماية أمريكا والناتو فإن المجاهدين فى كتائب المقاومة الفلسطينية فى حماية رب العالمين، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤]

وقد توعد رب العالمين، بأن يبعث على اليهود المجرمين، من ينكل بهم إلى يوم الدين، قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

فهذه حرب نفسية، ومقتلة معنوية لها بالغ الأثر فى توهج الحماسة فى نفوس المجاهدين، وإشعال عزمات المرابطين، قال سبحانه وتعالي: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]

رابعا: زوال إسرائيل حتمية توراتية

١- "إسرائيل لا علاقة لها باليهودية" تحت هذا العنوان جاءت تصريحات الحاخام الأميركي يسرائيل ديفيد وايس، المتحث الرسمي لجماعة ناطورى كارتا اليهودية على موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/٣٠م حيث قال: "إن الإسرائيليين أسّسوا دولتهم عن طريق السرقة من العرب، وإنه يصلي من أجل زوال دولتهم الصهيونية، وأن تتحرر فلسطين بأسرع وقت"

وقال وايس: إن اليهود أسسوا دولتهم فى فلسطين بالمخالفة لنصوص التوراة والتى جاء فيها، "لا تقتل ولا تسرق" وإسرائيل قامت على قتل العرب وسرقة أراضيهم، ولهذا السبب نحن نبكي مع الفلسطينيين"

وأضاف ديفيد وايس: " كوننا يهودا متدينين، نصلي للرب كل يوم من أجل زوال دولة إسرائيل الصهيونية، التي تسببت في إراقة كثير من دماء الفلسطينيين واليهود بأسرع وقت"

وللعلم فإن جماعة ناطورى كارتا تأسست فى العام ١٩٣٥م أي قبل قيام إسرائيل ب ١٣ سنة، والهدف الرئيسي من تأسيس هذه الجماعة هو عدم قيام دولة إسرائيل.

لماذا؟

لأنهم يعتقدون وفق توراتهم حتى المحرفة التى بين أيديهم اليوم، أن الله سبحانه وتعالي كتب على بنى إسرائيل التيه والشتات، لذا لا بد أن يظل اليهود مشتتين، إلى أن تقوم الساعة، وأى محاولة لتجميع اليهود فى مكان واحد هى عصيان لله سبحانه وتعالى، وعصيان لقضاء الله على اليهود بالشتات، وأن إسرائيل دولة ضد الله تبارك وتعالي، لأنها خالفت تعاليم الله فى التوراة، بأن يظل اليهود مشتتين فى الأرض.

٢- قال الحاخام مائير هيرش زعيم جماعة ناطورى كارتا: نرفض أن نكون مواطنى الدولة الإسرائيلية بأى شكل من الأشكال، لأننا نعلم من الكتاب المقدس، أن الرب وعد بإخراج الشعب اليهودى من التيه، وها نحن فى الشتات من ألفي سنة، وما دام التيه مستمرا، يحرم على الشعب اليهودى تأسيس دولة فى أى مكان فى العالم فى فلسطين أو فى أوغندا، أو فى أى مكان فى العالم .

وقال هيرش:نحن نطالب بالعدالة الإلهية، لا مكان لدولة يهودية فى فلسطين، ومن غير الممكن أن يكون فى فلسطين دولتين لشعبين، لأنه ليس الحل الأمثل، الحل هو إعادة كل الأرض إلى الفلسطينيين،

وقد نشرت هذه التصريحات لهيرش على موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٣٠م

٣- وفى ٢٠٢٣/٦/٩م نشر موقع RT "روسيا بالعربية" فيديو للحاخام اليهودى الأرثوذكسي " الحنان بيك" والذى يقيم فى بريطانيا أكد فيه أنه لا حق لإسرائيل فى فلسطين، وأن الأراضى من النهر إلى البحر هى ملك للفلسطينيين وحدهم، وقال الحاخام الحنان بيك: الصهيونية هى تمرد على القدير "الله" الذى أرسل الشعب اليهودى إلى المنفي ليبقي فى المنفي، وليس للتمرد على الأمم، وليس للإستيلاء على الأراضى المقدسة بالقوة.

وقال الحاخام الحنان بيك أيضا: إن الصهيوينة ضد كل جانب من جوانب الإنسانية، لأنهم يقتلون الكثير من الفلسطينيين، وبصورة مستمرة حتى يومنا هذا، وكل من يعرف شيئا عن التاريخ، يعلم أن المسلمين حمونا، وأنقذونا من الاضطهاد، وعشنا عصرا ذهبيا معهم"

وهذه النصوص التوراتية، والتفسيرات اليهودية، والشروح الحاخامية، تكشف عن مدى تعمق وتأصل فكرة زوال إسرائيل فى العقل والفكر الإسرائيلي، وهذا ما يجعل

الكثير من شعب إسرائيل يحتفظ بجنسية وطنه الأول، ويرتب أمور معاشه فى مكان ما خارج إسرائيل حين تنتهى أو تزول إسرائيل.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري فى مقال له بعنوان: "نهاية إسرائيل" منشور على موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٨م : "موضوع نهاية إسرائيل متجذر فى الوجدان الإسرائيلي، فحتى قبل إنشاء الدولة أدرك كثير من الصهاينة أن المشروع الصهيونى مستحيل، وأن الحلم الصهيونى سيتحول إلى كابوس، وبعد إنشاء الدولة، وبعد أن حقق المستوطنون الصهاينة النصر على الجيوش العربية تصاعد هاجس النهاية"

ثم يقول الدكتور المسيري: " ومع انتفاضة الأقصي تحدثت الصحف الإسرائيلية عدة مرات عن موضوع نهاية إسرائيل، فقد نشرت جريدة " يديعوت أحرونوت" فى ٢٠٠٢/١/٢٧م مقالا بعنوان: " اليوم الأسود" جاء فيه: "الكثيرون يشترون شققا فى الخارج تحسبا لليوم الأسود الذى لايحب الإسرائيليون أن يفكروا فيه" أى نهاية إسرائيل.

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وتوفيقه تتنزل البركات والخيرات، والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فهذا الكتاب يمثل معالجة تأصيلية تاريخية وتشريعية تسعى لتوضيح أبعاد هذا الصراع الحضاري الممتد، وبيان المرتكزات الأخلاقية والإنسانية التي تفرق بين العدل الشامل والحرب الرحيمة في الإسلام وبين البطش والخراب والإبادة الجماعية في الفلسفات المادية والنصوص المحرفة.

ولقد حاولت هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الرئيسية والإشكاليات العلمية التي طرحتها المقدمة. وفي ضوء هذه المعالجة العلمية أمكن للباحث أن يستخلص أهم النتائج والتوصيات التي أفرزتها الدراسة، وذلك على النحو والتفصيل التالي:

أولا: أهم النتائج العلمية للدراسة

١. التمايز الحضاري والأخلاقي في مفهوم الحرب والجهاد:

أثبتت الدراسة أن الحرب في المنظور الإسلامي ليست غاية في حد ذاتها، ولا وسيلة للتوسع الاستعماري أو فرض الهيمنة القومية أو تحقيق الأطماع الاقتصادية، وإنما هي ضرورة شرعية وإنسانية تهدف إلى كف العدوان، ونصرة المظلومين، وحماية حرية الضمير والاعتقاد. وإن الجهاد في الإسلام يمثل النموذج الحضاري الفريد للحرب الرحيمة الأخلاقية التي تحرص على صيانة الدماء، وتجنب التدمير وتوفير الأمان للإنسانية، بخلاف الحرب في المفاهيم الغربية التي قامت على التدمير الشامل وإهلاك الحرث والنسل.

٢. دحض أسطورة التحضر الغربي ونقد الأسس التوراتية المحرفة:

كشفت الوقائع التاريخية عن التهافت الأخلاقي للحضارة الغربية المعاصرة ودحضت المقولات التي تفترض انتهاء التاريخ عند النموذج الغربي. فقد برهنت الوقائع التاريخية والحديثة - وبخاصة موقف القوى الغربية الصليبية من حرب الإبادة الجماعية والتجويع والتدمير في غزة - على السقوط الأخلاقي المدوئ للقيم الغربية. كما أثبت البحث أن هذه السلوكيات الإجرامية والتوجهات العنصرية تستند في خلفيتها الفكرية إلى تعاليم التوراة المحرفة التي تحث على التدمير الشامل وإبادة الأغيار وقتل الشيوخ والنساء والأطفال.

٣. ترسيخ سنن العقيدة وحقيقة الأقدار والموت والرزق:

أكدت الدراسة على قضية عقدية محورية تتمثل في أن الجهاد والمواجهة لا يقربان أجلا ولا ينقصان رزقا، وأن الأعمار والمصائب والأقدار كلها مقدرة في كتاب الله عز وجل. واستعرضت الدراسة شواهد تاريخية عديدة تثبت أن الآجال لا ترتبط بالسلامة الظاهرية أو بالمواقع العسكرية؛ فموت القادة والعلماء والمصلحين والمجاهدين

يجري وفق القدر الإلهي النافذ، ومبدأ الموت والرزق قائم على العدالة الإلهية واليقين التام بأن الشجاعة لا تقصر العمر والجبن لا يطيله.

٤. العدالة المطلقة في الشريعة الإسلامية ومشروعية معركة طوفان الأقصى:

أصلت الدراسة لمفهوم العدالة المطلقة في الشريعة الإسلامية، وهي العدالة التي تنصف كل إنسان بغض النظر عن عقيدته أو انتسابه. واستشهد البحث بالنصوص والوقائع الشرعية كحادثة بني أبيرق التي أنزل الله فيها قرآنا يبرئ رجلا يهوديا ويدين من تظاهر بالإسلام، ليثبت أن الشريعة الإسلامية أسبق الشرائع في إرساء العدالة المجردة. وبناء على هذا التأصيل الشرعي والقانوني، أثبتت الدراسة أن معركة "طوفان الأقصى" في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م تمثل حركة تحرير وطني ومشروع دفاع شرعي وقانوني عن النفس والأرض والمقدسات وحماية للمسجد الأقصى المبارك من التهويد والتقسيم والتهديم، وفق كل المعايير الشرعية والمواثيق الدولية.

٥. منهجية الإصلاح الشامل وأسبقية الجهاد بالأموال:

أوضحت الدراسة أن المشروع الإسلامي يقدم الرؤية الكاملة للإصلاح السياسي والاجتماعي القائمة على الشورى، والفصل بين السلطات، والتدرج، والنهي عن المنكر، والبناء الحضاري. كما كشفت عن الحكمة الإلهية البالغة في تقديم الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس في معظم المواضع القرآنية؛ نظر لأن المال يشكل الشريان الرئيسي للإعداد العسكري، وبناء القوة، وتجهيز المجاهدين، ورعاية أسرهم، وإتاحة الفرصة لكافة أفراد الأمة للمشاركة الفاعلة في معركة التحرير.

٦. كسر شبهة الغلبة المادية واستقلالية سنن النصر الإلهي:

ردت الدراسة بالدليل الشرعي والتاريخي على الشبهات والمقولات المنهزمة التي تجعل النصر حصرا على أصحاب القوة المادية العظمى، وأثبت البحث أن الله سبحانه وتعالى أوجب على الأمة إعداد القوة المستطاعة ولم يشرط تفوقها المادي على العدو، وأن النصر في حقيقته وسننه الإلهية ينزل بمعونة الله وتوفيقه، وبصلابة العقيدة والإيمان. وقد أيدت التجارب التاريخية في فيتنام وأفغانستان وغيرها هذه الحقيقة الحتمية، حيث انهزمت الإمبراطوريات الكبرى أمام إرادة الشعوب المظلومة والمقاومة.

٧. خطورة الموالاة للباطل وبشائر الصمود الإلهي لغزة:

بينت الدراسة أن مظاهرة المحتلين الصهاينة أو تقديم أي شكل من أشكال الدعم المادي أو المعنوي لهم يعد خيانة عظمى وارتدادا عن القواعد الشرعية.

كما انتهت الدراسة إلى حقيقة يشتد بها أمل الأمة ويقينها، وهي أن أهل غزة والمقاومة المرابطة هم في عين الله ورعايته الخاصة، وأن ما يمرون به من ابتلاءات وجراح وركام ليس علامة هزيمة أو خذلان، بل هو مخاض النصر وسنة الابتلاء التي يعقبها التمكين وعز جند الله ودحر الظالمين.

بناء على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يوصي الباحث بما يلي:

ضرورة التأصيل الشرعي والقانوني لمعارك التحرير الوطنية والتعريف بالقيم الأخلاقية للجهاد في الإسلام من خلال البحث العلمى الجاد، دحضا للافتراءات الغربية والصهيونية.

دعم جهود التوثيق العلمي والتاريخي للجرائم والانتهاكات التي يرتكبها الاحتلال وحلفاؤه، وتعرية النصوص والأيديولوجيات المحرفة التي تتخذ غطاء للإبادة والتهجير.

تفعيل مفهوم الجهاد بالمال وتأسيس الهيئات والمؤسسات الاقتصادية الشعبية والرسمية التي تكفل دعم الصمود في فلسطين وحماية القدس والمسجد الأقصى المبارك.

ترسيخ قيم العدالة الشاملة، والشورى، والحريات، والإصلاح السياسي في المجتمعات الإسلامية، باعتبارها الركيزة الأساسية لإعداد الأمة وبناء قوتها الذاتية للنهوض والتحرير.

تعميق الوعي الإيمانى والعقدي لدى الأجيال بحقيقة الأقدار وحتمية النصر وربط قلوبهم بسنن الله النافذة في تاريخ الأمم والحضارات.

ختاما، فإن هذه الدراسة تؤكد أن معركة "طوفان الأقصى" لم تكن مجرد مواجهة عسكرية عابرة، بل هي نقطة تحول فارقة ومفصل حضاري في تاريخ الإنسانية عامة، وتاريخ الإسلام والمسلمين خاصة، لقد أطلقت هذه المعركة شعلة التحرير الحقيقية، وأيقظت الأمة من غفلتها، وأعادت ترتيب الأولويات والقضايا. وإن يقيننا، وسنن التاريخ يؤكدان أن الباطل إلى زوال، وأن العدل والحرية والكرامة ستمكن في الأرض، وأن القدس ستحرر من دنس اليهود يوما قريبا بإذن الله تعالي، وسترفع راية الحق فوق مآذنها وقبابها الشريفة.

﴿ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب